فن التعامل الأسري في الإسلام

دراسة دعوية في ضوء الواقع المعاصر

تأليف

الدكتور

حسن عبد الغني حسان

أستاذ الثقافة الإسلامية المساعد

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر

١٤٤٢هـ / ٢٠١١ م

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التنزيل: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم من الآية :٢١.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا ند له ولا زوجة له ، ولا ولد له ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله ،نبي الرحمة ورسول الإنسانية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ؛؛؛؛؛

فلقد اهتم الإسلام بالأسرة اهتماما عظيما ، لأنها اللبنة الأولى التي يتكون منها المجتمع ، فوضع أسلوب التعامل الصحيح الذي تقوم عليه الأسرة المسلمة ، لأن قوة المجتمع وبناءه السليم يرتبط ارتباطا وثيقا بقوة الترابط بين أفراد الأسرة وتضعف إذا ضعفت .

إن الزواج هو السبيل الوحيد إلى الحياة التي تكفل للرجل والمرأة على السواء حياة يسودها سكن النفوس واطمئنان القلوب .

ومن هنا أرشد الإسلام إلى أسس ودعائم الزواج الموفق الناجح الذي أراد الله له الدوام والاستقرار ، وجعل كلا من الزوجين سكنا للآخر ، وحرص على قيام دعائم الأسرة على المودة والرحمة والسكن وحُسن العشرة ، ومعرفة كل طرف حقوقه وواجباته لتوثيق الصلة ودوام الألفة ، وتهيئة الجو المناسب الذي يشيع منه الحب والوئام ، الجو الصالح للأبناء لكي يسود الجو الأسري الهادئ ، وينتشر العطف والحنان و الطمأنينة ، بعيدا عن العصبية والخصام بين أفراد الأسرة .

ولذلك أرشد الإسلام إلى حُسن اختيار الزوجين القائم على الدين والسيرة الطيبة والبيئة الصالحة ، لضمان استقرار البيت المسلم القائم على شرع الله الذي تسوده الطمأنينة والسكينة والأخلاق الحسنة ، والانسجام الروحي والعاطفي ، والتوافق النفسي بين الزوجين ، فتقل أو تنعدم بينهما الخلافات والمشكلات .

إن ما تعانيه الأسرة المسلمة اليوم من تصدع في العلاقات وفساد كبير في التعامل والعدام الثقة وزوال المودة والرحمة والألفة وعدم التوافق النفسي والعاطفي والفشل في الحياة الزوجية الذي ينتهي بالطلاق غالبا ، من أهم أسباب ذلك فساد الاختيار والبعد عن منهج الله في الزواج والنظرة المادية البحتة بعيدا عن الخلق والدين .

فعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :

(مَن تَزَوَّج امْرَأَة لِعِزِّهَا لَم يَزِده اللَّه إِلَّا ذُلًا ، وَمَن تَزَوَّجَهَا لِمَالِهَا لَم يَزِده اللَّه إِلَّا فَقْرا ، وَمَن تَزَوَّجَهَا لِحَسَبِهَا لَم يَزِده اللَّه إِلَّا دَنَاءَة ، وَمَن تَزَوَّج امْرَأَة لَم

يتزوجها إلا ليغض بصره أو ليحصن فرجه ، أو يصل رحمه بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه) (١).
وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) (٢).
وكذلك المرأة الصالحة تملئ بيت الزوجية بالسعادة والطمأنينة والراحة والاستقرار ، فعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة " (٣).
فالمرأة الصالحة تعطي لزوجها الحب الخالص ، والعطف والرأفة ، وتمنح أولادها التربية الصالحة ، فعن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ أنه كان يقول :
(ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها ومالِهِ)(٤)
ولا شك أن هذه الأسرة التي يتصف فيها الزوج بالخلق والدين ، وتتصف فيها الزوجة بنفس الخصال ، ستكون جديرة بتربية الأبناء تربية صحيحة ، وتعامل سليم وتربية على الخلق والدين ، فتكون للنشأة مثالية تثمر الأجيال الصالحة سليمة البناء ، متينة القواعد تشيع فيها روح المودة والطمأنينة والاستقرار ، وجو الأمن والأمان والهدوء النفسي والبنية المتماسكة ، ويعين أطراف الأسرة بعضها البعض على طاعة الله تعالى ، فعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال : (ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع ، وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ، وهي مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته) (٥) .
لقد اعتنى الإسلام بتأسيس الأسرة ، وتوثيق رباط الزوجية على دعائم السكن والمودة والرحمة ، ووضع الضوابط التي يلتزم بها الزوجان دون اعتداء أحدهما على حق الآخر ، وفي ظل هذا المنهج الحكيم ، عاش سلف الأمة الصالح ، وطبقوا هذا المنهج الأخلاقي ، وتلك القيم الإسلامية قولا وسلوكا .
وفي العصر الحاضر تبدل هذا المنهج وأصبحت المجتمعات الإسلامية تعاني من المخاطر والتهديدات التي أدت إلى اهتزاز صرح الأسرة ، فضاعت الحقوق وتاهت القيم ، وتشرد الأبناء ، واتهم كل طرف الآخر بأنه السبب ، وأن ظروف الحياة الاجتماعية وطغيان العامل المادي هو السبب في ذلك أيضا ، وإذا نظرنا

١ـ المعجم الوسيط للطبراني ، باب الألف ، باب من اسمه إبراهيم ، حديث رقم ٢٣٨٢ .
٢ـ سنن ابن ماجة : كتاب النكاح ، باب الأكفاء ، حديث رقم ١٩٦٣ .
٣ـ صحيح مسلم : كتاب الرضاع ، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، حديث رقم ٢٧٤٦.
٤ـ سنن ابن ماجة : كتاب النكاح ، باب أفضل النساء ، حديث رقم ١٨٥٣.
٥ـ صحيح مسلم : كتاب الأمارة ، باب فضل الإمام العادل ، حديث رقم ٣٤٩٦.

بعين البصيرة إلى السبب الحقيقي ، وجدنا إنه يتمثل في غياب التعامل وثقافة التعايش الأسري التي أمرنا بها الإسلام .

إن الأسرة التي أعطت ظهرها للقيم والأخلاق الإسلامية ، وفرطت في أمر دينها فقد أخذت بأسباب الفساد والانحلال والهدم ، مما يؤثر حتما على تربية الأبناء ، ويجعل شخصياتهم مضطربة يكتنفها التوتر والقلق النفسي والانهزام ، يسود في معاملاتها وتصرفاتها العصبية والعدوانية ، فينتشر الفساد في جسد الأمة الإسلامية ، ولذلك أمر الإسلام الوالدين والمربين إلى تحمل مسئولياتهم تجاه الأبناء ، وأن تكون رعايتهم لهم مبنية على العطف والرحمة والرفق والعدل والمساواة ، متجنبة للقسوة والشدة والعنف والظلم والتمييز .

١- أسباب اختيار البحث :

لقد كان من أهم أسباب اختيار هذا الموضوع بيان التردي في المعاملة الأسرية بين الزوجين ، والبعد عن منهج الله تعالى في تكوين الأسرة والعلاقة بين الزوجين ، مما أدى إلى انهيار بنيان الأسرة الشامخ وحول الحياة إلى جحيم لا يطاق ، وضاع الكثير من المبادئ والقيم والأخلاق ، وظهور الأجيال منقطعة الصلة بالله تعالى إلا من رحم الله .

٢- أهمية البحث :

(١) إبراز العوامل التي تعود بالأسرة إلى مسارها الصحيح .

(٢) دق ناقوس الخطر من فساد الأسرة وانهيارها في العصر الحاضر ، و بيان أسبابها وكيفية علاج أمراضها من خلال منهج الإسلام .

(٣) شدة حاجة الأمة الإسلامية إلى الأجيال الصالحة التي نشأت في البيئة الصالحة للقيام بالمسئولية نحو دينها ومجتمعها .

(٤) بيان أسس المعاملة الطيبة بين الزوجين ، وأن ذلك يعود على الأبناء بالأمن والاستقرار .

٣- أهداف البحث :

١) تصحيح الأوضاع المتردية التي وصل إليها حال الأسرة المسلمة في العصر الحاضر

٢) رد الأسرة المسلمة إلى المنهج القويم والقواعد السليمة في تكوينها .

٣) الاطلاع على الأسباب التي أدت إلى انهيار الأسرة المسلمة في الواقع المعاصر .

٤) الاستفادة من معاملة النبي ﷺ لأزواجه وأبنائه وأصحابه الكرام ، ليكون فيها العبر والعظات للتطبيق العملي للأسرة المسلمة .

٥) وضع العلاج الناجع على ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة وسيرة السلف الصالح لإنقاذ الأسرة والمجتمع الإسلامي .

٤- منهج البحث :

لقد استخدمت المنهج الاستقرائي ، وذلك بقراءة الموضوع ، وصياغته بأسلوب سهل مبسط ، واستخلاص العبر والعظات للأسرة المسلمة بصفة خاصة وللأمة الإسلامية بصفة عامة .

كما التزمت في البحث كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني ، وتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية ، وتوثيق المعلومات وعزوها إلى المراجع لأمانة النقل والاقتباس .

٥- خطة البحث :

وقد جاءت هذه الدراسة بفضل الله تعالى تحت عنوان :

وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة .وذلك على النحو التالي :

المقدمة : وتشتمل على أسباب اختيار البحث ـ أهمية البحث ـ أهداف البحث ـ منهج البحث ـ خطة البحث :

الفصل الأول : البناء الأسري في الإسلام .
ويشتمل على ثلاثة مباحث :
المبحث الأول : أسس اختيار الزوجين في الإسلام .
المبحث الثاني : أهداف الأسرة في الإسلام .
المبحث الثالث : الرسول ﷺ يحقق القدوة في التعامل الأسري .

الفصل الثاني : فن المعاملة بين الزوجين في الإسلام .
ويشتمل على ثلاثة مباحث :
المبحث الأول : فن معاملة الزوج لزوجته ودوره في استقرار الأسرة والمجتمع
المبحث الثاني : فن معاملة الزوجة لزوجها ، ودوره في سعادة الأسرة والمجتمع
المبحث الثالث : المعاملة بين الزوجين في الواقع المعاصر .

الفصل الثالث : فن المعاملة بين الآباء والأبناء في الإسلام .
ويشتمل على ثلاثة مباحث :
المبحث الأول :حقوق الأبناء على الآباء في الإسلام .
المبحث الثاني : حقوق الآباء على الأبناء في الإسلام .
المبحث الثالث :أثر الاستقرار الأسري على البناء النفسي لشخصية الأولاد .

الفصل الرابع : الأسباب التي تؤدي إلى سوء المعاملة الأسرية وسبل الوقاية منها في العصر الحاضر .
ويشتمل على مبحثين:
المبحث الأول :دور التقنية الحديثة في تدمير العلاقات الأسرية .
المبحث الثاني : المخاطر التي تواجه الأسرة وتفسد العلاقة بين الزوجين .

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يمن علينا بالتوفيق والسداد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .
وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الأول

البناء الأسري في الإسلام

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أسس اختيار الزوجين في الإسلام .

المبحث الثاني : أهدف الأسرة في الإسلام .

المبحث الثالث : الرسول ﷺ يحقق القدوة في التعامل الأسري

الفصل الأول

البناء الأسري في الإسلام

لقد وضع الإسلام منهجا حكيما لبناء الأسرة المسلمة ، ووضع الضوابط لحماية تلك الأسرة من عوامل الضعف والتفكك التي تعاني الأسرة المسلمة منها في العصر الحاضر فالأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع الإسلامي ورقي الحضارة الإنسانية ، لأن الأسرة أساس المجتمع وفي ظلها يتربى الفرد الصالح ، وتنمو المشاعر الصالحة بين أبوين مؤمنين ، ومن هنا يكون الأساس الأول في بناء الأسرة هو حُسن الاختيار بين الزوجين على مبدأ الدين لتكون الزوجة نعمة لا نقمة ، ويتحقق ترابط الأسرة وتماسك المجتمع ، لتبدأ الأسرة من زوج صالح وزوجة صالحة فيكون الولد الصالح ، وإذ لم تُحسن الاختيار فسوف تكون النتيجة عكسية ،قال تعالى :﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم من الآية : ٢١.

لقد جعل الإسلام الزواج من أساسيات الحياة ، وجعل السكن إلى كل من الزوج والزوجة آية من آياته ﷻ الدالة على وجوده ووحدانيته ، كما أن الله تعالى قد أعطى للإنسان حق الاختيار في هذا السكن ، وحث عليه وأن مراد الله من اختيار الزوج لزوجته ، والزوجة لزوجها هو بناء البيت المسلم الذي يعبد الله ويوحده ، فللرجل حق الاختيار لزوجته ، وهو مدعو لاختيار الزوجة الصالحة التي تعينه على نفسه ، وتعينه على تربية أولاده وبناته ، وكذلك المرأة لها نفس الحق في اختيار الزوج الصالح الذي يعينها على نفسها ، ويعينها على تربية أولادها وبناتها (١).

ولقد وضع الإسلام الأسس والمعايير التي يتم بها الاختيار الموفق.

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ ، تَرِبَتْ يَدَاكَ) (٢).

فالكنز الحقيقي خاصة في العصر الحاضر هو الزوجة الصالحة ، والظفر بذات الدين التي ينعم بها الزوجان في حياة إيمانية مستقرة يرفرف عليها الأمن والأمان ، والعدل والمعاملة الطيبة ، والهدوء النفسي ومن ثم تورث هذه المعاني للأبناء ، ويعيشون في ظل هذه البيئة النظيفة ، فتتحقق أهداف الأسرة في الإسلام .

فالزواج رابطة مقدسة ، تقوم على المعاني الروحية والعاطفية أكثر مما تقوم على أي معنى آخر ، وهو عقد لا تراد به صفقة عابرة ولا أمر وقتي سريع الزوال ، بل هو عقد يرد على اشتراك طرفيه في الحياة شركة يراد بها الدوام والاستقرار ،

---

١ - المرأة المسلمة المعاصرة : د. أحمد محمد أبابطين ، ص٢٢٣ بتصرف ، طبع دار عالم الكتاب بالرياض ـ السعودية ، طبعة ثالثة سنة ١٩٩٣م.

٢ - صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء في الدين ، حديث رقم : ٤٨٠٢.

٣٢٤ شركة تامة في شئون الحياة ، ما خفي منها وما ظهر ، ما عظم منها وما صغر ، شركة متشعبة النواحي متشابكة الأطراف ، تقيلة الأعباء كثيرة التبعات (١).
ولقد كان سيدنا محمد ﷺ هو النموذج والمثل في تحقيق الأسرة المثالية ، والمعاملة الطيبة بين زوجاته وأبنائه وأحفاده .
وسوف يتضح ذلك من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول
أسس اختيار الزوجين في الإسلام

لقد اهتم الإسلام بشأن الأسرة ، وأسس تكوينها ، وأسباب استمرارها ودوامها ، وعوامل استقرارها وترابطها للقيام بدورها على أكمل وجه في بناء الفرد المسلم والمواطن الصالح. ويهدف الإسلام من ذلك إلى أبعاد اجتماعية وخلقية وصحية واقتصادية وسياسية ، تتلاقى كلها لإيجاد بناء أسري مترابط ومتماسك ، كما عمل على حفظ كيان الأسرة من التفكك والانهيار ، فعمل على بنائها على أسس متينة محصنة تتفق مع الفطرة والعقل السليم .
إن مخالفة الإسلام في اختيار أحد الزوجين للآخر على ضوابط وأسس ما انزل الله بها من سلطان تحت شعار المدنية أو النظرة المادية المقيتة المذلة ، أو الحضارة الهابطة ، دليل على ضعف الإيمان وانعكاس الفطرة ، ويكون هذا الزواج غالبا بداية لانهيار الأسرة وزوالها .

أولاً : أسس اختيار الزوجة في الإسلام .

١ـ الاختيار على أساس الدين :
إن حُسن اختيار الزوجة في الإسلام لابد أن يقوم على أساس الدين والأخلاق لتحقيق السعادة الزوجية والاستقرار الأسري المنشود .
عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ ، تَرِبَتْ يَدَاكَ) (٢).
يوجه النبي ﷺ في هذا الحديث النبوي الشريف نداء عاما إلى المقبلين على الزواج خاصة الشباب ويحثهم على الاختيار السليم للزوجة ، فيبدأ بالمرغبات التي يرغبها كل زوج في الظاهر ، وهي المال والجمال والحسب والدين ، ويؤكد على أن يظفر الزوج بذات الدين ، ويجعله الأساس في الاختيار ، ولا مانع من وجود المرغبات في الدرجة الثانية إن وجدت ، وذلك لأن عامل الدين دون سواه من جمال وحسب

---

١ ـ الأسرة في التشريع الإسلامي : الأستاذ / محمد أحمد فرج السنهوري ، ص١١ ، طبع دار الجمهورية للطبع والنشر ، إصدار وزارة الإرشاد القومي مراقبة الشئون الثقافية بالقاهرة ، بدون .
٢ ـ صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء في الدين ، حديث رقم ٤٨٠٢.

ونسب هو الركن الحصين الأمن في الزواج ، والدين يدعوا إلى التآلف بين الزوجين ، والزوجة الصالحة التي تعرف ربها تحفظ لزوجها ماله وعرضه ، ولا تدعوه لمأكل أو مشرب حرام .

ولقد جعل الرسول ﷺ وصف الدين أساسا لطيب العيش ، وحصول المقصود من الزواج ، وهو وصف تتلاشى أمامه قيمة كل الأوصاف ، وتتضاءل أمام أهميته كل المقاييس التي وضعها الناس ، وعلى أساس الدين اختار عمر ﷺ لابنه عاصم زوجة تخاف الله ،وهي البنت التي سمعها تحذر أمها من خلط اللبن بالماء لأن الله يراها وهي تفعل ذلك إن لم يرها أمير المؤمنين ، وهذا الزواج المبارك كان من نتيجته الإمام الورع عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين في الدولة الأموية (١).

وخير ما تنكح عليه المرأة دينها وصلاحها وتقواها ، وإنابتها إلى ربها تبارك وتعالى ، مثل هذه تقر العين بها ، وتؤتمن على نفسها وعلى مال زوجها ، وتربية أولادها ، كي تغذيهم بالإيمان مع الطعام ، وتصب فيهم أحسن المبادئ مع اللبن ، وتسمعهم من ذكر الله تعالى ومن الصلاة على نبيه ﷺ ما يشربهم التقوى ويركز فيهم حب الإسلام إلى أن يموتوا ، والمرء يشيب على ما شب عليه ، وأن صفات الوالدين تنحدر إلى الأولاد (٢).

إن الدين هو الركن الحصين الذي يدعوا إلى التآلف والعطف والرحمة والمودة بين الزوجين

يقول الإمام الغزالي : وما نقلناه من الحث على الدين ، وأن المرأة لا تنكح لجمالها ، ليس زجرا عن رعاية الجمال ، بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين ، فإن الجمال في غالب الأمر يحصل المودة والألفة ، وقد ندب الشارع إلى مراعاة أسباب الألفة ، فهو مطلوب وبه يحصل التحصن ، والطابع البشري لا يكتفي بالدميمة غالبا ، كيف والغالب أن حُسن الخُلق وحُسن الخلق لا يفترقان (٣).

إن الجمال مطلوب في الاختيار بشرط ألا يكون على حساب الدين ، ويا حبذا لو اجتمع الجمال مع الدين والعقل ، وإنما الخلاف لو تعارض الدين مع الجمال فماذا نقدم ؟ لا شك أن العقل يقدم الدين والأخلاق وبعدها يتوجه لاختيار ما شاء من محاسن الصفات ، ويتجنب مساوئ وقبيح الصفات .

---

[١] - موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام : فضيلة الشيخ / عطية صقر ، ج١ ص١٧٣، طبع الدار المصرية للكتاب ، طبعة ثالثة سنة١٩٩١م .

[٢] - منهج التربية النبوية للطفل / الأستاذ / محمد نور بن عبد الحفيظ سويد ، ص٣٦ ، طبع دار بن كثير دمشق سوريا ، الطبعة الثانية سنة ١٩٩١م.

[٣] - إحياء علوم الدين : الإمام / أبو حامد الغزالي ، ج٢ ص٣٨ بتصرف، طبع دار الكتب العلمية – بيروت – سنة ١٩٨٦م .

٣٢٦ الاختيار على أساس الأصل والبيئة الصالحة :

ومن القواعد التي وضعها الإسلام في اختيار الزوج لزوجته ، أن يقوم الاختيار على انتقاء الزوجة من أسرة عريقة ، عُرفت بالصلاح والخُلق وأصالة الشرف وكرم الأصل لكون الناس معادن ، يتفاوتون فيما بينهم وضاعة وشرفا ، ويتفاضلون فسادا وصلاحا ، وقد نوه النبي ﷺ على هذا الأمر فعن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ، قال : (تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ ، إِذَا فَقِهُوا ، وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً ، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ ، وَيَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ)(١).

كما أرشد النبي ﷺ راغبي الزواج إلى أن يختاروا زوجات نشأن في بيئة صالحة وترعرعن في بيت عريق عُرف بالطيب والشرف والمعدن من أصل كريم ، فالإنسان ابن البيئة التي تربى ونشأ فيها ، وقد حذر رسول الله ﷺ من المرأة الحسناء في المنبت السوء، حتى لا ينخدع الشباب ببريق المال أو الجمال وخلافه ، لكن علينا أن نحسن الاختيار من البيئة الصالحة ، وذلك لأن أثر البيئة على الفرد أمر معروف .

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : (إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ " ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا خَضْرَاءُ الدِّمَنِ ؟ قَالَ : " الْمَرْأَةُ الْحَسْنَاءُ فِي الْمَنْبَتِ السُّوءِ)(٢).

وفي هذا توجيه كريم حتى لا نأخذ بالمظاهر كما يفعل المقبلين على الزواج في العصر الحاضر ،فإنهم يركزون على الجمال واللباقة وخلافة دون النظر إلى جوهر ونشأة هذه الفتاة فيحدث الخداع ، ولكن علينا أن نُحسن الاختيار من البيئة الصالحة .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : (تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ ، فَانْكِحُوا الأَكْفَاءَ ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ) (٣).

وعن ابن عمر ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو يوصي رجلا : (يَا فُلانُ أَقِلَّ مِنَ الذَّنْبِ تَكُنْ حُرًّا ، وَأَقِلَّ مِنَ الذُّنُوبِ يَهُنْ عَلَيْكَ الْمَوْتُ ، وَانْظُرْ فِي أَيِّ نِصَابٍ تَضَعُ وَلَدَكَ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ) (٤).

وهذا اعترافا بأثر الوراثة من النواحي البيولوجية على النشء ، كما يدعوا إلى الاغتراب في النسب ، حتى لا يضعف النسل وحتى تتسع دائرة العلاقات الاجتماعية ورابطة القربى (٥).

---

١ - صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب قول الله تعالى : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ، حديث رقم : ٣٣٢٥.

٢ - مسند الشهاب القضاعي : باب : إياكم وخضراء الدمن ، حديث رقم : ٨٨٨.

٣ - المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب النكاح ، حديث رقم : ٢٦١٨.

٤ - مسند الشهاب القضاعي : باب : اقل من الذنب تكن حرا ، حديث رقم ٥٩٩.

٥ - الأسرة والطفولة : د . زيدان عبد الباقي ، ص٧٣ ، طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ١٩٨٠م.

وانطلاقا من هذا المبدأ أوصى عثمان بن أبي العاص الثقفي أولاده ، في ت ٣٢٧ النطف وتجنب عرق السوء فقال لهم : (يا بني النكاح مغترس فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه ، والعرق السوء قلما يتجنب ، فتخيروا ولو بعد حين ([1]).

وعلى ضوء توجيه النبي ﷺ بالتحري في حُسن اختيار الزوجة لضمان النسل الصالح ، فقد توصلت الحقائق العلمية والنظريات التربوية في العصر الحديث إلى أن هذا التوجيه من الإعجاز العلمي في السنة المطهرة ، فعلم الوراثة أثبت أن الطفل يكتسب صفات أبويه الخلقية والجسمية والعقلية منذ الولادة .

فعندما يكون انتقاء الزوج أو اختيار الزوجة على أساس الأصل والشرف والصلاح ، فلا شك أن الأولاد ينشئون على خير ما ينشئون من العفة والطهر والاستقامة ، وعندما يجتمع في الولد عامل الوراثة الصالحة وعامل التربية الفاضلة ، يصل الولد إلى القمة في الدين والأخلاق ، ويكون مضرب المثل في التقوى والفضيلة ، وحُسن المعاملة ومكارم الأخلاق ([2]).

فما على راغبي الزواج إلا أن يحسنوا الاختيار ، وينتقوا رفيق الحياة إذا أرادوا الذرية الصالحة ، والسلالة الطاهرة ، والسعادة في الدارين .

٣- الاغتراب في الزواج :

ومن توجيهات الإسلام الحكيمة في اختيار الزوجة تفضيل المرأة البعيدة في النسب والقرابة ، حرصا على نجابة الولد وضمانا لسلامة جسمه من الأمراض والعاهات الوراثية ، وتوسيعا لدائرة التعارف الأسرية وتقوية الروابط الاجتماعية ، ولذلك فضل نبينا ﷺ المرأة بعيدة النسب فقال :(**اغْتَرِبُوا لَا تُضْوُوا**) ([3]). أي تزوجوا الغرائب ولا تضووا : تأتوا بأولاد ضاوين مهازيل ، وقد أثبت علم الوراثة كذلك أن الزواج بالقرابة يجعل النسل ضعيفا من الناحية الجسمية والعقلية ، ويورث الأولاد صفات خُلقية ذميمة ، وعادات اجتماعية مستهجنة ، ويعد هذا أيضا من المعجزات الباهرة للنبي ﷺ .

٤- تفضيل ذوات الأبكار:

وقد وجه الإسلام في اختيار الزوجة بتفضيل المرأة البكر على المرأة الثيب ، لحكم بالغة وفوائد عظيمة ، منها حماية الأسرة مما ينغص عيشها ، ويعرضها للخصومات وينشر في أجواها المشكلات ، وكذلك تقوية أواصر المحبة الزوجية ، لأن البكر مفطورة على الألفة والأنس بأول إنسان تكون في عصمته بعكس المرأة الثيب .

---

[1] - الأسرة في الإسلام : الأستاذ / أمين إبراهيم المصلحي ص٧٩ ، طبع دار الصابوني بالقاهرة ، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥م.

[2] - تربية الأولاد في الإسلام : د. عبد الله ناصح علوان ، ج٢ ص٤٢ ، طبع دار السلام بالقاهرة ، طبعة سابعة سنة ١٩٨٤م.

[3] - غريب الحديث : باب الراء : حديث رقم ٤٧٤

٣٢٨ وقد أكد النبي ﷺ على مزايا الزواج بالأبكار فقال ﷺ : (عَلَيْكُمْ بِالأَبْكَارِ ، فَإِنَّهُنَّ أَعْذَبُ أَفْوَاهًا ، وَأَنْتَقُ أَرْحَامًا ، وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ) (١).

والزواج بالبكر يولد المحبة ويقوي جانب الإحسان والعفة (٢).

٥ـ تفضيل الزواج بالمرأة الودود الولود :

إن المرأة سليمة الجسم جيدة الصحة غالبا ما تكون من النوع الولود الودود ، فالعقل السليم في الجسم السليم كما يقولون ، وبذلك تنهض المرأة بأعبائها العائلية والمنزلية وحقوقها الزوجية ، وواجباتها التربوية على أكمل وجه .

عن معقل بن يسار ، قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب إلا أنها لا تلد أفأتزوجها ؟ فنهاه ثم أتاه الثانية ، فنهاه ثم أتاه الثالثة ، فقال ﷺ: (تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ) (٣).

٦ـ تفضيل المرأة المثقفة الفاهمة لأمور دينها وحقوق زوجها على غيرها :

وكذلك يجب التحري في اختيار المرأة المثقفة لتنشر نور العلم بين أبنائها ، وتتابع معهم العملية التربوية ، كما أنها تكون أكثر فهما وتفهما لزوجها من حيث التعامل مع الأمور الحياتية ، ولن تكون فاهمة أمور دينها ، عالمة بالبيئة التي تعيش فيها وبما يدور حولها من أحداث ، فهي لبنة من لبنات مجتمعها ، تتأثر به وتتأثر بها .

ولقد حرص الإسلام على أن تحتفظ المرأة مع العلم والثقافة بحيائها وعفتها وطهرها ونقائها ورسالتها في الحياة كأم وربة منزل ، وأن تكون ثقافتها وخوضها في أنواع العلوم ما يصلح منها للمرأة (٤).

ومن حق الزوج أن يبتغي الثقافة في زوجته ، لأن الثقافة تعينها على تدبير المنزل ، وتربية الولد تربية صالحة ، وللمرأة أن تتعلم ما تشاء من العلوم بالطريقة التي تلائم كمالها ، ومما صدر من الخواطر : أن الرجل والمرأة كبيت من الشعر ، ولا يحسن في البيت من الشعر أن يكون شطره محكما والشطر الأخر متخاذلا (٥).

والرسول ﷺ امتدح نساء قريش لما يتمتعن به من صفات جيدة تجاه أولادهن بالحنان وأزواجهن بالرعاية فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ) (٦).

---

١ ـ سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب تزويج الأبكار ، حديث رقم : ١٨٥٧.

٢ ـ تربية الأولاد في الإسلام : د . عبد الله ناصح علوان ، ج١ ص٤٥ ، مرجع سابق .

٣ ـ السنن الكبرى للنسائي : كتاب النكاح ، باب النهي عن تزويج المرأة التي لا تلد ، حديث رقم : ٥١٩٨.

٤ ـ السعادة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة : د . موسى شاهين لاشين ص٥٠ ، طبع مكتبة الإيمان للطباعة والنشر بالقاهرة ، طبعة أولى ٢٠٠٧م

٥ ـ دراسات في الشريعة الإسلامية : الإمام الشيخ / محمد الخضر حسين . ص٩٨ ، طبع المطبعة السلفية بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ١٩٣٦م.

٦ ـ صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب إلى من ينكح ، حديث رقم ٤٧٩٥.

كانت هذه أهم الأسس الإسلامية الصحيحة في اختيار شريك الحياة ، على الدين والخُلق والأصل والبيئة الصالحة والبكر لتكوين الأسرة المسلمة والذرية الصالحة ، وهذه الأمور هي حجر الأساس الذي تبنى عليه البيوت ، وتتكون منه الأسر المسلمة والمجتمع الفاضل الذي يقوم على المرأة الصالحة والرجل الصالح .

ثانياً : أسس اختيار الزوج في الإسلام :

وكما أرشد الإسلام بمنهجه الحكيم راعي الزواج إلى اختيار الزوجة الصالحة ، المطبقة لقواعد الدين قولا وعملا ، أرشد أولياء أمور البنات أيضا أن يختاروا لبناتهم الأزواج ذوات الدين والخلق .

وجه النبي ﷺ أولياء أمور المخطوبة بأن يبحثوا عن الخاطب ذي الدين والخُلق ، ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة ، وأداء الحقوق الزوجية ، وتربية الأولاد والقوامة الصحيحة في الغيرة على الشرف ، وتأمين حاجات البيت بالبذل والإنفاق ، فعن أبي حاتم المزني قال : قال رسول الله ﷺ: (إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ " " ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ ؟ قَالَ : " " إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ " ، ثلاث مرات) ([1]).

وفي هذا الحديث يؤكد النبي ﷺ هذا المعنى في نفوس أصحابه ، وهو اختيار الزوج الصالح صاحب الدين والخلق على غيره في زواج بناتهم ، وأن يحولهم من قياس الرجال بمقياس الغنى والجاه إلى مقياس الدين والأخلاق ، فعن سهل ﷺ قال :(مر رجل على رسول الله ﷺ ، فقال : ما تقولون في هذا ؟ " قالوا : حري إن خطب أن ينكح ،أي إن خطب بنت أحد أن يجاب ولا يرد - وإن شفع أن يشفع ، وإن قال أن يستمع ، قال : ثم سكت ، فمر رجل من فقراء المسلمين ، فقال : " ما تقولون في هذا ؟ " قالوا : حري إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يستمع ، فقال رسول الله ﷺ: " هذا ـأي الفقير - خير من ملء الأرض مثل هذا ـأي الغني -) ([2]).

وأي فتنة أعظم على الدين والتربية والأخلاق من أن تقع الفتاة المؤمنة بين براثن خاطب متعال ، أو زوج لا يرقب في مؤمنة إلا ولا ذمة ، ولا يقيم للشرف والغيرة والعرض وزنا ولا اعتبارا ؟

وأي فتنة على المرأة الصالحة من أن تقع في عصمة زوج إباحي فاجر يكرهها على السفور والاختلاط ، ويجبرها على احتساء الخمر ، ومرافصة الرجال ، كما يجبرها على التفلت من قيد الدين والأخلاق ؟

---

[1] - سنن الترمذي ، أبواب النكاح ، باب : ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه ، حديث رقم : ١٠٤١.

[2] - صحيح البخاري مكتاب: النكاح ، باب: الأكفاء في الدين ، حديث رقم : ٤٨٠٤.

فكم من فتاة ويا للأسف كانت في بيت أهلها مثالا للعفة والطهر ، فلما انتقلت إلى بيت إباحي ، وزوج متحلل فاجر ، انقلبت إلى امرأة متهتكة مستهترة ، لا تقيم لمبادئ الفضيلة أية قيمة ، ولا للعفة والشرف أي اعتبار .

ومما لا شك فيه أن الأولاد حين ينشئون في مثل هذا البيت المتحلل الماجن الآثم فإنهم سينشئون لا محالة على الانحراف والإباحية ، ويتربون على الفساد والمنكر .

إذن فالاختيار على أساس الدين والأخلاق من أهم ما يحقق للزوجين سعادتهم الكاملة المؤمنة ، و لـلأولاد تربيتهم الإسلامية الفاضلة ، وللأسرة شرفها الثابت واستقرارها المنشود (١).

فالمعيار الأفضل في اختيار الزوج هو التدين ، وكرم الأخلاق وشرف الأصل ، جاء رجلا إلى الحسن بن علي ﷺ فقال خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها ؟ فقال له : زوجها ممن يتقي الله ، فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها ، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، أنها قالت :

(إِنَّمَا النِّكَاحُ رِقٌّ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ أَيْنَ يُرِقُّ عَتِيقَتَهُ) (٢).

* عواقب الاختيار المخالف لمنهج الإسلام في الواقع المعاصر :

وبعد أن بينا أسس اختيار الزوجين في منهج الإسلام الحكيم ، والذي يحقق السعادة في الدارين ، والاستقرار وينتج الذرية الصالحة التي تترعرع بين أبوين مؤمنين صالحين ملتزمين بضوابط الدين ، والخلق الإسلامي الكريم ، ومن هنا يكون البناء السليم للمجتمع الإسلامي ، المترابط المتعاون على البر والتقوى ، وكان توجيه الإسلام لراغبي الزواج في اختيار الزوجة التي تتصف بصفات الأصل والشرف والبيئة الصالحة وغيرها ، كما وجه الإسلام أولياء أمور المخطوبة باختيار الزوج المتدين صاحب الخلق والسيرة الطيبة ، ولذلك كان صحابة النبي ﷺ يعرضون بناتهم على المؤمنين الصادقين والصحابة الأطهار المخلصين الذين اتصفوا بالخلق الكريم ،والتدين الصادق ، الذي طبقوه على أرض الواقع مقتدين بسيدنا محمد ﷺ .

وقد وجد من يخالف منهج الإسلام في أسس اختيار الزوجين خاصة في العصر الحاضر ، ومن هنا وقعت مشكلات كثيرة وعواقب وخيمة ، وانهارت أغلب الأسر المسلمة من جراء سوء الاختيار ، والنظر إلى ماديات الحياة التي أفسدت القلوب وغيرت النفوس ، ودمرت المجتمع ، وكذلك مظاهر الحياة ، والتقليد الأعمى للغرب وأحلام اليقظة في اختيار الزوجة الجميلة دون النظر إلى الدين والأصل وكذلك قامت نظرة الفتاة في اختيار الزوج على نفس الأسس ، فجني كلا الزوجين عواقب المشكلات الزوجية التي تؤدي غالبا إلى الطلاق ، والإحصائيات تتحدث عن الكثير في هذا الشأن .

---

١ - تربية الأولاد في الإسلام : د. عبد الله ناصح علوان ، ج١ ص٤١ ، مرجع سابق .

٢ - السنن الكبرى للبيهقي : كتاب النكاح باب : الترغيب في التزويج ، حديث رقم : ١٢٦٠٥.

وسوف أذكر بعضا من النماذج التي خالفت منهج الإسلام في اختيار الزوجين [1] فيما يلي :

١- الزواج بالأجنبيات :

يريد بعض راغبي الزواج أن يتزوجوا أجنبيات عن الوطن والبيئة الإسلامية التي نشأوا فيها من اليهوديات والمسيحيات ، أو غيرهن من أصحاب النحل الأخرى من أوربا وأمريكا والصين وغيرها ، وحجتهم في ذلك إنها أدرى بالواجبات الزوجية ، وأقدر على إدارة البيت ورعاية الأولاد من المرأة الشرقية والمسلمة ، ولهذا الزواج أخطاره لتأثير هؤلاء على أزواجهم في عقيدتهم وسلوكهم ، والميل بعواطفه نحو وطنها وقومها ، وهذه الزوجة تقوم بتنشئة الأولاد على ما تريد هي، لأنها أشد أثرا في تربيتهم من الرجل فتعلمهم على ما نشأت عليه من المدنية الحديثة ، وفيها ما يتنافى مع الإسلام ، وقد يكون في سلوكها أمورا لا يقرها الإسلام .

وهنا يعيش الرجل – إذا كان متدينا – في معركة نفسية بين الإبقاء عليها مع أخطارها أو طلاقها وهو محتاج إليها ، والأمثلة والنماذج كثيرة تفصح عنها الإحصائيات .

إن الزواج بالأجنبيات يؤدي إلى انحلال العصبية الإسلامية وهو ما كان سببا في سقوط دولة الأندلس ، فإن تزويج الأمراء بالمسيحيات كان كثيرا ، ومن الأمراء من أمه نصرانية ، مثل عبد الرحمن الناصر ، وحفيده هشام المؤيد ، فقد كانت المسيحية تتشيع لأصلها ، وتكيد للمسلمين ، ومنهن ثريا الرومية بنت أحد قواد أسبانيا ، تزوجها أبو الحسن علي بن سعد النصري الأحمري ملك غرناطة الذي تولى سنة ١٤٦٦م-٨٧١هـ ، تزوجها مع زوجته الحرة عائشة بنت عمه السلطان أبي عبد الله الأيسر ، وكان لدسائسها أثرا كبيرا في الحرب الأهلية في غرناطة ، وحوادث أخرى انهارت بسببها الدولة سنة ٨٩٧هـ-١٤٩٢م [2].

إن هؤلاء الأزواج يرغبون في هذا الزواج لأغراض شخصية مادية ، كالحصول على جنسية الزوجة أو لتحصيل مبلغ مادي ، أو غير ذلك ، وكل هذا يؤثر على نسل المسلمين ، وينشر الأمراض الخطيرة بينهم ، وهذا مشاهد ومعروف ، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول : (مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً لِعِزِّهَا لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا ذُلًّا ، وَمَنْ تَزَوَّجَهَا لِمَالِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا فَقْرًا ، وَمَنْ تَزَوَّجَهَا لِحَسَبِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا دَنَاءَةً ، وَمَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً لَمْ يَتَزَوَّجْهَا إِلَّا لِيَغُضَّ بَصَرَهُ أَوْ لِيُحْصِنَ فَرْجَهُ ، أَوْ يَصِلَ رَحِمَهُ بَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِيهَا ، وَبَارَكَ لَهَا فِيهِ) [3].

* أخطار زواج المسلم بالأجنبية :

إن زواج المسلم بالأجنبية له أضرار كبيرة وأخطار عظيمة على المسلم والدين والأبناء ، وهو كارثة كبرى واعتداء على حق المسلمات .

---

[1] - موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام : الشيخ / صلاح مقر ، ج١ ص١٧١ ، مرجع سابق .

[2] - المعجم الأوسط للطبراني : حديث رقم ٢٣٨٢

٣٣٢ إن الفوارق بين المسلم وبين هذه الأجنبية فوارق كبيرة ، فهما مفترقان في الدم والدين واللغة ، وهي تخالفه في الإحساس والشعور ، وفي النشأة والتربية ، وزفي الأخلاق والعادات والتقاليد ، وكيف يتزوج المسلم من قوم ينظرون إلينا على أننا دونهم ؟ وكيف يتزوج المسلم من قوم يحتلون بلادنا ، ويغتصبون أعراضنا ، وينهبون ثرواتنا ؟ إن مثل هذا الزواج لا يحقق المقاصد التي شرع الله الزواج من أجلها ، ولا يرتبط الزوجان في هذا الزواج بالرباط الروحي الصحيح ، ولن ينال المسلم من هذا الزواج إلا لوثة دينية ، فمن حق هذه الأجنبية أن تأكل وتشرب في بيته ما هو حل لها ومحرم عليه ، وكذلك من حقها أن تقيم شعائر دينها، وبهذا تصبح حياته المنزلية خليطا من إيمان وكفر، ثم من يدري ماذا تكون العاقبة ؟ وما الذي تجر إليه المجاملة ؟ أو يدفع إليه سلطان المرأة ،ومهما كان أمر ما بينهما من الروابط الروحية الحقة فإنه على أية حال مفتون بها ، وهو لابد متودد إليها ، وفي هذا التودد نقصان دينه ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ المجادلة من الآية : ٢٢.

ثم تأتي كارثة الأولاد وتربيتهم ، فهم في يدها عجينة لينة طيعة ، تغرس في نفوسهم منذ الطفولة الأولى ما تحب وتهوى ، ويألفون من أعمالها وسيرتها ما يطغي على تعليم دينهم ، ويطغئ نور الإيمان في قلوبهم ، فلا نلبث حتى نرى نسلا عجينا ، لا يأبه لدينه ، ويفاخر بأقوام أمه ، ويولي ظهره لأبائه وأجداده ، ويتنكر لوطنه .

وفي الزواج بهؤلاء الأجنبيات محاربة سافرة لفتياتنا ، وجرح لكرامتهن على غير جرم ، وما يتغنى به بعض المفتونين من شبابنا تفضيلا للأجنبيات عليهن ليس إلا خيالا ووهما وأباطيل في أضاليل (١).

ومن هنا أجمعت الأمة الإسلامية على عدم إباحة زواج المشركة من المسلم ، ولا سيما في مثل هذه الظروف التي يتعرض فيها الإسلام لأخطار وكيد من أعدائه ، ومثل هذه الزيجات قد تهيئ الفرص للتحلل من الدين أو عدم التمسك به ، وقد تساهم الزوجة الكتابية في ضياع عقيدة أبنائها ، أو توجههم إلى سلوكيات مخالفة تماما لتعاليم الإسلام مما يتسبب في إخراج أجيال مفقودة العقيدة والهوية ، يسهل توجيههم لتحقيق مراد أعداء الإسلام وغايتهم .

وقد قرر علماء المسلمين أنه يحرم زواج الأجنبيات إذا كان عدد رجال المسلمين قليلا ، وعدد النساء كبيرا ، لأن زواج المسلم بأجنبية سيحرم المسلمة المؤمنة

---

١ - الأسرة في التشريع الإسلامي : الأستاذ/محمد أحمد السنهوري ، ص١٦:١٨ باختصار ، مرجع سابق .

الزواج ، ويعرضها للضياع والبوار ، لأنه لا يحل لها أن تتزوج غير المسلم ، وقد ٣٣٣
ثبت أن بلدا مسلما وهو مصر الآن ارتفع عدد العوانس فيه إلى أكثر من أربعة مليون عانس ، وقد ثبت عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قلت لعمر بن الخطاب ﷺ أن لي كاتبا نصرانيا ، قال : مالك قاتلك الله ، ألا اتخذت حنيفا ألا سمعت قول الله تعالى :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ) ، قلت : له دينه ولي كتابته ، فقال : لا أكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذا أذلهم الله ، ولا أدنيهم إذا أبعدهم الله ، قلت : لا يتم أمر البصرة إلا به ، فقال : مات النصراني والإسلام .؟ يعني هب أنه قد مات فما تصنع بعده ؟!، فما تعمله بعد موته فاعمله الآن واستغن عنه بغيره ([1]).

فأيهما أكثر ضرار الزوجة الأجنبية التي تربي أبناءها على تعاليم الشرك ، وتبعدهم عن الإسلام ، وتحطم كيان المجتمع الإسلامي بإخراج أجيال لا صلة بينها وبين الإسلام ، أم هذا العامل الاقتصادي الذي يدفع الزوج لتزوجها موالاة لها ومودة وقد نهينا عن ذلك ([2]).

*ومن الأخطاء التي تقع فيها الأسرة المسلمة : تسمية الأبناء والبنات بأسماء أجنبية وترك الأسماء الإسلامية ، فيؤثر ذلك على انتماء الطفل للأمة الإسلامية ، مما يفسح المجال لنسيان أسماء أعلام المسلمين ، وإهمال سنة النبي ﷺ مع التقليد الأعمى للغرب ، لأن الأسماء الأجنبية لا شأن لنا بها ولا شأن لها بنا ، وقد انتشرت في المجتمع الإسلامي ، وفي المستقبل قد نجد الجيل بأكمله بنين وبنات أسماء أجنبية لا معنى لها في لغتنا العربية ، وأيضا نجد أن استيراد الأسماء الأجنبية يضيع الأسماء العربية ، وإذا لم نسم أبناءنا بالأسماء العربية فمن سيسمي هذه الأسماء ؟ ([3]).

٢- الزواج على أساس المدنية :

يريد بعض راغبي الزواج أن تكون له زوجة متمدينة ، متحضرة ، متطورة اجتماعية لا رجعية ، تجيد الإتيكيت ، وتفهم البروتوكول ليكون مرقوع الرأس بين أقرانه ، إن زاروه فتبادلهم التحية ، وتظهر أمامهم بملابس العصر المناسبة ثم تشاركهم الحديث والرقص ، وهو يفتخر بها حينما يخرج معها وهي بشكل جذاب ولمساحيق لافته للأنظار ، إلى آخر ما يراه الناس ويشمئز منه العقلاء .

إنه يريدها بهذا الوصف الذي قد تختفي معه الأوصاف الكاملة للمرأة التي توفر لزوجها وأولادها وبيتها الهدوء والسعادة الحقيقية ، لا السعادة الزائفة ، إن هذه المرأة لا تحقق

---

[1] - مفاتيح الغيب : الإمام / فخر الدين الرازي ،ج٦ ص٤٨، طبع دار الفد العربي بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ١٩٩٠م.

[2] - الإسلام والحياة : د . محمد فؤاد شاكر ، ص١٩، ٢٤، طبع دار القمر للنشر والتوزيع بالقاهرة ، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩م .

[3] - أسرتنا بين الدين والقلق : د . محمد سليم العوا ص١١٨ بتصرف ، طبع دار المعرفة بيروت ، طبعة أولى سنة ٢٠٠٨م.

رسالة البيت كما يريدها الإسلام ، والواقع المر يشهد بذلك (١) كأنها للعرض والمتعة للجميع .

وكثيرا من الأزواج على هذه الشاكلة كزواج المتعة ، والزواج العرفي والزواج السري ، وغير ذلك مما لا يخفى على العقلاء .

المبحث الثاني
أهداف الأسرة في الإسلام

للزواج في الإسلام أهداف عظيمة ، وقد بلغ من تعظيم الإسلام للزواج الشرعي وتكوين الأسرة المسلمة أن اعتبرها معادلة لنصف الإيمان ، وقد وضح النبي ﷺ ذلك في الحديث الذي رواه أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ امْرَأَةً صَالِحَةً ، فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي) (٢).

والزواج في الإسلام ليس غاية جنسية بين الزوجين ، وإن كان هذا هدفا ثانويا تلبية لدوافع الجسد ، وإنما له أهداف سامية يمكن الوقوف عليها فيما يلي(٣) :

١) تحقيق التماسك والترابط الاجتماعي :

وتوثيق روابط الأخوة بالمصاهرة والنسب دون تفرقة بسبب الجنس أو اللون أو اللغة أو الأصل ، فالمسلم أخو المسلم لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح ، فالكل سواسية كأسنان المشط .

ومن أجل توثيق روابط الأخوة بين أبناء الدين الواحد حث الإسلام على الزواج من الغرائب ، لأنه يتحقق بهن ما لا يتحقق بزواج ذوي القربى بعضهم من بعض الذين لهم من صلة الرحم ما يكفي لتعاونهم وتضامنهم ، في حين أن المرأة الغريبة يكون الزواج بها سببا في إيجاد صلات جديدة لم تكن قائمة من قبل بين العائلات والقبائل ، وبين الشعوب والأجناس ، وبذلك يزداد المجتمع الإسلامي قوة على قوة وأخوة على أخوة .

ولقد كان النبي ﷺ خير قدوة في تحقيق الهدف الاجتماعي من تكوين الأسرة ، فقد تزوج بالسيدة عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر الصديق ﷺ ، كما تزوج من السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين ، وبذلك ارتبط بصاحبيه الكبيرين برباط المصاهرة معززا إخوته لهم في الله .

وهكذا حزى الصحابة حزو نبيهم فارتبطوا فيما بينهم برباط المصاهرة ، فكان ذلك من أقوى أسباب تماسك بنيانهم وتساند صفوفهم ، وتآلف أرواحهم كما وصفهم رسول الله ﷺ كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

---

١ ـ موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام : الشيخ / عطية صقر ، ج١ ص١٧٠ مرجع سابق .

٢ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب النكاح ، حديث رقم : ٢٦١٣ .

٣ ـ أهداف الأسرة في الإسلام : الأستاذ / حسين محمد يوسف ، ص٨١ وما بعدها بتصرف واختصار ، طبع دار الاعتصام بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ١٩٧٧م .

٢) تحقيق الهدف السياسي من الزواج :

كما يعتبر الإسلام تكوين الأسرة وسيلة إلى أهداف سياسية هامة ، لها أثرها في عزة الأمة وسيادتها .

فقد بدأت الجماعة الإسلامية بعدد قليل ، وواجهت الشرك والمشركين وهم أكثر عددا وعدة وقوة ومالا ، فقد لحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى وكان عددهم بين ٦٠:١٢٠ ألف ، واجهت حروبا شتى ومعارك ضد المشركين واليهود ، والفرس والروم ، وغيرهم لإعلاء كلمة الله ، وقد استشهد الكثير من المؤمنين ، ولولا النفر الصالح الذي تركه المسلمون الأوائل والذين أثروا الأمة الإسلامية بالبطولة وحققوا لها النصر لواجهها الفناء ، وقد فني كثير منهم كذلك في حروب الردة ، واستشهد آخرون في حروب الفتح الإسلامي ، واجتثت المعارك التي وقعت بين المسلمين في موقعتي الجمل وصفين بتأثير الفتن التي دبرها ابن سبأ اليهودي الجزء الأكبر من البقية الباقية من الصحابة ، حتى لم يبق فيهم بدري واحد ، وحتى استشهد أغلب القراء في تلك الصراعات الدامية ، ولكن الله تعالى سلم ، وعوض الأمة الإسلامية بالذرية المباركة - عن طريق الزواج - التي خلفها هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، والذين ورثوا عن آبائهم البطولة والإيمان .

وفي الزواج تكثير لعدد المسلمين ، وتعويضا للأمة عما تفقده من رجالها خاصة في العصر الحاضر الذي كثرت فيه الحروب وتكالب فيه أعداء الإسلام على بلاد المسلمين يقتلون ويعتقلون ويأسرون الرجال والأطفال والنساء بسبب وهن المسلمين .

كما أن في الزواج إدخال السرور على قلب النبي ﷺ القائل فيما رواته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (النكاح من سنتي ، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني ، وتزوجوا ، فإني مكاثر بكم الأمم ، ومن كان ذا طول فلينكح ، ومن لم يجد فعليه بالصيام ، فإن الصوم له وجاء) ([1]).

ومن الملاحظ في العصر الحديث أن الكفار من شرق وغرب وأذنابهم في بلاد المسلمين يروجون فكرة تحديد النسل بين المسلمين ، وفي الوقت نفسه يشجعون الكفار على الإنجاب ، ويزيدون لهم المال والإغراءات ، وذلك لكي يقل عدد المسلمين ، ويزداد عدد الكفار ، ولهذا حض النبي ﷺ على الإنجاب ليكون عزا للمسلمين ، وقوة ومناعة لهم ، فعن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (ما ولد في أهل بيت غلام إلا أصبح فيهم عز لم يكن) ([2]).

وهكذا كان التكاثر في النسل من أهم العوامل التي حفظت للقلة المؤمنة كيانها ، وعاونتها على البقاء ، رغم ما قدمته من تضحيات في سبيل الله ، فقد عوضها

---

[1] - سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب: ما جاء في فضل النكاح ، حديث رقم : ١٨٤٦.

[2] - المعجم الأوسط للطبراني ، حديث رقم : ٧٥٣٦.

٣٣٦ التكاثر أكثر مما فقدته ، فاستطاعت الإبقاء على لواء الحق عاليا ، وأن تقوض عروش الباطل ، وتهزم جيوشه رغم تفوقها في العدة والعدد .

٣) تحقيق الهدف الاقتصادي من الزواج :

ولا شك أن تكوين الأسرة يحقق أهداف اقتصادية لها قيمتها في حياة الأفراد ، ولها فاعليتها في كيان الأمة ، ويتمثل ذلك في توجيه النبي ﷺ فعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ: (تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَكُمْ بِالْمَالِ) (١).

أي إن الزواج من أسباب البركة وحُسن التدبير ، فقد جاء رجلا إلى رسول الله يشكو له الفاقة فأمره أن يتزوج ، والمعنى أن الزواج بالنساء من أسباب البركة ، وهذا لا يخفى على أهل الإيمان ، فإن الزواج باعتباره عاصما للنفوس من الخواطر ، وللفروج من الفاحشة ، سيرتفع بالمستوى الروحي للزوجين ويعينهما على تقوى الله ، وهي سبب كل خير وأصل كل فضيلة .

ومن ناحية أخرى فإن الموارد البشرية ثروة عظيمة لتوفير الأيدي العاملة اللازمة للاستصلاح الأراضي واستثمار الموارد واستخراج الثروات الطبيعية برا وبحرا ، وفي كل هذا وغيره قوة للأمة ونهضة لها لرفع مستواها في تحقيق الاكتفاء الذاتي لضروريات الحياة ، وحماية لها من سيطرة الأعداء عليها حتى تستغني الأمة وتعز بسواعد أبنائها ، ولا تعيش على فتات موائد الأعداء وتحت رحمتهم .

٤) تحقيق الهدف الخُلقي من الزواج :

يعتبر الإسلام بناء الأسرة وسيلة فعالة لحماية الشباب من الفساد ، ووقاية المجتمع من الفوضى والانحراف ، وضياع الأنساب والتوتر وعدم الاستقرار ، حيث تشبع الغريزة الجنسية في إطار يقره الدين والمجتمع ، ومن هنا كان توجيه النبي ﷺ للشباب ، فقد قال عبد الله : كنا مع النبي ﷺ شبابا لا نجد شيئا ، فقال لنا رسول الله ﷺ: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ) (٢).

إن ما تعانيه الدول الغربية من آثار سلبية للتحرر والفوضى التي تسود بلادهم ليس ببعيد عنا ، حيث انهارت الأسرة وضعف كيانها ، وسادت الأنانية وانتشرت الأمراض التناسلية ، وكثر الأبناء غير الشرعيين ، وانتشرت العلاقات غير الموثقة تهربا من المسئولية ، بل تفشى الشذوذ والفوضى الجنسية في بعض المجتمعات الغربية ، وكثرت حالات الإجهاض

ومن هنا كان حرص الإسلام على تكوين الأسرة كوسيلة وحيدة لإقامة العلاقات الزوجية المقدسة بين الجنسين لحماية المجتمع الإسلامي من البلاء والفوضى والتفكك الأسري ، وتفشي الرذائل التي تعاني منها الدول غير الإسلامية ، ولذلك انتشرت الفضائل و وازدهرت القيم وتم تحصين الأعراض ، وصيانة الحرمات .

---

١ - المستدرك على الصحيحين للحاكم : كتاب النكاح ، حديث رقم ٢٦١١.

٢ - صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب : من لم يستطع الباءة فليصم ، حديث رقم : ٤٧٨١.

٥) تحقيق الهدف الصحي من الزواج :

ويهدف الإسلام من تكوين الأسرة المسلمة إلى صيانة صحة الشباب وقوتهم بصفه خاصة والمسلمين بصفة عامة ، حتى لا تفتك بهم الأمراض الخبيثة والأوبئة الجنسية من جراء عادات ضارة وخطيرة ، ولحماية المجتمع والبيت وحفظ طهارته ونقواه ، ولذلك روى ابن عمر ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:(مَا ظَهَرَتْ الْفَاحِشَةُ فِيْ قَوْمٍ قَطُّ يَعْمَلُ بِهَا فِيْهِمْ عَلاَنِيَةً ، إِلاَّ ظَهَرَ فِيْهِمْ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِيْ لَمْ تَكُنْ فِيْ أَسْلاَفِهِمْ.....) (١)

ونتيجة العلاقات الجنسية خارج الأسرة انتشرت الأمراض الجنسية في الغرب بصورة وبائية ، رغم تقدم الوسائل العلمية والطبية ، وذلك نتيجة طبيعية لشيوع العلاقات غير الشرعية لاسيما بين الشباب والفتيات غير المتزوجات ، ويؤكد ذلك تقارير منظمة الصحة العالمية *، قال تعالى :﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء :٣٢.

٦) تحقيق الهدف الروحي من الزواج :

يعتبر الإسلام بناء الأسرة خير وسيلة لتهذيب النفوس وتنمية الفضائل الإنسانية ، حيث تقوم الحياة في محيطها على التعاطف والتراحم والتضحية والإيثار ، والحب والمودة بين أفرادها ، حيث يتعود أفرادها تحمل المسئوليات والتعاون في أداء الواجبات ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أنه : سمع رسول الله ﷺ يقول : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ فِيْ أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِيْ بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُوْلَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِيْ مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)(٢).

إن قيام الآباء بتربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة صالحة ، وتحمل الصعاب في سبيل عيشهم ، كل ذلك من موجبات رحمة الله تعالى وعفوه ، فضلا عما فيه من نقلا للأرواح ، وتصفية للقلوب ، ورفعا للدرجات ، وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ فيما رواه أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ:(إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوْبًا لَا تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَلَا الصِّيَامُ وَلَا الْحَجُّ وَلَا الْعُمْرَةُ " قَالُوْا : فَمَا يُكَفِّرُهَا يَا رَسُوْلَ اللهِ ؟ قَالَ : " الْهُمُوْمُ فِيْ طَلَبِ الْمَعِيْشَةِ) (٣).

---

١ - شعب الإيمان للبيهقي ، باب : التشديد على منع الزكاة ، حديث رقم : ٣١٥٨.

* راجع الإحصائيات في بحث: أضواء على التربية الأخلاقية للشباب المعاصر ، من خلال قصة سيدنا يوسف إعداد المؤلف.

٢ - صحيح البخاري ، كتاب : الاستقراض وأداء الديون ، باب : العبد راع في مال سيده ، حديث رقم : ٢٣٠٠.

٣ - المعجم الأوسط للطبراني ، حديث رقم ١٠١ ؛

وفي الحث على التفاني وبذل المزيد من الجهد في تربية البنات وإكرامهن ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: (مَنْ كَانَتْ لَهُ بِنْتٌ ، فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهَا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي أَسْبَغَ عَلَيْهِ ، كَانَتْ لَهُ سِتْرًا وَحِجَابًا مِنَ النَّارِ) ([1]).

أما إذا مات بعض الأبناء في حياة آبائهم ، فإن في ذلك خير يشرى للآباء والأمهات بنجاتهم من النار ، وبوجه عام فإن حياة الرجل في أسرته كلها من أعظم القربات إلى الله تعالى ، فرعايته لأبنائه صدقة ، ومؤانسته لهم صدقة ، وسقيه الماء لزوجته صدقة ، ووضعه اللقمة في فمها صدقة ، بل إن في اتصاله بها صدقة وقربة إلى الله تعالى وإعفافا للنفس ، فمن حديث أبي ذر الغفاري ﷺ أن النبي ﷺ قال : (..... وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ : " أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ) ([2]).

وقول الإمام النووي في معنى هذا الحديث : وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات ، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ، ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به ، أو طلب ولد صالح ، أو إعفاف نفسه ، أو إعفاف زوجه ، ومنعهما جميعا من النظر إلى حرام ، أو الفكر فيه أو الهم به ، أو غير ذلك من المقاصد الصالحة ([3]).

ويضيف الإمام الماوردي مؤكدا ما يقوله الزوج عند جماع زوجته : وأن ينوي في ذلك كله نية الولد وأن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ، وينوي في الولد أن الله لعله يرزقه من يعبد الله ويوحده ، ويجري على يديه صالح الخلق ، وإقامة الحق وتأييد الصدق ، ومنفعة العباد وعمارة البلاد ([4]).

ومن ناحية أخرى فإن الإسلام في عدله وسماحته جعل للنساء من الأجر في تكوين الأسرة ما لا يقل عن أجر الرجال ، وذلك عوضا على ما يتحملن من مشقة الحمل والولادة والرضاعة والسهر على الولد وغير ذلك .

٧) تحقيق هدف التعاون من الزواج :

ولقد شرع الإسلام الزواج بهدف تحقيق التعاون على مهام الحياة للخلافة في الأرض ، وهو كما يكون بالتناسل ، يكون بتكوين الأسرة حتى مع عدم التناسل ، ولهذا التعاون عدة مظاهر أذكرها فيما يلي :

أ- تحمل الزوجة شطرا من عبء الحياة ليتفرغ الزوج إلى المهام الأخرى التي يفيد منها المجتمع وتفيد الأسرة ، والتعاون قدر مشترك بين الرجل

---

[1] - حلية الأولياء ، حديث رقم : ٦٥٢٩.

[2] - صحيح مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، حديث رقم : ١٧٣٦.

[3] - صحيح مسلم بشرح النووي ، ج٤ ص١٠١.

[4] - نصيحة الملوك : الإمام / أبو الحسن الماوردي ، ص٦٦ ، تحقيق : الشيخ / خضر محمد خضر .

والمرأة ، وتقسيم الكفاح بينهما هو عون أكيد على سهولة الحياة ويسرها المادي والأدبي .

ب- ومن مظاهر التعاون بالزواج استكثار الزوج بعشيرة الزوجة ،واستكثار الزوجة بعشيرة الزوج ، حيث تترابط الأسر وتتأكد الصلات بين الدول ، إن الناس في حاجة إلى الترابط وإلى تقوية أواصر الود بينهم ، والزواج من أهم ما يقوي تلك الأوصال ، وكان لزواج النبي ﷺ من بعض زوجاته مثل هذا الغرض للاستعانة به على توطيد دعائم السلم ونشر الدعوة .

ت- ومن مظاهر التعاون في الزواج الترفيه عن النفس ،من كد الحياة ومتاعب العمل ، والسكن إلى الزوجة بالأنس الطيب ، وإن النفس تنشط لعبادة الله إذا أخذت حظها من المتعة الحلال ، ومن هنا كان الزواج منة من الله تعالى ، وآية من آياته على الإنسان ، تسوق العبد إلى الشكر ، قال تعالى :﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الروم الآية : ٢١.

ث- ومن مظاهر التعاون في الزواج إيجاد وصف للإنسان لولاه لم يكن ، وتوليد عواطف لم تكن لتوجد إلا في جو الأسرة ، فأوصاف الرعاية والولاية والرياسة ، والمسئولية أمام الله تعالى عن تلك الرعية تجعل للإنسان قيمة أدبية يشعر فيها بوصف جديد يكمل شخصيته .

ج- ومن مظاهر التعاون في الزواج فتح ميدان جديد لطاعة الله تعالى ، وإيجاد مجال لكسب رضوانه ، ذلك أن الهم الذي يلاقيه الزوج في سبيل إسعاد زوجته ، والجهد الذي تبذله الزوجة لتوفير الأمن والراحة لزوجها ولأولادها ، كل ذلك له قيمته العظيمة في الثواب الأخروي (١).

وهكذا فإن تحقيق هذه الأهداف السابقة من توجيهات الإسلام والالتزام بآدابه ، لأن الإعراض عن المساهمة في تحقيقها مع القدرة على ذلك لا يرضى به مؤمن يقتدي برسول الله ﷺ ، ويعلم أن الحياة حياة الكفاح والعمل والأخوة والتعاون والطهر والعفاف وتحمل المسئولية ، لا حياة الكسل والخمول والأنانية والوحدة ، ولا حياة الرهبانية أو الفجور وانحراف الفطرة التي خلق الله الناس عليها .

فإن الله تعالى لم يخلق العبد ليعيش لنفسه ، وإنما خلقه ليعيش لنفسه وأمته فيساهم في بناء المجتمع الفاضل ، وإقامة الأمة العزيزة ، وخير ما يساهم به في هذا

---

١ - موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام : فضيلة الشيخ / عطية صقر ، ج١ ص١٠٥:١٠٩ باختصار ، مرجع سابق .

٣٤٠ الصدد هو الزواج ، وتكوين الأسرة القوية وتنشئة الأبناء الصالحين الذين يزيدون في ثروة الأمة ويعاونون في العمل لخير البشرية (١).

من أجل ذلك أنكر الإسلام الإعراض عن الزواج ، وندد بالمعارضين أشد التنديد ، ولا أدل على ذلك من قول النبي ﷺ لعكاف فقد جاء عكاف بن وداعة الهلالي إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ: (يَا عُكَّافُ ، أَلَكَ زَوْجَةٌ ؟ " قَالَ : لَا ، قَالَ : " وَلَا جَارِيَةٌ ؟ " قَالَ : لَا . قَالَ : " وَأَنْتَ صَحِيحٌ مُوسِرٌ ؟ " قَالَ : نَعَمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، قَالَ : " فَأَنْتَ إِذًا مِنْ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ ، إِمَّا أَنْ تَكُونَ مِنْ رُهْبَانِ النَّصَارَى فَأَنْتَ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَكُونَ مِنَّا ، فَاصْنَعْ كَمَا نَصْنَعُ ، فَإِنَّ مِنْ سُنَّتِنَا النِّكَاحَ ، شِرَارُكُمْ عُزَّابُكُمْ ، وَأَرْذَلُ مَوْتَاكُمْ عُزَّابُكُمْ ، أَفِي الشَّيْطَانُ تُمَرْسُونَ مَا لَهُ فِي نَفْسِي سِلَاحٌ أَبْلَغُ فِي الصَّالِحِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، إِلَّا الْمُتَزَوِّجُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُطَهَّرُونَ الْمُبَرَّءُونَ مِنَ الْخَنَا . وَيْحَكَ يَا عُكَّافُ ، إِنَّهُنَّ صَوَاحِبُ دَاوُدَ ، وَصَوَاحِبُ يُوسُفَ ، وَصَوَاحِبُ كُرْسُفَ " قَالَ عَطِيَّةُ : وَمَنْ : كُرْسُفُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " رَجُلٌ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ ، يَصُومُ النَّهَارَ ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ ، وَلَا صَلَاةٍ ، كَفَرَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ فِي سَبَبِ امْرَأَةٍ عَشِقَهَا ، فَتَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ ، فَتَدَارَكَهُ اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ مِنْهُ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَيْحَكَ يَا عُكَّافُ ، تَزَوَّجْ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُذْنِبِينَ " فَقَالَ عُكَّافُ : لَا أَبْرَحُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى تُزَوِّجَنِي مَنْ شِئْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ فَقَدْ زَوَّجْتُكَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَبَرَكَتِهِ كَرِيمَةَ بِنْتَ كُلْثُومٍ الْحِمْيَرِيَّ) (٢)

وقوله ﷺ للثلاثة الذين جاءوا إلى داره ﷺ يسألون عن عبادته ﷺ ، فقد روى أنس بن مالك ﷺ قال:(جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم ، فقال : " أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني) (٣).

يتبين لنا من ذلك أن النبي ﷺ كان يرهب من الاستمرار بغير زواج ، ويزجر من يقدر على الزواج ولا يتزوج ، لأن العزوبة ليست من الإسلام في شيء ، ولأنها رفض ومخالفة لسنة النبي ﷺ ومنهجه الحكيم ، وبذلك يأثم المسلم إذا كان قادرا على الزواج ولم يتزوج لأنه يفتح بابا للشيطان وهو أقرب إليه من غيره وأشر وأضر على الآخرين ، ولا يؤمن الفتنة من جانبه ، وهو بذلك يُعرض نفسه للفتنة والغواية .

---

١ ـ أهداف الأسرة في الإسلام : الأستاذ / حسين محمد يوسف ، ص١٤٣ ، مرجع سابق .

٢ ـ المعجم الكبير للطبراني : ، حديث رقم : ١٤٩٩٢.

٣ ـ صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب : الترغيب في النكاح ، حديث رقم : ٤٧٧٨.

المبحث الثالث

الرسول ﷺ يحقق القدوة في التعامل الأسري

لقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في حُسن التعامل الأسري مع زوجاته وأبنائه وكل من يعاشره أو يتعامل معه ... فكان في القمة حلما وكرما ورحمة ورعاية وصبرا .....

قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب الآية : ٢١.

لقد أرسى النبي ﷺ المنهج الكامل الشافي الوافي التطبيقي في التعامل الأسري للمسلمين جميعا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وذلك لتحقيق السعادة وتربية الأجيال الصالحة وترغيب النشء في الإسلام .

وسوف نضرب بعض الأمثلة التطبيقية في فن التعامل الأسري الواقعي النموذجي مطبقا على النبي ﷺ وذلك من خلال ما يلي :

أولاً : معاملة النبي ﷺ وخلقه مع أزواجه :

لقد واجه النبي ﷺ الكثير من المواقف من أزواجه ، وكان يقدم العلاج الناجع والدواء الشافي لكل موقف من هذه المواقف ليعطي القدوة الحسنة للمسلمين في تعاملهم مع أزواجهم على مر العصور للحفاظ على استقرار وسعادة الأسرة ، وصيانتها من كل ما ينال منها ، أو يعرضها إلى الدمار والشقاء .

وسوف يتبين لنا كيف كان النبي ﷺ يقدر كل موقف من المواقف المتنوعة التي تعرض لها ، ويتدبر عاقبته ويتصرف حسبما تقضي الحكمة والكياسة ، وكيف كان بذلك بليغا يوافق بسلوكه مقتضى طبيعة الموقف .

وناهيك بما في ذلك من أثر عميق في استقامة الحياة الزوجية على متين الوفاء والخير والألف والعدل ، والرعاية والثقة ، وعلاج الأمر بمثل ذلك السلوك الحكيم منذ البداية يضع حدا لضرر يمكن أن يتفاقم ويزداد ، وتتسع الفجوة وتتنافر النفوس ، وتتباعد القلوب ، فمعظم النار من مستصغر الشرر ، وبذلك يحال بين عوامل الفرقة أو الصراع أن تأخذ سبيلها بين الزوجين من أمور هينة يمكن تفاديها أو علاجها ، وذلك يتطلب من الرجل والمرأة على السواء تفهما خاصا وتصرفا معينا[١].

---

[١] - منهج السنة في الزواج : د . محمد الأحمدي أبو النور ، ص٢٩٧ بتصرف ، طبع دار السلام بالقاهرة ، طبعة خامسة سنة ١٩٩٦م .

٣٤٢ والزوج هو من يحاول التعارف على المواقف المختلفة التي تمر بها الأسرة من خلال تعاملاتها ثم يكيف نفسه بما يلائمها فيكون بلطفه وكياسته وصبره وتحمله وحذقه ومهارته خير طبيب لعلاج مثل هذه المواقف والتصرف السليم حيالها .
وسوف أذكر بعض هذه المواقف في حياة النبي ﷺ الأسرية ليكون فيها العبرة والعظة للأسرة المسلمة.

(١) معاملته ﷺ بالمزاح والملاطفة مع أزواجه :

وهذا الأمر يجذب قلب المرأة نحو الرجل ، ويزيد من شوقها إليه وأنسها به ، ويتوافق مع الطبيعة والفطرة البشرية ، ويؤكده الواقع ، ويكفي أن النبي ﷺ فعله ، وقد تكون الملاطفة بالقول كما قد تكون بالفعل .
عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن ، فقال للناس : ("تَقَدَّمُوا " فَتَقَدَّمُوا ، ثُم قَال لِي : " تَعَالَي حَتَّى أُسَابِقَك " فَسَابَقْتُه فَسَبَقْتُه ، فَسَكَت عَنِّي ، حَتَّى إِذَا حَمَلْت اللَّحْم وَبَدُنْت وَنَسِيت ، خَرَجْت مَعَه فِي بَعْض أَسْفَارِه ، فَقَال لِلنَّاس : " تَقَدَّمُوا " فَتَقَدَّمُوا ، ثُم قَال : " تَعَالَي حَتَّى أُسَابِقَك " فَسَابَقْتُه ، فَسَبَقَنِي ، فَجَعَل يَضْحَك ، وَهُو يَقُول : " هَذِه بِتِلْك) (١).
وعن عائشة رضي الله عنها إنها إذا تعرقت تمرقا أي أخذت بفمها اللحم الموجود على العظم ، أخذه النبي ﷺ فوضع فمه في موضع فمها ، كما ثبت عنها أيضا أنها كانت إذا شربت من الإناء أخذه فوضع فمه على موضع فمها وشرب .
وسئلت السيدة عائشة رضي الله عنها كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته ؟ فقالت
:(كَان أَلْيَن النَّاس وَأَكْرَم النَّاس وَكَان رَجُلا مِن رِجَالكُم إِلَّا أَنَّه كَان ضَحَّاكًا بَسَّامًا) (٢).
إن تلك الممازحة والملاطفة والتسلية للزوجة ليست من اللهو العابث المذموم الذي يضيع وقت الزوج سدى بشرط عدم الإفراط والمبالغة فيه التي تحوله إلى لهو مذموم ، فحسبه هذا الضمان الإلهي الذي بينه النبي ﷺ في قوله : (كُل شَيْء يَلْهُو بِه الرَّجُل بَاطِل ، إِلَّا رَمْيَة الرَّجُل بِقَوْسِه ، وَتَأْدِيبَه فَرَسَه ، وَمُلَاعَبَتَه امْرَأَتَه ، فَإِنَّهُن مِن الْحَق . وَمَن نَسِي الرَّمْي بَعْدَمَا عَلِمَه ، فَقَد كَفَر الَّذِي عَلَّمَه) (٣)(٤).

(٢) تعامل النبي ﷺ مع تنافس وغيرة أزواجه :

ونعرض في هذا الموضع لمحات من حياة الزوج القدوة ، والنبي الإنسان محمد ﷺ ، الذي أظل بيته الكريم نساء خالدات هن أمهات المؤمنين ، ممن كان لهم حظ المشاركة في حياته العملية والوجدانية والجهادية وغيرها ، ولكن يعتريهم مثلما

---

١ ـ مسند الإمام / أحمد بن حنبل ، حديث رقم : ٢٥٧٣.
٢ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ، باب : ذكر صفة أخلاق رسول الله ﷺ ، حديث رقم ٧١١.
٣ ـ مسند الإمام / أحمد بن حنبل ، حديث رقم : ١٦٩٨٦.
٤ ـ موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام : الشيخ / عطية ـ ج٣ ص١٢١ مرجع سابق .

يعتري النساء من الغيرة والتنافس ، لأنهن يرين في رسول الله ﷺ الزوج والنبي معا.

وكان ﷺ رجل ذا قلب وعاطفة ووجدان ، ولم يحاول أن يفرض عليهن شخصية النبي ، وكان ذلك منه فطرة سوية في التعامل مع الزوجات حتى لا يحرمهن من الحيوية والتجديد في أمور حياتهن ، وكان يصحبهن معه في الغزوات ، والحج والعمرة يغذي قلبه ويمتع وجدانه ويجدد نشاطه ويرضي بشريته ([1]).

روى أنس ﷺ قال : (**كان النبي ﷺ عند بعض نسائه ، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام ، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم ، فسقطت الصحفة فانفلقت ، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ، ويقول : " غارت أمكم " ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها ، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها ، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت**)([2]).

و قد قدر النبي ﷺ البواعث النفسية التي أدت إلى غيرة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وأثرت في سلوكها ، وأنها ما فعلت ذلك إلا كرد فعل لهذا السلوك ، وكان هذا التصرف الحكيم من النبي ﷺ الذي جعل السيدة عائشة رضي الله عنها تندم على ما بدر منها ، وتسأل النبي ﷺ عن كفارة ما صنعت،فقد روي عنها رضي الله عنها أنها قالت : (**مَا رَأَيْت صَانِعا طَعَاما مِثْل صَفِيَّة ، صَنَعَت لِرَسُول اللَّه ﷺ طَعَاما فَبَعَثَت بِه ، فَأَخَذَنِي أَفْكَل ، فَكَسَرت الْإِنَاء ، فَقُلْت : يَا رَسُول اللَّه ، مَا كَفَّارَة مَا صَنَعْت ؟ قَال : " إِنَاء مِثْل إِنَاء وَطَعَام مِثْل طَعَام**) ([3]).

والتنافس بين زوجات النبي ﷺ داقع طبيعي قدره الرسول ﷺ ، واعتبره أمرا خارجا عن الإرادة حين عقب على غيرة السيدة عائشة رضي الله عنها بقوله ﷺ : (**وَيْحَهَا لَو اسْتَطَاعت مَا فَعَلَت**) ([4]).

ومن مثله أدرى بنفوس البشر ، يقدر ويعذر ويرحم ، وإنها حالات قليلة التي اشتد فيها الخصام والخلاف بين زوجات النبي ﷺ ، وما ضاق بها إلا عندما جاوزن المدى ، فغضب وزجر وهجر ، تأديبا لهن ليستقمن على الصواب الذي يليق بهن ، أما الغيرة والشوق واللهفة والرغبة في الاستئثار بالزوج فهي من مقتضيات تصرف البشر ، وما كان أحلمه ﷺ وأرق وجدانه وألطف مزاجه حين سمع قصة انتصار نسائه بعروس له غرن من جمالها فقدمن لها وصية مقلوبة بأن تستعيذ بالله حين

---

[1] - تراجم سيدات بيت النبوة : د . عائشة عبد الرحمن ، ص٢٠٤ بتصرف ، طبع دار الريان للتراث ، طبعة أولى سنة ١٩٨٧.

[2] - صحيح البخاري : كتاب النكاح ، باب : الغيرة ، حديث رقم : ٤٩٢١.

[3] - سنن أبي داود ، كتاب البيوع : أبواب الإجارة ، باب : فيمن أفسد شيئا يغرم مثله ، حديث رقم : ٣١١٤.

[4] - مسند الإمام / أحمد بن حنبل ، حديث رقم : ٢٤٠٠٠

٣٤٤ يدخل عليها رسول الله ﷺ استجلابا لمحبته ورضاه ، ففعلت وسرحها النبي ﷺ قبل أن يدخل بها ، وقال عن نسائه إنهن صواحبات يوسف وإن كيدهن عظيم ([1]).

ومن مظاهر الغيرة بين نساء النبي ﷺ أنه ﷺ حينما حمل إبراهيم يوما بين زراعيه إلى عائشة رضي الله عنها ودعاها لترى ما بينه وبين إبراهيم من عظيم الشبه ، نظرت إلى الطفل قائلة : أنها لا ترى بينهما شبها ، ولما رأت النبي ﷺ فرحا بنمو الطفل ، قالت في غضب : إن كل طفل ينال من اللبن ما يناله إبراهيم يكون مثله أو خيرا منه نموا ([2]).

ورغم هذا الموقف الذي يدل على ما أضمرته السيدة عائشة من الغيرة بسبب إنجاب السيدة مارية إلا أن ذلك لم يغير من قلب رسول الله ﷺ الطاهر ولا من نفسه الشريفة ولكن زاد في حُسن المعاملة لها بعد هذا الموقف .

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : (ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ قلنا : بلى : قالت : لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي ، انقلب فوضع رداءه ، وخلع نعليه ، فوضعهما عند رجليه ، وبسط طرف إزاره على فراشه ، فاضطجع ، فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت ، فأخذ رداءه رويدا ، وانتعل رويدا ، وفتح الباب فخرج ، ثم أجافه رويدا ، فجعلت درعي في رأسي ، واختمرت ، وتقنعت إزاري ، ثم انطلقت على إثره ، حتى جاء البقيع فقام ، فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف فانحرفت ، فأسرع فأسرعت ، فهرول فهرولت ، فأحضر فأحضرت ، فسبقته فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعت فدخل ، فقال : " ما لك ؟ يا عائش ، حشيا رابية " قالت : قلت : لا شيء ، قال : " لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير " قالت : قلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، فأخبرته ، قال : " فأنت السواد الذي رأيت أمامي ؟ " قلت : نعم ، فلهدني في صدري لهدة أوجعتني ، ثم قال : " أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ " قالت : مهما يكتم الناس يعلمه الله ، نعم ، قال : " فإن جبريل أتاني حين رأيت ، فناداني ، فأخفاه منك ، فأجبته ، فأخفيته منك ، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك ، وظننت أن قد رقدت ، فكرهت أن أوقظك ، وخشيت أن تستوحشي ، فقال : إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم " ، قالت : قلت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال " قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون) ([3])

وفي رواية أخرى قالت : (أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلا ، قالت : فغرت عليه ، فجاء فرأى ما أصنع ، فقال : " ما لك ؟ يا عائشة أغرت ؟ " فقلت : وما لي لا يغار مثلي على مثلك ؟ فقال رسول الله ﷺ: " أقد جاءك شيطانك " قالت :

---

[1] ـ تراجم بيت النبوة : د . عائشة عبد الرحمن ، ص٢٠٩ بتصرف ، مرجع سابق .

[2] ـ حياة محمد ﷺ : الأستاذ / محمد حسين هيكل ، ص٤٤٤ ، طبع دار القلم بالقاهرة سنة ١٩٣٥.

[3] ـ صحيح مسلم كتاب الجنائز ، باب : ما يقال عند دخول القبور ، حديث رقم ١٦٧٢.

يا رسول الله أو معي شيطان ؟ قال : " نعم " قلت : ومع كل إنسان ؟ قال : " نعم " قلت : ومعك ؟ يا رسول الله قال : " نعم ، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم) (١).

ومن مواقف الغيرة التي عالجها النبي ﷺ بالحكمة وعين البصيرة ما رواه ابن سعد (لَمَّا قَدِمَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ وَمَعَه صَفِيَّةُ أَنْزَلَهَا فِي بَيْتٍ مِن بُيُوْتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ فَسَمِعَ بِهَا نِسَاءُ الأَنْصَارِ وَبِجَمَالِهَا فَجِئْنَ يَنْظُرْنَ إِلَيْهَا وَجَاءَت عَائِشَةُ مُتَنَقِّبَةً حَتَّى دَخَلَت عَلَيْهَا فَعَرَفَهَا فَلَمَّا خَرَجَت خَرَجَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ عَلَى أَثَرِهَا ، فَقَالَ : " كَيْفَ رَأَيْتَهَا يَا عَائِشَةُ " ، قَالَت : رَأَيْت يَهُوْدِيَّة ، قَال : " لَا تَقُوْلِي هَذَا يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهَا قَد أَسْلَمَت فَحَسُنَ إِسْلَامُهَا) (٢).

(٣) معاملة النبي ﷺ مع أزواجه بالوفاء وحُسن العشرة :

لقد كان النبي ﷺ حسن العشرة وفيا لزوجاته ، لا يشغله حب واحدة مهما كانت عن الأخرى في الحياة أو الممات ، ولم يتنكر قط للجميل الذي أسدته أي واحدة منهن ، وهذا دليل على كرم العشرة وحُسن الأخلاق والقدوة الحسنة في مجال التعامل الأسري .

وقد تزوج النبي ﷺ بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها أزواج أخريات فيهن ذوات الصبا والجمال والحسب والجاه ، ولكن واحدة منهن لن تستطيع أن تزحزح السيدة خديجة رضي الله عنها عن مكانها في قلب النبي ﷺ ، فحينما انتصر في غزوة بدر ، وكان يتلقى فداء الأسرى من قريش ، فلا يكاد يلمح قلادة السيدة خديجة رضي الله عنها بعثت بها ابنتها زينب فداء زوجها الأسير ، أبي العاص بن الربيع ، حتى يرق قلب البطل الرسول ﷺ من شجو وشجن ويسأل أتباعه الظافرين في أن يردوا على زينب قلادتها ويفكوا أسيرها (٣).

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها في بيت النبي ﷺ في صباها ونضرة شبابها ، وحب النبي ﷺ لها تشغلها الغيرة من السيدة خديجة رضي الله عنها التي سبقتها إلى قلب النبي ﷺ واستأثرت به وحدها حتى يومها الأخير ، ثم ظلت بعد موتها حيث كانت من قلبه ، فعن عائشة رضي الله عنها ، قالت :(اسْتَأْذَنَت هَالَةُ بِنْت خُوَيْلِد ، أُخْت خَدِيْجَة ، عَلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، فَعَرَف اسْتِئْذَان خَدِيْجَةَ فَارْتَاع لِذَلِك ، فَقَال ﷺ: " اللَّهُم هَالَةَ " . قَالَت : فَغِرْت ، فَقُلْت : مَا تَذْكُر مِن عَجُوزٍ مِن عَجَائِزِ قُرَيْش ، حَمْرَاء الشِّدْقَيْن ، هَلَكَت فِي الدَّهْرِ ، قَد أَبْدَلَك اللهُ خَيْرا مِنْهَا ، فَتَغَيَّر وَجْه النَّبِي ﷺ وَزَجَرَهَا غَاضِبًا وَقَال : وَاللهِ مَا أَبْدَلَنِي اللهُ خَيْرا مِنْهَا ، آمَنَت بِي حِيْن كَفَر النَّاس ، وَصَدَّقَتْنِي إِذ كَذَّبَنِي النَّاس ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذ حَرَمَنِي النَّاس ، وَرَزَقَنِي مِنْهَا اللهُ الْوَلَد دُوْن غَيْرِهَا مِن النِّسَاء) (٤).

---

١ - صحيح مسلم كتاب صفة القيامة ، باب : تعريش الشيطان وبعثه سراياه ، حديث رقم : ٥١٤٢.

٢ - الطبقات الكبرى لابن سعد ، حديث رقم : ٩٨٣٢.

٣ - تراجم سيدات بيت النبوة : د . عائشة عبد الرحمن ص٢٣٣ ، مرجع سابق .

٤ - صحيح البخاري ، كتاب : المناقب ، باب : تزوج النبي ﷺ من السيدة خديجة وفضلها ، حديث رقم : ٣٦٢٢.

٣٤٦ وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : ما غرت على نساء النبي ﷺ ، إلا على خديجة وإني لم أدركها ، قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة ، فيقول : (أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة " قالت : فأغضبته يوما ، فقلت : خديجة فقال : رسول الله ﷺ " إني قد رزقت حبها) (١).

وعنها أيضا رضي الله عنها قالت : (ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ ما غرت على خديجة مما كنت أسمع من ذكره لها ، وما تزوجني إلا بعد موتها بثلاث سنين ، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا نصب فيه ، ولا صخب) (٢).

وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت :(ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ، ما غرت على خديجة ، وما رأيتها ، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ، فيقول ﷺ " إنها كانت ، وكانت ، وكان لي منها ولد) (٣).

وما جاوزت الحق حين قالت هذه الكلمة المعبرة ، لأن السيدة خديجة رضي الله عنها ظلت ملئ حياة النبي ﷺ حية وميتة ، وما استطاعت امرأة غيرها أن تقدم للنبي ﷺ مثل ما قدمت ولا بذلت مثل ما بذلت له من نفسها من تضحية وإيثار نادر ، وطاقة لا حدود لها وخبرة حكيمة ، وعطف فياض وإيمان ، وهي خير مستشار للنبي ﷺ ، وعون ودعم مادي ومعنوي ، وتهيئة للجو المناسب للتأمل والدعوة إلى الله تعالى .

ومن النوادر في حُسن معاملة الرسول ﷺ لأزواجه أنه كان يمهد لزوجه موضعا مناسبا لركوبها ، ويضع ركبته فتصعد عليها تأكيدا لحُسن العشرة والمعاملة الطيبة والرحمة الشاملة فعن أنس رضي الله عنه قال : (..... فرأيت النبي ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة ، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته ، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب) (٤).

ومن حُسن العشرة والوفاء أيضا أن النبي ﷺ يرفض إجابة دعوة الطعام حتى تكون معه زوجته فعن أنس رضي الله عنه ، أن جارا لرسول الله ﷺ فارسيا كان طيب المرق ، فصنع لرسول الله ﷺ ، ثم جاء يدعوه ، فقال : (وهذه ؟ " لعائشة ، فقال : لا ، فقال رسول الله ﷺ : " لا " ، فعاد يدعوه ، فقال رسول الله ﷺ: "

---

١ ـ صحيح مسلم ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضل خديجة ، حديث رقم : ٤٥٦٩.
٢ ـ دلائل النبوة للبيهقي ، باب : وفاة خديجة زوج النبي ، حديث رقم ١٣٧.
٣ ـ صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب : تزوج النبي ﷺ من السيدة خديجة ، حديث رقم ٣٦٣.
٤ ـ صحيح البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : غزوة خيبر ، حديث رقم : ٣٩٨٨.

وَهَذِهِ ؟ " ، قَالَ : لَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا " ، ثُمَّ عَادَ يَدْعُوهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " وَهَذِهِ ؟ " ، قَالَ : نَعَمْ فِي الثَّالِثَةِ ، فَقَامَا يَتَدَافَعَانِ حَتَّى أَتَيَا مَنْزِلَهُ) ([1])

(٤) حُسن معاملة النبي ﷺ بالترويح عن أزواجه :

ومن أدب المعاملة أن يجعل الزوج لأهل بيته فرصة للمرح واللهو المباح خاصة في أيام العيد ، وأن يتبسط الزوج مع زوجته ويشعرها بذلك دون إفراط ولا تفريط ، ومن الأمور التي يغفلها الزوج حق زوجته في الترفيه واللهو البريء المباح للسعادة الأسرة ورعاية مشاعر الزوجة ، والترويح عن نفسها بعيدا عن المحاذير الشرعية ،لأن الإسلام دين الحب والصفاء .

إن الحياة الزوجية يجب أن يسودها الود والتراحم وحُسن العشرة ، وكان النبي ﷺ قدوة حسنة في هذا الجانب ، وإدخال السرور والفرح على أهله والتلطف بهم ومضاحكتهم ، فكان يسابق السيدة عائشة رضي الله عنها ، ويعود إليها بذلك ويروح عن نفسها ([2]).

لقد راعى النبي ﷺ نفسية وعقلية السيدة عائشة رضي الله عنها ، فانظر إلى شدة تبسيطه معها وترويحه عنها ، وهو كبير السن وهي صغيرة السن ، وكيف لاطفها وكيف وضع في اعتباره سنها وعقلها وحاجتها من المداعبة والممازحة ، فإن عقل النساء ليس كعقل الرجال ، والعاقل من الرجال من عرف كيف يعامل المرأة ، ويوفيها حقوقها من غير أن يجرانها عليه ، أو يجعلها تستخف به ([3]).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :(دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ : مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : " دَعْهُمَا " ، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا ، فَخَرَجَتَا ، قَالَتْ : وَكَانَ يَوْمُ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ ، فَإِمَّا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَإِمَّا قَالَ : " تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ " ، فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ ، وَيَقُولُ ﷺ : " دُونَكُمْ بَنِي أَرْفِدَةَ " ، حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ ، قَالَ ﷺ : " حَسْبُكِ " ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ ﷺ : " فَاذْهَبِي) ([4]).

يدل هذا الحديث على أمور هامة منها أن النبي ﷺ أباح إظهار السرور في الأعياد ، والترويح عن النفس والبدن ، والتوسعة على أهل البيت والمرح واللهو المباح لتغذية النفس وتجديد النشاط الإنساني بعد أداء العبادات ، فريضة الصيام والحج .

---

[1] - صحيح مسلم ، كتاب : الأشربة ، باب : ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام ، حديث رقم ٣٨٩١ .

[2] - سبق تخريجه ص ٢٢.

[3] - موسوعة الآداب الإسلامية : الأستاذ / عبد العزيز فتحي السيد ندا ص ٦١٠ بتصرف ، طبع دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض ، طبعة ثانية سنة ٢٠٠٤م .

[4] - صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد والسير ، باب ، الدرق ، حديث رقم : ٢٧٧١.

٣٤٨ وروي عن السيدة عائشة ، زوج النبي ﷺ قالت : (دَخَلَ الْحَبَشَةُ الْمَسْجِدَ يَلْعَبُونَ فقال لي ﷺ : يَا حُمَيْرَاءُ أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ فَقُلْتُ : " نَعَم ، فَقَامَ بِالْبَابِ وَجِئْتُه فَوَضَعْتُ ذَقَنِي عَلَى عَاتِقِه فَأَسْنَدْتُ وَجْهِي إِلَى خَدِّه " قَالَت : " وَمِن قَوْلِهِم يَوْمَئِذٍ أَبَا الْقَاسِمِ طَيِّبًا " فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: " حَسْبُكِ " فَقُلْتُ : يَا رَسُوْلَ اللهِ لَا تَعْجَلْ ، فَقَامَ لِي ثُمَّ قَالَ : " حَسْبُكِ " فَقُلْتُ : " لَا تَعْجَلْ يَا رَسُوْلَ اللهِ " قَالَت : " وَمَا بِي حُبُّ النَّظَرِ إِلَيْهِم ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَن يَبْلُغَ النِّسَاءَ مَقَامُه لِي وَمَكَانِي مِنْه) (١).

وينبغي ملاحظة أن المداعبة والملاطفة لا يصح أن تتجاوز حدودها فتفسد خُلق المرأة وتسقط هيبة الرجل ، فالاعتدال هو المطلوب ، فكما أنه لا يصلح للرجل أن يقسو على المرأة ، لا يجوز له كذلك أن ينقاد لها في أهوائها انقيادا تاما (٢).

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها ، قالت :(قَدِمَ رَسُوْلُ اللهِ مِن غَزْوَةِ تَبُوْكَ ، أَو خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْر ، فَهَبَّت رِيح فَكَشَفَت نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَن بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَب ، فَقَال : " مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ ؟ " قَالَت : بَنَاتِي ، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَه جَنَاحَان مِن رِقَاع ، فَقَال : " مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ ؟ " قَالَت : فَرَس ، قَال : " وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْه ؟ " قَالَت : جَنَاحَان ، قَال : " فَرَس لَه جَنَاحَان ؟ " قَالَت : أَمَا سَمِعْتَ أَن لِسُلَيْمَان خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَة ؟ قَالَت : فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْت نَوَاجِذَه) (٣).

إن النبي ﷺ قد ضرب أروع الأمثلة في معاملة نسائه معاملة كريمة ، قائمة على حُسن العشرة ومكارم الأخلاق ورفعة السلوك وعلو الشأن ، ولم يفرق الرسول ﷺ في حُسن المعاملة بين زوجاته أبدا ، فكان يترفق بهن في الحديث ويداعبهن ويلاعبهن ، ويترفق بهن ويروح عن نفوسهن ليعلم الأزواج كيف يتعاملون مع زوجاتهم ، وكيف يقتدون في معاملاتهم برسول الله ﷺ الذي أخبر الأمة الإسلامية بقوله فيما رواه ابن عباس ﷺ (خَيْرُكُم خيركم لِأَهْلِه ، وَأَنَا خَيْرُكُم لِأَهْلِي) (٤).

فتقوم المعاملة على الود والتيسير والرحمة والعاطفة ، وليس على القوة والعنف والإفراط والتفريط ، فتنعدم روح المودة والحب والوئام في الأسرة ، وتنقلب الأمور والموازين إلى حياة جافة لأنها بعيدة في معاملاتها عن الفطرة وعن هدي النبي ﷺ .

فمن هيأ لزوجته المسرات أو يسر عليها سبيلها البريء كان مقتديا برسول الله ﷺ ،وكان مثابا مأجورا متأدبا بآداب الإسلام ، أما الذهاب بالزوجة إلى دور السينما والمراقص والملاهي والحفلات ، أو ترك حبلها على غاربها تذهب حيث شاءت ،

---

١ ـ السنن الكبرى للنسائي : كتاب : عشرة النساء ، باب : إباحة الرجل لزوجته النظر إلى اللعب ، حديث رقم : ٨٩٨٠.

٢ ـ المرأة في التصور الإسلامي : الأمثال / عبد المتعال محمد الجبري ، ص١٥١ ، طبع مكتبة وهبة بالقاهرة ، طبعة ثانية سنة ١٩٩٤م.

٣ ـ سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : في اللعب بالبنات ، حديث رقم : ٤٣٠٥.

٤ ـ سنن ابن ماجة ، كتاب : النكاح ، باب : حُسن معاشرة النساء ، حديث رقم : ١٩٧٣.

فإن مثل هذه الأسرة يضيع فيها الحياء ، وتمحى الفضائل والآداب ، وتكون مرتعا للشيطان والشهوات والرذائل والمنكرات ، مما يؤدي إلى فساد الدين والتعدي لحدود الله ، فتضيع الأسرة وتحطم أركانها بحجة الترفيه والحرية والمدنية وغيرها من شعارات لا تمت للدين بصلة بل هي فتح لأبواب الشر وضياع الغيرة والنخوة ، والذهاب في طريق الشيطان المؤدي إلى خراب البيوت ودمار الأسرة ، وتنشئة الأبناء تنشئة غير صالحة ، وزعزعت استقرار الأسرة التي حافظ عليها الإسلام (١).

*** محنة في بيت النبوة وكيف تعامل معها النبي ﷺ :**

قد يتعرض بيت الزوجية لبعض المحن التي إن لم يتعامل معها الزوج أو الزوجة بالحكمة والتأني والثبات والصبر فسوف تدمر الأسرة وتزلزل أركانها ، وأعظم هذه المحن ما كان يمس العرض والشرف ، عن طريق ترويج الإشاعات ولفت الأنظار وتوجيه أصابع الاتهام إلى أخلاق وسلوك الزوجة من الحاقدين على الزوجين ، أو ممن يريدون خراب البيوت ودمار الأسر ، فكيف يعالج الزوج ؟ وكيف يتصرف في مثل هذه الأمور ؟ هل يتسرع فيحدث ما لا يحمد عقباه ؟ أم هل يسكت فيشجع على زيادة اشتعال الحديث في عرضه ، أو تأكيد صحة ما يقولون ويروجون ؟ أم يتعامل مع الموقف بالتثبت والتأكد من صحة الكلام وعدمه ، وذلك بالصبر والتدقيق وجمع الأدلة ، ثم التصرف السليم على ضوء الواقع . وسوف نضرب النموذج الحي الواقعي من بيت النبوة ، وكيف واجه هذه المحنة وتعامل معها وعالجها النبي ﷺ من خلال حادثة الإفك المشهورة ، ليكون فيها العبرة والعظة لكل زوج وزوجة في الأسرة المسلمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وسوف نذكر ملابسات هذه المحنة وموقف النبي ﷺ منها فيما يلي :

فبعد أن عاد المسلمون من غزوة بني المصطلق ، وكان معهم الكثير من السبي والغنائم ، لم يمر النصر دون حادث كان له أثره على بيت النبي ﷺ ، وهو ما يسمى بحديث الافك ، الذي اتهمت فيه السيدة عائشة رضي الله عنها وهي في السادسة عشر من عمرها مع صفوان بن المعطل السلمي ، فقد ذكرت كتب السيرة تفاصيل هذا الحادث فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه ، فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه ، قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي ، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب ، فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ، دنونا من المدينة قافلين ، آذن ليلة بالرحيل ، فقمت حين آذنوا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي ، فلمست صدري ، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه ، قالت : وأقبل الرهط الذين

---

١ ـ الأسرة في الإسلام : الأستاذ / أمين إبراهيم المسلمي ص٩٣ بتصرف ، مرجع سابق.

٣٥٠ كانوا يرحلوني ، فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه ، وهم يحسبون أني فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ، ولم يغشهن اللحم ، إنما يأكلن العلقة من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل فساروا ، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب ، فتيممت منزلي الذي كنت به ، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي ، فبينا أنا جالسة في منزلي ، غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش ، فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني ، وكان رآني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبابي ، ووالله ما تكلمنا بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، وهوى حتى أناخ راحلته ، فوطئ على يدها ، فقمت إليها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول ، فالت : فهلك من هلك ، وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول -زعيم المنافقين ....) (١).

ثم قالت رضي الله عنها : وقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا – أي أصابني المرض لمدة شهر- والناس يفيضون -أي يشيعون – في قول أصحاب الإفك ، وكان يريبني في وجعي أني كنت لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض (٢).

ولما بلغ الأمر على النبي ﷺ خطب الناس فقال : (يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي ، والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا ، وما يدخل على أهلي إلا معي " . قالت : فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل ، فقال : أنا يا رسول الله أعذرك ، فإن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، قالت : فقام رجل من الخزرج ، وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه ، وهو سعد بن عبادة ، وهو سيد الخزرج ، قالت : وكان قبل ذلك رجلا صالحا ، ولكن احتملته الحمية ، فقال لسعد : كذبت لعمر الله لا تقتله ، ولا تقدر على قتله ، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل . فقام أسيد بن حضير ، وهو ابن عم سعد ، فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، قالت : فثار الحيان الأوس ، والخزرج حتى همموا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، قالت : فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم ، حتى سكتوا وسكت .....) ،ولولا حكمة النبي ﷺ وحسن تعامله مع الأمر لقامت فتنة بين الأوس والخزرج – حيث كان الأمر من أبناء الخزرج- وبلغ الأمر عائشة أثناء حديثها

---

١ - صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب: حديث الإفك ، حديث رقم : ٣٩٢٥.

٢ - الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام : فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ص١١٥ ، طبع مجلة البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، طبعة أولى سنة ٢٠٠٧.

مع امرأة من المهاجرين ، فكاد يغشى عليها من هول ما سمعت ، وعاتبت أمها ٣٥١
التي لم تخبرها بما سمعت ، فهوذت الأم على الإبنة البرينة الحزينة ، وشاور الرسول ﷺ أسامة بن زيد الذي نفى كل ما نسب إلى عائشة واعتبره كذب وباطل ، أما علي بن أبي طالب ﷺ فأراد أن يهون على النبي ﷺ قائلا : يا رسول الله إن النساء لكثير ، وطلب منه استجواب جارية عائشة وضربها لعلها تقول الصدق ، فأقسمت أنها لا تعلم إلا خيرا وأنها بعهدها بعائشة أحيانا تنام وتترك العجين تأكله الشاه.

فلم يبق أمام النبي ﷺ إلا أن يواجه زوجه ، ويطلب منها أن تعترف وتتوب إلى الله تعالى إن كانت مذنبة أمام أبوها وأمها ، فأتى رسول الله ﷺ بيت عائشة رضي الله عنها :(فتشهد ﷺ حين جلس ، ثم قال : " أما بعد ، يا عائشة ، إنه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت برينة ، فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب ، فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب ، تاب الله عليه) ، فلما سمعت ذلك ثار الدم في عروقها ، وجف الدمع من عينها ، ونظرت إلى أبيها وأمها بما يجيبان لكنهما سكتا فصاحت بهما : ألا تجيبان ؟، قالا : والله لا ندري بما نجيب ؟ ، فما كان منها إلا البكاء تهدي به من ثورتها ، (فقلت للنبي ﷺ وأنا جارية حديثة السن : لا أقرأ من القرآن كثيرا : إني والله لقد علمت : لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم : إني برينة ، لا تصدقوني ، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أني منه برينة ، لتصدقني ، فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال:﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ يوسف من الآية : ١٨.

(فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ، ولا خرج أحد من أهل البيت ، حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ، حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان ، وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه ، قالت : فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال : " يا عائشة ، أما الله فقد براك " . قالت : فقالت لي أمي : قومي إليه ، فقلت : والله لا أقوم إليه ، فإني لا أحمد إلا الله عز وجل ، فأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ .....الآيات ﴾ النور ١١.

٣٥٢ وفي هذه المناسبة نزلت عقوبة رمي المحصنات ولم يأتوا بأربعة شهداء أن يجلدوا ثمانين جلدة ، ولا تقبل لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ، وجئ بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ، فضرب كل منهم ثمانين جلدة ، وعادت عائشة رضي الله عنها إلى بيتها مكرمة مبرأة من الله(١) .

هذه قصة ابتلاء للرسول ﷺ وزوجه العفيفة ، وأبي بكر وزوجته في ابنتهما ، وصفوان المسلم الطاهر ، والمؤمنون عموما ، ذروة الآلام في بيت الحبيب المصطفى ، ولا يطول الإفك ، وتزول المحنة ويبرئ الله عائشة الطاهرة ويكشف المنافقين ، ويرسم الطريق للجماعة المؤمنة في مواجهة أمر مثل هذا ، ويختم الحديث ببيان عدل الله في اختيار حقه في واقع الناس ، وهو أن تلتئم النفس الخبيثة بالنفس الخبيثة ، وأن تمتزج النفس الطيبة بالنفس الطيبة ، وعلى هذا تقوم العلاقات بين الأزواج ، وما كان يمكن أن تكون عائشة كما رموها .لماذا ؟ لأنها مقصومة لأطيب نفس على الأرض ، وقد أحب الرسول ﷺ عائشة حبا عظيما ، فما كان يمكن أن يحبها الله لنبيه المعصوم ﷺ إن لم تكن طاهرة تستحق هذا الحب العظيم

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ النور الآية : ٢٥(٢).

ثانياً : معاملة النبي ﷺ لأولاده .

١ ـ حسن معاملة النبي ﷺ لأبنائه وأحفاده :

كما كان النبي ﷺ قدوة حسنة في معاملة أزواجه ، كذلك كان مضرب المثل في تربية ومعاملة أبنائه .

وقد برزت مظاهر هذه المعاملة الحسنة التي تفيض بالرحمة الحنان ، والحلم واللطف والرأفة والعطف ، وتجنب القسوة والشدة ، ومما يعبر عن حبه للأطفال ضمهم ومعانقاتهم وتقبيلهم ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : (قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ : إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ : " مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ) (٣).

---

١ ـ حياة محمد ﷺ الأستاذ/ محمد حسين هيكل ص٣٥٥:٣٦٢ باختصار مرجع سابق .

٢ ـ في ظلال القرآن : الأستاذ / سيد قطب ، ج٤ ص٢٥٠٥بتصرف ، طبع دار الشروق بالقاهرة ، الطبعة السادسة عشر سنة ١٩٩٠م .

٣ ـ صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب : رحمة الولد ، حديث رقم : ٥٦٥٨.

وأن الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وهما الطفلان الصغيران يمازحهما رسول الله ﷺ ، ويلعب معهما ، ويرقيان ظهره الشريف وصدره .

كل ذلك ليرينا الطريق الصحيح في بناء عاطفة الطفل ، وأن هذه الممازحة والقبلة لا تنزل من قيمة الأبوين ، بل إنها الفطرة السليمة ، فطرة الأبوة والأمومة في حب الأبناء ([1]).

و روي عن السيدة عائشة ، رضي الله عنها قالت :

(جَاءَ أَعْرَابِي إِلَى النَّبِي ﷺ فَقَالَ : تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَان ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُم ، فَقَالَ النَّبِي ﷺ: أَوَأَمْلِك لَك أَن نَزَع اللَّه مِن قَلْبِك الرَّحْمَة) ([2]).

وروي عن أنس بن مالك ﷺ ، قال : **(مَا رَأَيْت أَحَدا كَان أَرْحَم بِالْعِيَالِ مِن رَسُوْل اللَّه ﷺ ، قَال : " كَان إِبْرَاهِيم مُسْتَرْضِعا لَه فِي عَوَالِي الْمَدِيْنَة ، فَكَان يَنْطَلِق وَنَحْن مَعَه فَيَدْخُل الْبَيْت وَإِنَّه لَيُدَخِّن ، وَكَان ظِئْرُه قَيْنا ، فَيَأْخُذُه فَيُقَبِّلُه ، ثُم يَرْجِع)** ([3]).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال :**(كَان رَسُوْل اللَّه ﷺ خَلِيل الْحَسَن بْن عَلِي عَلَى عَاتِقِه فَقَال رَجُل : نَعَم الْمَرْكُب رَكِبْت يَا غُلَام ، فَقَال النَّبِي ﷺ : " وَنِعْم الرَّاكِب هُو)** ([4]).

و عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ، قال : **(كَان رَسُوْل اللَّه ﷺ إِذَا قَدِم مِن سَفَر تُلُقِّي بِصِبْيَان أَهْل بَيْتِه ،وَأَنَّه قَدِم مِن سَفَر فَسُبِق بِي إِلَيْه فَحَمَلَنِي بَيْن يَدَيْه ، ثُم جِيْء بِأَحَد ابْنَي فَاطِمَة رَضِي اللَّه عَنْهَا فَأَرْدَفَه خَلْفَه " قَال : " فَدَخَلْنَا الْمَدِيْنَة ثَلَاثَة عَلَى دَابَّة)** ([5]).

فمن المشاعر الجميلة التي أودعها الله تعالى في قلب الأبوين شعور الرحمة بالأولاد والعطف عليهم ، وهو شعور كريم في تربية الأبناء ، طبقه النبي ﷺ عمليا في بيته ، لأن القلب الذي يتجرد من خُلق الرحمة ، ويتصف صاحبه بالغلظة والفظاظة يؤدي إلى انحراف الأبناء ، ولابد أن تمتزج رحمة الوالدين بالحزم والمراقبة ، حرصا على توجيه الأبناء ، وتربيتهم تربية صحيحة .

وروى عبد الله بن الحارث ، قال : **(كَان رَسُوْل اللَّه ﷺ يَصُف عَبْد اللَّه ، وَعُبَيْد اللَّه ، وَكَثِيْرا بَنِي الْعَبَّاس ، ثُم يَقُوْل : " مَن سَبَق إِلَي فَلَه كَذَا وَكَذَا " قَال : فَيَسْتَبِقُوْن إِلَيْه فَيَقَعُون عَلَى ظَهْرِه وَصَدْرِه ، فَيُقَبِّلُهُم وَيَلْتَزِمُهُم)** ([6]).

وهذا دليل على أن النبي ﷺ كان يتيح للصبيان فرصة اللعب أمامه ويشجعهم على ذلك .

---

[1] - بناء شخصية الطفل المسلم : الأستاذ / محمد عثمان جمال ، ص١٠٠ ، طبع دار القلم دمشق ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م .

[2] صحيح البخاري : كتاب : الأدب ، باب ، رحمة الولد ، حديث رقم : ٥٦٥٩.

[3] - صحيح مسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : رحمته ﷺ بالصبيان والعيال ، حديث رقم : ٤٣٨١.

[4] - سنن الترمذي : كتاب : المناقب عن رسول الله ﷺ ، حديث رقم : ٣٨٠٠.

[5] - السنن الكبرى للبيهقي ، أبواب وقت الحج والعمرة ، باب التلقي ، حديث رقم : ٩٧٤٦.

[6] - مسند أحمد بن حنبل ، حديث رقم : ١٧٨٤.

٣٥ - وروي عن يعلى بن مرة ﷺ قال : (أَنَّهُم خَرَجُوا مَع النَّبِي ﷺ إِلَى طَعَام دُعُوا لَه ، فَإِذَا حُسَيْن يَلْعَب فِي السِّكَّة ، قَال : فَتَقَدَّم النَّبِي ﷺ أَمَام الْقَوْم ، وَبَسَط يَدَيْه ، فَجَعَلَ الْغُلَام يَفِر هَاهُنَا وَهَاهُنَا ، وَيُضَاحِكُه النَّبِي ﷺ حَتَّى أَخَذَه ، فَجَعَل إِحْدَى يَدَيْه تَحْت ذَقَنِه ، وَالْأُخْرَى فِي فَأْس رَأْسِه فَقَبَّلَه وَقَال ﷺ: " حُسَيْن مِنِّي ، وَأَنَا مِن حُسَيْن ، أَحَب اللَّه مَن أَحَب حُسَيْنًا ، حُسَيْن سِبْط مِن الْأَسْبَاط) (١).

وعن يزيد بن أبي زياد ﷺ ، قال : (خَرَج النَّبِي ﷺ مِن بَيْت عَائِشَة رَضِي اللَّه عَنْهَا ، فَمَر عَلَى بَيْت فَاطِمَة رَضِي اللَّه عَنْهَا ، فَسَمِع حُسَيْنًا يَبْكِي ، فَقَال ﷺ : " أَلَم تَعْلَمِي أَن بُكَاءَه يُؤْذِينِي) (٢).

وعن علي ﷺ ، قال : دخل علي رسول الله ﷺ وأنا نائم على المنامة ، فاستسقى الحسن أو الحسين ، قال : (فَقَام النَّبِي ﷺ إِلَى شَاة لَنَا يَحْلُبهَا فَدَرَّت ، فَجَاءَه الْحَسَن ، فَنَحَّاه النَّبِي ﷺ، فَقَالَت فَاطِمَة رَضِي اللَّه عَنْهَا : يَا رَسُول اللَّه، كَأَنَّه أَحَبَّهُمَا إِلَيْك ؟ قَال : " لَا ، وَلَكِنَّه اسْتَسْقَى قَبْلَه " ثُم قَال : " إِنِّي وَإِيَّاك وَهَذَيْن وَهَذَا الرَّاقِد ، فِي مَكَان وَاحِد يَوْم الْقِيَامَة) (٣).

عن أسامة بن زيد ﷺ قال :(طرقت رسول الله ﷺ ليلة لبعض الحاجة ، فخرج وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو ، فلما فرغت من حاجتي قلت : " ما هذا الذي أنت مشتمل عليه ؟ فكشف ، فإذا الحسن والحسين على وركيه " فقال : " هذان ابناي وابنا ابنتي ، اللهم إنك تعلم أني أحبهما ، فأحبهما ، اللهم إنك تعلم أني أحبهما فأحبهما) (٤).

وقف التاريخ الإنساني يراقب مبهورا هذا النبي الإنسان في أبوته الفياضة بأنقى الحب وأصفى الحنان ، وأصغت الإنسانية في فخر واعتزاز إلى ما تواترت به الأنباء من ذلك الحب الكبير الذي يكشف عن جانب من عظمة الرجل المصطفى من السماء .

ولا تزال حتى اليوم ، وحتى غد ، وإلى الأبد نتلو هذا الحديث ، ونرى فيه آية من آيات الله الذي سوى ذلك البطل بشرا رسولا (٥).

فعن أبي بريدة ﷺ قال:(كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ، ثم قال : " صدق الله (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ

---

١ - سنن ابن ماجة ، باب : في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضل الحسن والحسين ، حديث رقم ١٤٣.
٢ - المعجم الكبير للطبراني :حديث رقم : ٢٧٧٩.
٣ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ، باب فضائل الصحابة ، فضل علي بن أبي طالب ، حديث رقم : ١١٤٠.
٤ - السنن الكبرى للنسائي : كتاب الخصائص ، باب : ذكر قول النبي ﷺ في الحسن والحسين ، حديث رقم : ٨٢٥٦.
٥ - الإسلام والأسرة : د . محمود بن الشريف ، ص٩٢، طبع مجمع البحوث الإسلامية ، سنة ١٩٧٢م .

فتنةُ) نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما) ([1]).

٢ ـ حُسن معاملة الرسول ﷺ لبناته ، ورحمته بهن .

لقد حث النبي ﷺ على العناية بتربية البنات ، وبذل غاية الوسع من الجهد والمال في سبيل ذلك ، كي تغرس فيها معاني الرقة والرأفة والشفقة ، وتحمل المسئولية التي تتحلى بها المرأة الفاضلة ، إن البنت لها أولوية واهتمام خاص في منهج النبي ﷺ ، فهو يحيطها بأسباب الرعاية والحفظ طوال حياتها من يوم ولادتها إلى وفاتها .

لقد ربى النبي ﷺ بناته بالرحمة والحلم ، وتعامل معهن بأفضل ما تكون المعاملة على أساس تطبيق شرع الله تعالى ، كأفضل ما يكون الآباء وأحسن كما تكون التربية بالأسلوب الأمثل .

ولنذكر بعض مواقف النبي ﷺ في تربية ومعاملة بناته لنأخذ منها العبر والعظات المستفادة في عصرنا الحاضر ، وكلها نماذج عملية طبقها النبي ﷺ بنفسه على أسرته بالحب والمودة .

وقد ضرب النبي ﷺ لأولياء الأمور والعالم أجمع المثل في تكريم البنت والعناية بها ، وتربيتها والإحسان إليها ، إذ خرج بها على المسجد يحملها أثناء الصلاة إماما بالناس ،

فعن أبي قتادة الأنصاري ﷺ ، (أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ، ولأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها) ([2]).

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت :(ما رأيت أحدا من الناس كان أشبه بالنبي ﷺ كلاما ولا حديثا ولا جلسة من فاطمة ، قالت : وكان النبي ﷺ إذا رآها قد أقبلت رحب بها ، ثم قام إليها فقبلها ، ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه ، وكانت إذا أتاها النبي ﷺ رحبت به ، ثم قامت إليه فقبلته ، وأنها دخلت على النبي ﷺ في مرضه الذي قبض فيه ، فرحب وقبلها ، وأسر إليها ، فبكت ، ثم أسر إليها ، فضحكت ، فقلت للنساء : إن كنت لأرى أن لهذه المرأة فضلا على النساء ، فإذا هي من النساء ، بينما هي تبكي إذا هي تضحك ، فسألتها : ما قال لك ؟ قالت : إني إذا لبذرة ، فلما قبض النبي ﷺ فقلت : أسر إلي فقال : " إني ميت " ، فبكيت ، ثم أسر إلي فقال : " إنك أول أهلي بي لحوقا " ، فسررت بذلك وأعجبني) ([3]).

---

[1] ـ سنن الترمذي الجامع الصحيح ، كتاب المناقب ، أبواب المناقب عن رسول ﷺ ، حديث رقم : ٣٧٩٠.

[2] ـ صحيح البخاري ، كتاب :/ الصلاة ، أبواب سترة المصلي ، باب : إذا حمل جارية صغيرة على عنقه ، حديث رقم ٥٠٣.

[3] ـ الأدب المفرد البخاري ، باب : قيام الرجل لأخيه ، حديث رقم : ٩٧٩.

٣٥٦ وعن جميع بن عمير التيمي ، قال :(دخلت مع عمتي على عائشة فسئلت أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت : فاطمة ، فقيل : من الرجال ؟ قالت : زوجها ، إن كان ما علمت صواما قواما) (١).

وعن عبد الله بن الزبير ﷺ قال :(أن عليا ﷺ ذكر ابنة أبي جهل ، فبلغ النبي ﷺ فقال : " إنها فاطمة بضعة مني ، يؤذيني ما آذاها ، وينصبني ما أنصبها) (٢).

إن جميع بنات النبي ﷺ بلا شك قد لاقوا من التربية والتأديب والعطف وحسن المعاملة والحلم ما لاقته السيدة فاطمة رضي الله عنها .

لقد كان النبي ﷺ حريصا أشد الحرص على تعليم بناته كل ما ينفعهن من أمور دينهن ودنياهن وأخراهن .

فعن أنس بن مالك ﷺ ، قال :(قال النبي ﷺ لفاطمة : " ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به ، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين) (٣).

وعن عبد الحميد مولى بني هاشم ، حدثه أن أمه حدثته وكانت تخدم بعض بنات النبي ﷺ أن إبنة النبي ﷺ حدثتها أن النبي ﷺ كان يعلمها فيقول : (قولي حين تصبحين سبحان الله ، وبحمده لا قوة إلا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فإنه من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسي ، ومن قالهن حين يمسي حفظ حتى يصبح) (٤).

وكان النبي ﷺ يحافظ على عفة البنت وطهارتها وحيائها فيأمرها إذا بلغت بالحشمة والوقار وعدم التبرج والسفور خارج البيت .

فعن عائشة رضي الله عنها ، أن أسماء بنت أبي بكر ، دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها رسول الله ﷺ ، وقال : (يا أسماء ، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا " وأشار إلى وجهه وكفيه) (٥).

ثالثاً : معاملة النبي ﷺ لأصحابه :

لقد تميزت معاملة النبي ﷺ بالرفق واللين ، وعلاج أخطاء المخطئين بالإقناع والحجة والعقل ، وكذلك كان يعالج أمراض المجتمع وانحرافه وإصلاح خطئه بمنهج الإسلام الحكيم وتطبيقه عمليا وسلوكيا في أسلوب النبي ﷺ ، ومن هنا كانت

---

١ ـ سنن الترمذي الجامع الصحيح ، من الذبائح ، أبواب المناقب عن رسول ﷺ ، باب ما جاء في فضل فاطمة رضي الله عنها حديث رقم ٣٨٨٩.

٢ ـ مسند أحمد بن حنبل ، حديث رقم ١٥٨٢٦.

٣ ـ السنن الكبرى للنسائي :، كتاب : عمل اليوم والليلة ، حديث رقم : ١٠٠٢١.

٤ ـ سنن أبي داود ، كتاب : الأدب ، أبواب النوم ، باب : ما يقال إذا أصبح ،حديث رقم ٤٤٢٤.

٥ ـ سنن أبي داود ، كتاب : اللباس ، باب : فيما تبدي المرأة من زينتها ، حديث رقم : ٣٥٩٨.

تأتي الثمرة المرجوة فيرد الشاردين و ، ويعالج المخطئين بحسن المعاملة والأخلاق الكريمة بعيدا عن العنف والقسوة ، والتي تترك آثارا خطيرة في نفسية المنحرف وسوك للمخطئ ، فتزيد حماقته وعناده ، لأن تحقير المخطئ لا يأتي بخير ولا يؤدي إلى إصلاح واستقامة المعوج .

ومن هنا كان منهج النبي ﷺ في التأديب بطريقة هادئة مهذبة تفيض بالرحمة والشفقة واللين بالمخطئ ، وسوف نضرب بعض الأمثلة أو النماذج التي تبين معاملة النبي ﷺ لأصحابه المخطئين .

النموذج الأول :

عن أبي أمامة ، أن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال :(يا رسول الله ، أتأذن لي في الزنا ؟ قال : فصاح القوم به وقالوا : مه مه ، فقال رسول الله ﷺ : " أقروه وادنه " فدنا حتى كان قريبا من رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : " أتحبه لأمك ؟ " فقال : لا يا رسول الله ، جعلني الله فداك ، فقال رسول الله ﷺ : " ولا الناس يحبونه لأمهاتهم " قال : " أفتحبه لابنتك ؟ " قال : لا والله يا رسول الله ، جعلني الله فداك ، قال : " ولا الناس يحبونه لبناتهم " قال : " فتحبه لأختك ؟ " قال : لا والله يا رسول الله ، جعلني الله فداك ، قال : " ولا الناس يحبونه لأخواتهم " - ثم ذكر الحديث في العمة والخالة كذلك - قال : فقال يا رسول الله ، ادع الله لي ، قال : فوضع رسول الله ﷺ يده عليه ثم قال : " اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه " قال : فكان لا يلتفت إلى شيء بعد) ([1]).

لقد قام الشاب من عن رسول الله ﷺ ولم يكن أقبح لنفسه من الزنا ، بعد أن كان يريد التصريح له بالزنا ، وذلك لأن النبي ﷺ قد راعى البيئة التي جاء منها الشاب ، هذه البيئة التي تستنكر الزنا مع المحارم والأقارب ، ولا تستنكره مع الأجانب ، فعمم النبي ﷺ الحكم على الكل قريبا كان أم أجنبيا ، وذلك بقوله " وكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم ....لبناتهم ...لأخواتهم " وفي كل مرة يقشعر بدن الفتى من هذه الصورة التي يضعها أمامه النبي ﷺ .

النموذج الثاني :

عن معاوية بن الحكم السلمي ، قال :(بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ ، إذ عطس رجل من القوم ، فقلت : يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكل أمياه ، ما شأنكم ؟ تنظرون إلي ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت ، فلما صلى رسول الله ﷺ ، فبأبي هو وأمي ، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، فوالله ، ما قهرني ولا ضربني ولا شتمني ، قال ﷺ: " إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن) ([2]).

---

[1] - شعب الإيمان للبيهقي ، حديث رقم : ٥١٦٤.

[2] - صحيح مسلم ، كتاب : المساجد ، باب : تحريم الكلام في الصلاة ، حديث رقم : ٨٦٨.

٣- النموذج الثالث :

عن أنس بن مالك ، ﷺ قال : بال أعرابي في المسجد ، فقال أصحاب النبي ﷺ: مه مه ، فقال النبي ﷺ: " لا تزرموه " ، قال : فلما فرغ ، دعاه النبي ﷺ، فقال : " إن هذه المساجد لم تتخذ لهذا القذر والبول والخلاء إنما تتخذ لقراءة القرآن ، ولذكر الله " ، ثم أمر بعض أصحابه بدلو من ماء ، فصبه عليه) ( ).

* مزاح النبي ﷺ مع أصحابه للتسرية عنهم وملاطفاتهم :

وكان ﷺ يمزح مع أصحابه لإدخال السرور عليهم ليباسطهم ، وليهتدوا بهديه ويتخلقوا بخلقه ، فلو أنه ﷺ ترك الطلاقة مع أصحابه ، والمباسطة معهم ولزم العبوس ، والانقباض ، لألزم الصحابة أنفسهم بذلك ، وكذلك التابعون من بعدهم ، فمزح ﷺ ليمازحوا ، ولكنه ﷺ بين لهم أنه لا يقول في مزاحه إلا حقا ، فلا يأتي بباطل ولا بعبث.

فعن أنس بن مالك ﷺ، يقول :(إن كان النبي ﷺ ليخالطنا ،- أي ليلاطفنا ويمازحنا - حتى يقول لأخ لي صغير : " يا أبا عمير ، ما فعل النغير) ( ).

وعنه أيضا أنه قال : أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهرا ، وكان يهدي إلى رسول الله ﷺ الهدية من البادية ، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج ، فقال النبي ﷺ:(إن زاهرا باديتنا ، ونحن حاضروه " . وكان النبي ﷺ يحبه ، وكان رجلا دميما ، فأتاه النبي ﷺ يوما وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه ولا يبصره الرجل ، فقال : أرسلني من هذا ، فالتفت فعرف النبي ﷺ ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ ، حين عرفه ، وجعل النبي ﷺ يقول : " من يشتري العبد ؟ " فقال : يا رسول الله ، إذا والله تجدني كاسدا ، فقال النبي ﷺ : " لكن عند الله لست بكاسد) ( ).

ومن جملة ما ورد في مزاحه ﷺ ما روي عن أنس بن مالك ﷺ ، أن رجلا استحمل رسول الله ﷺ فقال : (إني حاملك على ولد الناقة " فقال : يا رسول الله ، ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله ﷺ : " وهل تلد الإبل إلا النوق ؟) ( ).

وروى ابن بكار عن زيد بن أسلم أن امرأة يقال لها أم أيمن الحبشية جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : إن زوجي يدعوك ، فقال ﷺ من هو ؟ أهو الذي بعينيه بياض ؟ ، فقالت : ما بعينيه بياض ، فقال ﷺ بلى بعينيه بياض ، فقالت : لا والله ، فقال ﷺ : ما من أحد إلا بعينيه بياض - يريد البياض المحيط بالحدقة .

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت :(أن نبي الله ﷺ أتته عجوز من الأنصار ، فقالت : يا رسول الله ، ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال نبي الله : " إن الجنة لا يدخلها عجوز " ، فذهب نبي الله ﷺ فصلى ، ثم رجع إلى عائشة رضي الله عنها ، فقالت عائشة : لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة ، فقال نبي الله ﷺ : " إن ذلك كذلك ، إن الله إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارا) ( ).

---

١ - السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب : آداب القاضي ، باب : ما يستحب للقاضي من أن لا يكون قضاؤه في المسجد ، حديث رقم : ١٨٨١٤.

٢ - صحيح البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : الانبساط إلى الناس ، حديث رقم ٥٧٨٤.

٣ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ، حديث رقم : ١١٤٢٤.

٤ - سنن الترمذي ، أبواب : البر والصلة ، باب ، ما جاء في المزاح ، حديث رقم : ١٩٦٢.

٥ - المعجم الأوسط للطبراني ، حديث رقم : ٥٦٤٩.

٣٥٩ عن أبي ذر الغفاري ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : (إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل الجنة دخولا الجنة ، يؤتى برجل فيقول : سلوا عن صغار ذنوبه واخبئوا كبارها ، فيقال له : عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا ، عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا " ، قال : " فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة " ، قال : " فيقول : يا رب لقد عملت أشياء ما أراها هاهنا " قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه) ([1]).

* الرسول ﷺ والواقع المعاصر :

لقد صنع خُلق رسول الله ﷺ مع أصحابه ترابطا معهم ، تميز بالحب والتقدير والتعظيم ، وكانوا رضوان الله عليهم كالفراش يتجمع حول النور تعلقا وعشقا .

إن هذا الحب من أصحاب رسول الله ﷺ نابع من قوة إيمانهم ، وصدق يقينهم ، الذي أودع في قلوبهم توقير صاحب الرسالة التي أخرجتهم من الظلمات إلى النور ، فأقروا بما له ﷺ من فضل عليهم .

ويؤكد هذا الحب كريم خُلقه ﷺ وعظمته ، فقد استطاع ﷺ بالحب أن يجمع القلوب من حوله ، وأن يملأها بالصدق ، ولو كان بغير هذا الخُلق لانفضوا من حوله يقول الله تعالى :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران الآية : ١٥٩.

ولقد رأينا كثيرا من الرؤساء والملوك تنهال عليهم الأسنة ، وتنهال الأقلام ويتعرضون لحملات ضارية من النقد والتجريح ، والاتهام والإشاعات ، بمجرد بعدهم عن سلطانهم وانتقال القوة على غيرهم ، وذلك لأنهم لم يعملوا بالإقناع والحب ، ولم ينشروا بين الناس قيم العدل والتسامح والتكريم ، وإنما اغتروا بالقوة والجاه ، وأهملوا حقوق الناس ، ولجأوا إلى البطش والإرهاب ، فلما ذهبوا ذهب كل شيء معهم .

أما سيدنا محمد ﷺ فقد ملء الدنيا بالخير ، وأقنع العقول بالحق ، وفاض خُلقه على الناس ، فتعلموا السماحة والرضى ، والحب ، والكرم ودخلوا في الإسلام راضين وسعداء ، ويكفي ما في قلوب الملايين من أتباعه ﷺ من حب صادق ، وإخلاص كبير([2]).

---

[1] - سنن الترمذي ، أبواب : صفة جهنم ، باب : منه ، حديث رقم ٢٥٨٤.

[2] - السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني : د. أحمد أحمد خلوش ص:٢٠٥:٢٠٦ ، طبع مؤسسة الرسالة بالقاهرة ، طبعة ثانية سنة ٢٠١٠م .

الفصل الثاني
فن المعاملة بين الزوجين في الإسلام

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول : فن معاملة الزوج لزوجته ودوره في استقرار الأسرة والمجتمع .

المبحث الثاني : فن معاملة الزوجة لزوجها ودوره في سعادة الأسرة والمجتمع .

المبحث الثالث : المعاملة بين الزوجين في الواقع المعاصر .

الفصل الثاني

فن المعاملة بين الزوجين في الإسلام

إن العشرة الحسنة بين الزوجين والتي بها قوام الحياة الزوجية ، يجب أن تسودها المودة والرحمة ، والمعاملة الطيبة الحسنة ، وأن يقوم كل من الزوجين بواجباته تجاه الأخر حتى تستمر الحياة وتدوم .

فالزوج قوام على الزوجة ، وهو رب أسرته وراعيها ، وعليه أن يُحسن القيام ، وأن يسوس رعيته بلين في غير ضعف ، وفي حزم في غير عنف ، وأن يراعي لزوجه حقوقها المشروعة ، وأن يتأدب بآداب الإسلام .

قال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ النساء من الآية : ١٩.

يقول الأستاذ/ محمد المدني في هذه الآية الكريمة .

إن هذا المبدأ توجيها يمس الحياة الزوجية في الصميم ، ولهذا المبدأ شقان :

أحدهما : أمر حاسم للرجال بأن يحسنوا معاشرة النساء ، ومقاييس هذا الإحسان هو المعروف ، والمعروف لفظ جامع لكل صورة من صور السلوك القويم والمعاملة العادلة : فالرفق بالزوجة معروف ، وتمكينها من العيش المناسب معروف ، وإشعارها بالاحترام والحب معروف ، ولقاء أهلها بالبشر والإكرام معروف ، ومشاورتها في أمور بيتها وأطفالها معروف ..... وهكذا .

أما إلقاء حبل الزوجة على غاربها فليس بمعروف ، وكذلك الإغضاء عنها حين تخرج من بيتها لغير حاجة وبدون إذن فليس بمعروف .... وهكذا .

والآخر : أن البيوت والزوجيات لا يلزم أن تبنى دائما على الحب ، فقليلا من الأزواج والزوجات من يتبادلن من الحب كأسه المترعة ، فلو توقف بقاء الزوجية على عامل الحب فقط لخرب كثير من البيوت ، ولانفصمت الآلاف من الزوجات ، ولكن هناك ما يُعوض نقص هذا الجانب إذ نقص ،وضياعه إذا ضاع ، فالزوجية شركة فيها مصاحبة وفيها ملاطفة ، وفيها أولاد وفيها تعاون على تذليل صعاب الحياة ، وفيها مع هذا كله أمل في المستقبل ، فلعل شيء من ذلك يوطد ويقوي ويحيي العاطفة ويحيي القلوب ، ويزدم بين الزوجين ، وتلك هي المعاني التي يوحي بها قوله تعالى : ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١).

---

١ - المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء : الأستاذ / محمد محمد المدني ، ص٨١ ، طبع دار القلم للنشر والتوزيع بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ١٩٨٤م .

٣٦٢ وقال تعالى : ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ النساء من الآية : ٢١.

فسمى الله تعالى العلاقة بين الزوجين بالميثاق الغليظ ، والعشرة بين الزوجين بالمعروف هي التي بها قوام الحياة الزوجية ، وكلما تأدب الزوجان بآداب الإسلام المتعلقة بالعشرة الزوجية ، كلما كان ذلك أدعى لاستمرار هذه الحياة ودوامها ، واستجلاب البركة من الله ﷻ بهذه العشرة الطيبة والمعاملة الحسنة .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا والطفهم بأهله) ([1]).

وعن أبا هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: (خيركم خيركم لنسائه ولبناته) ([2]).

وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : (خياركم خياركم لنسائه ، وأنا خيركم لنسائي) ([3]).

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع حزمه وشدته يقول : ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي ، فإن التمس القوم ما عنده وجد رجلا .

لقد فرض الإسلام للزوج حقوقا مقابل الواجبات التي يؤديها لزوجه ، كما فرض للزوجة حقوقا مقابل الواجبات التي تؤديها للزوج ، تقوم بمقتضاها المعاملة لتسير سفينة الحياة هادئة وطيبة وسعيدة ، بعيدة عن أعاصير الخلافات ، وتيارات المنازعات ، ومن ثم فهي مسئولية مشتركة وأعباء موزعة على الزوج والزوجة في محيط الأسرة ، تضمن الاستقرار والسكينة والطمأنينة والسعادة للأسرة والمجتمع .

ومن هنا قامت الأسرة في الإسلام على نظام إلهي حكيم عادل ، لا يساويه أي تشريع أسري بشري في العالم ، لأنه يضمن الحقوق المشتركة بين الزوج والزوجة ، ويجعل ما ينفقه الرجل على زوجه ابتغاء مرضات الله وطمعا في ثوابه ورضاه ، ويجعل ما ينفقه الرجل على أهله لا يضيع عبثا ، فعن جابر ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ: (كل معروف صدقة ، وكل ما أنفقه الرجل على نفسه فهو له صدقة ، وما أنفقه على أهله فهو له صدقة ، وما وقى به عرضه فهو صدقة) ([4]).

كل ذلك ليسعى الرجل في تأدية واجبات زوجته وأسرته بقلب منشرح ، وينفق بنفس راضية مطمئنة إلى ما أعده الله للمنفقين ونعم أجر العاملين .

إن الأسرة اليوم في الواقع المعاصر قد أغفلت تماما هذه المعاملة الطيبة ، وأهملت الحقوق والواجبات ، فضاعت الأسرة وفقد الزوجين السيطرة على الأبناء ، كما

---

[1] ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب : الإيمان ، حديث رقم : ١٥٨.
[2] ـ شعب الإيمان للبيهقي ، حديث رقم : ٨٤٣٩.
[3] ـ أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني ، حديث رقم : ١٨٦٢.
[4] ـ مكارم الأخلاق للخرائطي ، باب : ما جاء في اصطناع المعروف ، حديث رقم : ٧٥.

ضاعت حقوق الزوجين ، مما نتج عنه كثرة الخلافات والمشكلات ، وتأثرت الأسرة المسلمة بالأسرة الغربية ، بل وقلدتها في كثير من العادات والتقاليد ، ومنهج الحياة ، مما أدى إلى زيادة التفكك الأسري ، وأثر على قوة الرابطة الزوجية ، وجعلها هشة ضعيفة غير متماسكة .

وسوف نوضح ذلك من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول

فن معاملة الزوج لزوجته ودوره في استقرار الأسرة والمجتمع .

إن المعاملة الزوجية تركز على الفطرة السليمة ، والإيمان بالله تعالى ، وتغليب الجانب الروحي على الجانب المادي في كل من الرجل والمرأة لتحقيق الثمار المرجوة من هذه المعاملة ، فتقوم الحياة بين الزوجين على الصدق والإخلاص ، والرحمة والمودة والعدل ، والثقة ومعرفة كل طرف حقوق الطرف الآخر ، والقيام بها بود وتعاون ، فتتوفر مقومات السكن والدفء الأسري ، وترتفع الروح المعنوية ، وتكون السعادة البعيدة عن المنغصات والمعاملة السيئة .

وبذلك فإن تقسيم الأدوار بينهما وفق المنهج الإسلامي يكفل نجاح وسلامة الأسرة من كل ما يؤثر عليها من عادات وتقاليد وأخلاق بعيدة عن البيئة الإسلامية ، والتي من أضرارها إساءة استخدام الحقوق والواجبات بين الزوجين ، والغلظة في المعاشرة ، وتقديم العنف على الرفق ، والإساءة على الإحسان ، والشدة على اللين ، وبذلك تتبدل المعاملة الحسنة إلى معاملة سيئة ، وتكون النتيجة تفكك الروابط الأسرية ، بدلا من الاستقرار الأسري .

ويمكن أن نستخلص بعض الحقوق التي أكدها الإسلام للزوجة على زوجها ، والتي تعمق المعاملة الحسنة والعشرة الطيبة ، لكي تدوم الحياة في بهجة وسرور بين الزوجين ([1]) .

(١) معاملتها بالرفق واللين وحُسن المعاشرة :

إن ما بين الزوجين في الإسلام هو المودة والرحمة والسكن ، و يتحقق ذلك بحُسن المعاملة بينهما ، وهي التي تتمثل في المعاملة الكريمة والحب الخالص ،فمن حق الزوجة على زوجها أن يُحسن معاشرتها ، وأن يترفق في معاملاتها ملتزما بأمر الله تعالى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ النساء من الآية : ١٩.

---

[1] - أخلاقنا الاجتماعية : د . مصطفى الصباعي ص١١٠ وما بعدها بتصرف واختصار ، طبع دار السلام بالقاهرة ، طبعة رابعة سنة ٢٠١٠م .

٣٦٤ يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية :
أي عاشروهن على ما أمر الله به من حُسن المعاشرة ، وذلك بتوفية حقها من المهر والنفقة ، وألا يعبث في وجهها بغير ذنب ، وأن يكون منطلقا في القول لا فظا ولا غليظا ولا مظهرا ميلا إلى غيرها ، فأمر الله تعالى بحُسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن لتكون أدمة – أي خلطة – ما بينهم وصحبتهم على الكمال ، فإنه أهدى للنفس وأهنأ للعيش (١).
وكذلك حافظ الإسلام على كيان المرأة وقوة بناء الأسرة فنهى عن التضييق وشدة الخناق على المرأة ، بالتزمت في معاملاتها بدون سبب معقول ، وأمر بالمعاشرة الطيبة التي يقرها العرف ، النابع من الكرامة الإنسانية المكون من هداية الله لعباده (٢).
ولذلك قال النبي ﷺ : (..... استوصوا بالنساء خيرا) (٣).
فعلى الزوج أن يسوس زوجته سياسة حازمة حكيمة ، قائمة على الرفق واللين والتوجيه والإرشاد ، وبخاصة إذا كانت صغيرة السن ، أو ساذجة التفكير ، أو قليلة الخبرة والتجربة ، فلا ينشد الزوج الكمال في الزوجة ، حتى لا تتعرض الحياة الزوجية للمنغصات ، وتنتهي إلى الفراق ، لأن هذه أحلام لا تمت إلى الواقع بصلة ، وأوهام لا تتحقق في دنيا البشر ، فلابد أن يوطن الزوج نفسه على ما يسوؤه وما يمره ، فإذا وجد منها خلقا يكره استقبله بصبر الحليم ، دون المبادرة إلى الانفعال والبغض ، فإنه موشك أن يرى منها إلى جانب ذلك خُلقا آخر يسره ، فإنما هي إنسان فيها ما في سائر الناس من الخير والشر ، ولذلك يقول النبي ﷺ فيما رواه أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يفرك* مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقا رضي منها آخر) (٤).
قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث : أي ينبغي أن لا يبغضها ، لأنه إن وجد منها خُلقا يكرهه ، وجد فيها خُلقا مرضيا ، كأن تكون شرسة الخُلق لكنها دينة – أي ذات دين – أو إنها جميلة أو عفيفة ، أو رفيقة به ، أو نحو ذلك (٥).
ولسنا نجد في شريعة من الشرائع أو أدب من الآداب ما يذهب في رعاية الزوجة وحقوقها إلى مثل هذا الحد السامي الذي ذهب إليه الإسلام (٦).

---

١ ـ الجامع لأحكام القرآن : الإمام / أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي ، ج٥ ، ص٩٧ ، طبع دار الحديث بالقاهرة ، طبعة ثانية سنة ١٩٩٦م.
٢ ـ الإسلام عقيدة وشريعة : الإمام الأكبر الشيخ / محمود شلتوت ، طبع دار الشروق بالقاهرة ، طبعة سادسة سنة ١٩٩٠م.
٣ ـ صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب : الوصية بالنساء ، حديث رقم : ٢٧٤٩.
٤ ـ صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب : الوصية بالنساء ، حديث رقم ٢٧٥٠. * الفرك : البغض
٥ ـ صحيح مسلم بشرح النووي : ج١ ص٥٨.
٦ ـ المرأة بين البيت والمجتمع : د. أ مبهي الخولي ، ص٤٠ طبع دار القرآن الكريم ببيروت ، طبعة ثانية سنة ١٩٨٣م..

فالإسلام أمر أن نتلطف بعلاقتنا الزوجية ، فقال ربنا ﷻ : ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ البقرة : ٢٢٣. والتقديم للنفس هنا معناه : الملاطفة ، والكلمة الطيبة ، واللمسة الحانية ، والإشعار بأن هناك فرقا بين العلاقة الحيوانية التي يشترك فيها الإنسان والحيوان ، وبين الشعور الإنساني الذي يأتي بالصحبة والألفة التي تنشأ بين المرء وزوجه .

هذا التقديم للنفس أنواعه كثيرة ، وقد يختلف من شخص لآخر في المعاملة والشعور ، وحده ونهايته أنه لا يجوز للزوجين أن يجعلا هذه الأمور محور علاقتهما الزوجية وأساسها وعمودها ([1]).

ومن الواجب أن يذكر الزوج أنه أقدر على تحمل الأذى من الزوجة ، ولتتحمل الزوجة من زوجها بعض القسوة ، وبذلك يتحمل كلا منهما أذى صاحبه بأدب وحُسن خُلق ، وعلى الزوج أن يقدم لها النصح باللين تبدو فيه المودة والرحمة ، فيكلمها برفق ويتجاوز عن بعض الهفوات ، والزوجة أشد حاجة إلى مودة زوجها وحُسن معاملتها .

فالمرأة عاطفيه سريعة الانفعال ، كثيرة النسيان لجميل الزوج كما قال النبي ﷺ : **(.....لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئا ، قالت : ما رأيت منك خيرا قط)**([2]).

وهي طبيعة غالبة في النساء ، فلا يغضب الزوج لأقل خطيئة تبدو من زوجته ، حين تنكر في حالة الغضب فضله أو حُسن معاملته ، وعليه ضبط الأعصاب حين تقع الخصومة ليدفع عن الأسرة كثيرا من الشر والشقاء.

ومن الأزواج من يعتقدوا خطأ أن القسوة على المرأة والغلظة في معاملتها والجفاف والخشونة في علاقتهما ، هي الرجولة وهي الشهامة ، وعلى هذا الصنف أن يهتدي بهدي النبي ﷺ القائل فيما رواه أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **(أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم)** ([3]).

إن المرأة بحكم الوظيفة التي هيئها الله لها خُلقت مرهفة الحس ، رقيقة الشعور ، جياشة العاطفة ، سريعة التأثر ، ثم هي على إحساس دائم بأنها مرءوسة لا رئيسة ، فهي أطمع من الرجل في اللين والمحاسنة ، وهي أقرب منه إلى الغضب والحدة ، وأسرع إلى جمع السيئات وإرسال العبرات .

فمن حق الزوجة على زوجها دينا وخُلقا أن يرعى فطرتها ، وأن لا يشتد عليها إذا غضب ، وأن يسوسها باللين والرفق ، وأن يتحمل منها الأذى في حلم وهوادة ، ما لم تنتهك حُرمة الله ، وأن يعمل جاهدا على إدخال السرور على نفس زوجه ، وأن يخلق لها جوا يسوده المرح والبشر مقتديا بالنبي ﷺ .

---

[1] - أسرتنا بين الدين والخلق : د . محمد سليم العوا ، ص٧٤ مرجع سابق.

[2] - صحيح البخاري : كتاب الجمعة ، باب : صلاة الكسوف ، حديث رقم : ١٠١٩.

[3] - صحيح ابن حبان : كتاب الحج ، باب : الهدي ، حديث رقم : ٤٢٣٧.

٣٦٦ (٢) معاملة الزوج لزوجته على أنها مصدر السكن والطمأنينة :
ومن حُسن معاشرة الزوج لزوجته أن ينظر إليها على أنها سكن له تركن إليه نفسه ، وتكمن في جوارها طمأنينته ، وترتبط بالحياة الكريمة معها سعادته أو شقاوته ، فهي ليست أداة للزينة ولا مطية للشهوة ، ولا غرضا للنسل فحسب ، بل إنها تكملة روحية للزوج ، يكون بدونها عاريا من الفضائل النفسية فقيرا من بواعث الاستقرار والطمأنينة ، قال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم من الآية : ٢١.

فعلى الزوج أن يعامل زوجته على أنها سكنه الروحي والنفسي ، وعلى أنه قد ارتبط معها برابط عميق من المودة والرحمة هو أوثق من رابطة العقد القانوني ، الذي يلزمه نحوها بجوانب مالية أو حقوق مادية ، وحين ينظر الزوج إلى زوجته بهذا المنظار الجميل ، تزول من طريق الحياة الزوجية كل ما يشوبها من أشواك وعثرات ، ويكون الافتراق فيها عن طريق الطلاق أو الهجر انتزاعا للحياة من جسمي الزوج والزوجة على السواء ، فالحياة الزوجية التي لا يغيب فيها عن الزوج أبدا حاجته الروحية والنفسية والقلبية إلى زوجه لا يقع الطلاق وإن أبيح ، ولا يحصل التعدد وإن شُرع ، ولا يقف الزوجان أمام القضاء وإن اختلافا في البيت ، ولا يبغي أحدهما على الآخر في حقه ما داما هذا المعنى هو أساس الحقوق الزوجية كلها.

(٣) معاملة الزوج لزوجته برعاية مشاعرها وإيناسها .
وعلى الزوج أن يعامل زوجته معاملة طيبة مراعيا لمشاعرها ، ويدخل السعادة إلى نفسها ويهش للقائها ، ويستمع إلى حديثها ويمازحها ويداعبها تطييبا لقلبها ، وإيناسا لها في وحدتها ، وإشعارا لها بمكانتها من نفسه وقربها من قلبه ، وقد يظن بعض الجاهلين المتزمتين أن مداعبة الزوجة وممازحتها مما يتنافى مع الورع أو الوقار أو الهيبة التي تستشعرها الزوجة نحو زوجها ، وهذا خطأ فاحش ، ودليل على غلظة الطبع وقسوة القلب وجهل بالشريعة ، ولذلك كان النبي ﷺ وهو العابد الخاشع ، والقائد الحاكم من أفكه الناس مع زوجاته ، وأحسنهم خلقا ، كان يمزح معهن بما يدخل السرور إلى قلوبهن ، ويقصص لهن القصص ، ويستمع إلى قصصهن ، وكان يرفه عليهن ويسابقهن ، ويتلطف بهن ،ولهذا كان للزوجة حقها من الأنس والترويح والاستمتاع مع زوجها .
فقد آخى النبي ﷺ بين سلمان ، وأبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذلة ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبوالدرداء ليس له حاجة في الدنيا ، فجاء أبوالدرداء ، فصنع له طعاما ، فقال : كل فإني صائم ، قال : ما أنا بآكل حتى تأكل ، فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، فقال : نم ،

فنام ، ثم ذهب يقوم ، فقال : نم ، فلما كان آخر الليل ، قال سلمان : قم الآن ، قال ٣٦٧
: فصليا ، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال النبي ﷺ : " صدق سلمان) ([1]).

(٤) حق الزوجة على زوجها في صيانتها مع الغيرة والمحافظة عليها من السوء :

يجب على الزوج أن يحافظ على زوجته ، ويحصنها ، ويصونها من السوء والرذائل ، وأن يحافظ عليها من كل ما يعرضها للأذى أو يمسها بسوء ، لأنها أمانة لدى الزوج ، يقيها من الآثام والشرور ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ التحريم من الآية:٦.

ولذلك يجب على الزوج أن يقي زوجته من كل ما يعرضها للنار لأنها أمانة في عنقه يسأل عنها أمام الله يوم القيامة .

كما على الزوج أن يغار على زوجته فلا يعرضها للشبه ، ولا يتساهل معها في كل ما يؤذي شرفها ، أو شرف الأسرة ، أو يعرضها لألسنة السوء ، لأن التساهل في هذا الأمر قبيح ، ولا يعد من مكارم الأخلاق ، بل هو إهانة للمرأة لأن هذا التسامح يجر إلى شقاء الزوج والزوجة والأبناء ، ولا أدل على ذلك من البيئات التي تتساهل في الأمور ، تُعرض الزوجة للشبهات ، فتتأثر سمعتهم وكرامتهم بسلوك زوجاتهم ، فمن غض الطرف عن زوجته وهو يرى أو يسمع عنها السوء ولم يحافظ عليها فقد أخرج نفسه من زمرة الرجال الذين لهم حُرمة في النفوس ومنزلة عند الله تعالى ، ، وكفى به تحقيرا أن يسمى بالديوث .

فعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال : قال سعد بن عبادة ﷺ :(لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : " أتعجبون من غيرة سعد ، لأنا أغير منه ، والله أغير مني) ([2]).

وعن أسماء بنت أبي بكر ﷺ ، قالت : (تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء ، غير فرسه ، قالت : فكنت أعلف فرسه ، وأكفيه مئونته وأسوسه وأدق النوى لناضحه ، وأعلفه ، وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن ، ولم أكن أحسن أخبز ، وكان يخبز لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق ، قالت : وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي ،

---

[1] - صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب : صنع الطعام للضيف ، حديث رقم : ٥٧٩٤.
[2] - صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب : من رأى مع امرأته رجل فقتله ، حديث رقم : ٦٤٦٨.

٣٦٨ وهي على ثلثي فرسخ قالت : فجئت يوما والنوى على رأسي ، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه ، فدعاني ، ثم قال : " إخ إخ " ليحملني خلفه ، قالت : فاستحييت وعرفت غيرتك ، فقال : والله لحملك النوى على رأسك أشد من ركوبك معه ، قالت : حتى أرسل إلي أبو بكر ، بعد ذلك ، بخادم فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقتني) (١).

والغيرة المحمودة هي ما كانت في محلها وفي حدود الاعتدال ،وهي أن يحرص الزوج على التزام زوجته باللباس الذي حدده الإسلام ، وألا تجالس غريبا ، وأن تلتزم بحدود الله وأن تحافظ على العبادات ، أما ما جاوز الحد وكان ظنانا باطلا لا أساس له إلا وسوسة الشيطان ، فهو من الغيرة المكروهه التي حذر منها رسول الله ﷺ فعن جابر بن عتيك ﷺ قال : ، أن نبي الله ﷺ كان يقول : (من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله ، فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريبة ، وأما الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة) (٢).

وتثمر الغيرة السوية قوة وجرأة في الدفاع عن العرض ، إذا وقع عليه اعتداء ، وهي تعين على صيانة العرض وحمايته من الابتذال ، وتعتبر من الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم ،لأن الله تعالى هو الذي أحب هذه الغيرة للمسلم ، وقد أكرمه بجزاء الشهداء إذا هو قتل في سبيل الدفاع عن العرض،فعن سعيد بن زيد ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) (٣).

أما الإسراف في الغيرة فإنه يعكر صفو الحياة الزوجية ، ويقطع حبال المودة ، ويؤدي إلى النزاع فهي غيرة مذمومة مبغوضة مسرفة مريضة تعذب النفس ، وتثمر إساءة الظن ، وقد تذهب بالعقل فيكون الاعتداء على الأبرياء ، وقد جعل الله تعالى الرجل الديوث من الثلاثة الذين لا ينظر إليهم يوم القيامة ، فعن سالم بن عبد الله ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ :

(ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، والمرأة المترجلة ، والديوث) (٤).(٥).

ولذلك نهى النبي ﷺ على أن يأتي المسافر أهله فجأة ، ويطرق بابهم ليلا مما يوقع الشك ، ويزرع الظنون الخبيثة ليطلب عثراتهم ويتخونهم (٦).

---

١ ـ صحيح مسلم ، كتاب : السلام ، باب : جواز إردافه المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق ، حديث رقم : ٤١٤٥.

٢ ـ سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب : في الغيلاء في الحرب ، حديث رقم : ٢٣٠٠.

٣ ـ سنن الترمذي ، أبواب الديات ، باب : من قتل دون ماله ، حديث رقم ١٣٧٩، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح.

٤ ـ السنن الكبرى للنسائي ، كتاب : الزكاة ، باب : المنان بما أعطى ، حديث رقم : ٢٣١٤.

٥ ـ تحرير المرأة في عصر الرسالة : الأستاذ/ عبد الحكيم محمد أبو شقة ، ج٦ ص١٢٠ بتصرف ، طبع دار القلم بالقاهرة ، طبعة سادسة ٢٠٠٢م.

٦ ـ زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم ، ج٥ ص ٤٤٥.

إن الغيرة إذا وصلت إلى هذا الحد كانت حالة اعتلال عاطفي عصبي ، يعود ٣٦٩
بالعذاب على المرأة ، وهي ضحيتها ، وهي من أهم العوامل التي تجلب العداوة في الزواج (١).

(٥) حق الزوجة على زوجها في تعلم أمور الدين :

ومن حق الزوجة على زوجها أن يعلمها واجباتها الدينية ، ويرشدها إلى ما تحتاج إلى معرفته من دين ، أو ثقافة ، أو خُلق كريم ، وإن كان ذلك حقا من حقوقها ، فإنه في الواقع مصلحة الزوج نفسه ، فإن الزوجة التي تعرف حق ربها ، تكون أعرف بحق زوجها ، فالزوجة التي تقف بين يدي الله خاشعة عابدة تكون من أبر الزوجات بزوجها ، وأحنى الأمهات على أولادها ، وأسعد النساء في بيتها وأسرتها ، وعلى المرأة أن تتعلم أمور دينها ، وعلى الزوج أن يكون قدوة صالحة لزوجته ، فيشجعها على التعلم و الخُلق الكريم والآداب الإسلامية ، والمرأة أشد استجابة لعاطفتها وإرضاء لزوجها .

وعلى الأزواج أن يتقوا الله في دين زوجاتهن وأخلاقهن وحشمتهن ، فإنهم مسئولون عن ذلك بين يدي الله ، يوم لا ينفع المفرطين في مثل ذلك ندم ولا اعتذار .

فعلى كل زوج أن يعلم زوجته أمور العقيدة والإيمان ، وأحكام العبادات والأخلاق ، والحلال والحرام ، لأنه مسئول عنهم ، مأمور أن يقيهم عذاب النار ، قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾

التحريم من الآية : ٦.

يقول الإمام ابن كثير : قال الإمام علي ﷺ : أدبوهم وعلموهم ، وقال ابن عباس ﷺ :اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله ، وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار ، وقال قتادة : تأمرهم بطاعة الله ، وتنهاهم عن معصية الله ، وأن تقوم عليهم بأمر الله ، وتأمرهم به وتساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية قذعتهم عنها و زجرتهم عنها (٢).

فبالعلم تعرف المرأة حق ربها ، وحق زوجها وحق أبنائها ، فتعطي كل ذي حق حقه ، وعلى الزوج أن يتذاكر مع زوجته أبواب العلم ، وإن لم يكن يعلم سأل لها وأفتاها ، وأن يوفر المكتبة الإسلامية في بيته لتكون عونا للزوجين والأبناء على أن ينهلوا من نور العلم ، ويتفقهوا في دينهم .

---

١ - نظام الأسرة في الإسلام : د . محمد عقل ، ص٥٣ ، طبع مكتبة الرسالة عمان – الأردن – طبعة أولى سنة ١٩٩١م.

٢ - مختصر تفسير ابن كثير : ج٣ ص٥٢٢ ، تحقيق الشيخ / محمد علي الصابوني ، طبع دار القرآن الكريم بيروت ، طبعة سابعة سنة ١٩٨١م .

٣٧٠ (٦) حق الزوجة على زوجها في النفقة :

ومما يدعم المعاملة الحسنة بين الزوج وزوجته ، أن ينفق عليها بالمعروف ، وأن يتحرى الحلال في رزقه ، وأن يوفر بقدر استطاعته وسعته كل ما يلزم الزوجة من طعام ، وكسوة ، ومسكن ، ولا يكون شحيحا بخيلا إن كان ذو ميسرة ، لأن الإسلام قسم المسئوليات بين الزوجين ، فالزوجة لتدبير شئون البيت ورعاية الأسرة ، والزوج لتوفير النفقات الضرورية على سبيل الفرض والإلزام ، فينفق الزوج من غير إسراف ولا تقتير ، بل في حدود استطاعته المالية ، قال تعالى :

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ الطلاق من الآية : ٧ .

وقال جل شأنه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ البقرة من الآية : ٢٨٦.

فالنفقة تقدر للزوجة على أساس استطاعة الزوج ومقدرته عسرا أو يسرا .

وقد قال النبي ﷺ في خطبة الوداع : (ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف)(١).

وعلى الزوجة أن لا تطلب من زوجها من النفقة أكثر مما تحتاج ، وفوق ما لا يطيق الزوج ، فإن في هذا عنت وإرهاق لا تلجأ إليه زوجة عاقلة ، تريد أن تعيش في بيت الزوجية مكرمة هانئة مطمئنة ، وعلى الزوج أن لا يقصر في الإنفاق على زوجته لحفظ كرامة الزوجية وسعادة الأسرة وهو قادر على ذلك ، فهذا بخل يمقته الله ، وسبب من أسباب شقاء الزوجية ، وأشد من هذا مقتا وكرها ، أن يضن الزوج على زوجته بالنفقة بينما يجود بماله على رفاق السوء ، والموائد الخضراء والليالي الحمراء ، وهذا يقع ممن لا خلاق لهم ، ولا مروءة ، ولذلك يخيم على بيوت أمثال هؤلاء الأزواج البؤس والشقاء ، ومن ابتليت بمثل هذا الزوج فصبرت وعفت ، كانت من المجاهدين عند الله أجرا وثوابا ، وقد حافظت على سمعتها وشرفها ، وحسب هذا الزوج قول النبي ﷺ فيما يرويه عبد الله بن عمرو ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول) (٢).

(٧) حق الزوجة على زوجها في معاملتها بالعدل والبعد عن الظلم :

لقد أمر الإسلام الأزواج بحُسن التعامل مع زوجاتهم ، وعدم إساءة استخدام المميزات والحقوق التي فُضل بها على المرأة ، بقصد ظلمها والاعتداء على حقوقها ، لأن هذا يُعد ضعف في الرجولة واضطراب في الشخصية ، فمن الظلم للمرأة على سبيل المثال ـ المعاملة السيئة والضرب والشتم مما نهى عنه النبي

---

١ ـ صحيح مسلم ، كتاب: الحج ، باب : حجة النبي ﷺ ، حديث رقم : ٢٢١٢.

٢ ـ السنن الكبرى للنسائي ، كتاب : عشرة النساء ، باب : إثم من ضيع عياله ، حديث رقم : ٨٨٩٦.

ﷺ ، وهو مالا يتفق مع حدوث المودة والرحمة والسكن بين الزوجين ، فعن حكيم بن معاوية القشيري ، عن أبيه ، قال : قلت : يا رسول الله ، ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ ، قال ﷺ : (أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، أو اكتسبت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت) ([1]).

وقد يسئ الرجل استخدام حقوقه كبرا وعنادا فعلى سبيل المثال ، في مسألة الإيلاء ، وهو الإعراض عن إشباع غريزة المرأة دون عزر شرعي ، بقصد عقابها والإضرار بها ، ومن هنا حدد الإسلام حدا أقصى لمدة الإعراض بأربعة أشهر ، وإلا أجبرا على طلقها تطبيقا لقوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة الآية : ٢٢٦.

وبعد ذلك مراعاة لمشاعر المرأة وردعا للرجل ، للرجوع إلى الفطرة السليمة ، وبالإضافة إلى عدم الإضرار فإن هدف الإسلام من تحديد المدة هو صون الأخلاق والعفاف للمرأة والرجل على السواء .

وكذلك نهى الإسلام عن الاعتداء على حقوق الزوجة ومنع الإضرار بها ، قال تعالى :

﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾ البقرة من الآية : ٢٣١([2]).

وكذلك أمر الإسلام بعدل الزوج مع زوجته في كل القضايا والحقوق التي قررها حفاظا على الزوجة والأسرة ، وصيانة لكيان المجتمع ، فمن الظلم عدم العدل بين الزوجات ، والميل لواحدة وترك الأخرى معلقة ، قال تعالى :﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾

النساء من الآية : ١٢٩.

المبحث الثاني

فن معاملة الزوجة لزوجها ودوره في سعادة الأسرة والمجتمع

وكما اهتم الإسلام بحقوق الزوجة على زوجها ، فكذلك عُني عناية تامة بحقوق الزوج على زوجته ، وهي حقوق متبادلة تقوم على العدالة التامة ، وترتكز على فطرة كل من الزوج والزوجة في محيط الأسرة ، وهذه الواجبات التي تؤديها الزوجة لزوجها مقابل الحقوق من قبل الزوج لكي تسير سفينة الحياة هادئة محصنة ، بعيدة عن أعاصير الخلاف ، وتيارات المنازعات .

---

[1] - سنن ابي داود ، كتاب : النكاح ، باب : في حق المرأة على زوجها ، حديث رقم : ١٨٤٣.

[2] - حقوق الزوجين : للشيخ / ابي الأعلى المودودي ، ص٢٥ ، طبع مكتبة القرآن بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ١٩٨٠م.

هي إذا مسئولية مشتركة وأعباء موزعة وحقوق لا يستأثر بها الزوج وحده ، ولا تختص بها الزوجة وحدها ، بل إن أي حق يمنح لواحد منهما عليه أن يؤدي نظيره واجبا ، وتقوم المعاملة بين الزوجين على المودة والاحترام ، وتؤدى الحقوق والواجبات بسعادة وحب وود ورضا ، فهي إذا لا تؤدى أداءا ميكانيكيا أو روتينيا ، وبذلك تتحقق السعادة والاستقرار للأسرة ([1]).

إن حق الزوج على زوجته خطير ، والتقصير فيه عواقبه وخيمة في الدنيا والآخرة على السواء ، فبعد أن كان برها بأبويها مفتاحا لدخولها الجنة ، أصبح الآن بعد زواجها رضاه هو أساس دخولها الجنة ، فعن حصين بن محصن ﷺ قال : حدثتني عمتي قالت : أتيت رسول الله ﷺ في بعض الحاجة قال : (أي هذه أذات بعل أنت ؟ " قلت : نعم قال : " فكيف أنت له ؟ " قالت : ما آلوه إلا ما عجزت عنه ، قال : " فأين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك) ([2]).

وحق الزوج مقدم على حق والديها ، كما أفتت بذلك لجنة الفتوى بالأزهر الشريف برياسة الشيخ عبد المجيد سليم ([3]).

وعن أنس بن مالك ﷺ ، عن النبي ﷺ ،(أن رجلا خرج ، وأمر امرأته أن لا تخرج من بيتها ، وكان أبوها في أسفل الدار ، وكانت في أعلاها ، فمرض أبوها ، فأرسلت إلى النبي ﷺ ، فذكرت له ذلك فقال : " أطيعي زوجك " فمات أبوها ، فأرسلت إلى النبي ﷺ ، فقال : " أطيعي زوجك " ، فأرسل إليها النبي ﷺ : " إن الله غفر لأبيها بطاعتها لزوجها) ([4]).

إن الأسرة المسلمة في العصر الحاضر في أشد الحاجة إلى إصلاح اجتماعي يهتم بالمعاملات والعلاقات بين أفراد الأسرة ، لأن اضطراب الحياة الزوجية عاملا كبيرا من عوامل اضطراب الأوضاع السياسية والاجتماعية ، والتي تنشأ عنها الفوضى في الحقوق والواجبات بين الزوج والزوجة ، فلو استقام الأمر بينهما على حب روحي كريم ، وعلى حق واضح صريح يعرفه كل واحد منهما ، ويطبقه على نفسه قبل أن يطالب به الآخر ، عندها يرتفع المستوى الاجتماعي في محيط الأسرة ، فتنعم بالأمن والسعادة والاستقرار .

ومن هنا حدد الإسلام العلاقة والمعاملة بين كلا من الزوجين لضمان استقرار وسعادة الزوجية ، وهي حقوق متكافئة منسجمة ، تؤدي إلى ملئ القلوب بالحب ، وملئ البيوت بالنعيم ، وملئ المجتمع بالنسل الصالح ، الذي يبني ولا يهدم ، ويسمو ولا ينحدر .

---

[1] ـ الأسرة والإسلام : د . محمد بن الشريف ص١١٨ بتصرف ، مرجع سابق .

[2] ـ السنن الكبرى البيهقي ، كتاب : القسم والنشوز ، باب : ما جاء في عظم حق الزوج على المرأة ، حديث رقم : ١٢٧٥٢.

[3] ـ موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام : الشيخ / صابة مسقر ، ج٣ ص٢٤٤ ، مرجع سابق .

[4] ـ المعجم الأوسط للطبراني ، حديث رقم : ٧٧٩١.

وسوف نلقي الضوء على حقوق الزوج على زوجته وأدب المعاملة بينهم وذلك على النحو التالي ([1]).

(١) أدب معاملة الزوجة لزوجها بالطاعة وحُسن الخُلق :

ومن أدب معاملة الزوجة لزوجها وتأدية بعض حقوقه عليها أن تطيعه بالمعروف ، وهي طاعة تحتملها المصلحة المعنوية المشتركة بين الزوجين ، وهي طاعة تقوم على حُسن الخلق والأدب والاحترام والود وحفظ مكانة الزوج ، وهذه هي الطاعة التي يطلبها الإسلام من الزوجة لزوجها ، وهي القوامة التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ النساء من الآية ٣٣.

وهي سهلة على نفس المرأة المفطورة على المسالمة والمودعة والرفق واللين ، ومن هنا كان أثرها كبيرا في استقامة الحياة الزوجية وسعادتها ، وحُسن تربية الأولاد واستقامتهم في الحياة ، ولذلك كان أجرها عند الله كبيرا فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : سألت النبي ﷺ **(أي الناس أعظم حقا على المرأة ؟ قال : " زوجها " قلت : فأي الناس أعظم حقا على الرجل ؟ قال : " أمه ")** ([2]).

وعن عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي قال : قال رسول الله ﷺ **(.... لو أمرت شيئا أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، والذي نفسي بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه)** ([3]).

لأن السجود لا يكون إلا لله ، فالمقصود من الحديث توقير المرأة لزوجها أشد التوقير لما له من عظم الحق عليها إذ هو الكفيل بها القائم على أمرها المهتم لشئونها المسئول عن حمايتها ، ورعايتها وتقويمها ، ولأن الرجال قوامون على النساء بما أمر الله ، وهم المسئولون عن أمرهن بالمعروف ، ونهيهن عن المنكر ، والقيام بالسهر على رعايتهن قيام الوالي على رعيته ، وقد خص الله الرجال بالقوامة تشريفا وتكليفا ([4]).

عن أسماء بنت يزيد الأنصارية من بني عبد الأشهل ، أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه ، فقالت : **(بأبي أنت وأمي أنا وافدة النساء إليك ، واعلم ، نفسي لك الفداء ، أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي ، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء كافة ، فآمنا بك وبإلهك ، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومقضى**

---

[1] - أخلاقنا الاجتماعية : د . مصطفى السباعي ، ص١٠٤ : ١٠٨ بتصرف واختصار ، مرجع سابق .

[2] - السنن الكبرى للنسائي ، كتاب : عشرة النساء ، باب : حق الزوج على المرأة ، حديث رقم : ٨٨٦٩.

[3] - صحيح ابن حبان : كتاب : الهدى ، باب : ذكر استحباب الاجتهاد للمرأة في قضاء حقوق الزوج ، حديث رقم : ٤١٣٢.

[4] - الدين المعاملة : الأستاذ / أحمد إسماعيل يحيى ، ص٦٧ ، طبع مكتبة الدار العربية للكتاب بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ٢٠٠٣م .

٣٧٤ شهواتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات ، وعيادة المريض ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مرابطا حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا لكم أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله ؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال : " هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن في مسألتها عن أمر دينها من هذه ؟ " فقالوا : يا رسول الله ، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا ، فالتفت النبي ﷺ إليها ، فقال : " انصرفي أيتها المرأة ، وأعلمي من خلفك من النساء ، أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته تعدل ذلك كله " قال : فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشارا) (١).

وصدق رسول الله ﷺ فطاعة المرأة لزوجها جهاد من نوع آخر غير جهاد السيف ، إنه جهاد العاطفة والهوى والنفس ، ولإخضاع ذلك كله لمصلحة الأسرة وإسعادة الأولاد ، ولذلك قال رسول الله ﷺ فيما روي عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ، قال : قال رسول الله ﷺ :(إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها قيل لها : ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت) (٢).

إنه لثواب عظيم وفرحة كبيرة ، فعلى الزوجة العاقلة أن تحرص على ذلك ولا تضيعه ، إنها جنة عرضها السموات والأرض تعطى ثمنا لطاعة الزوج وعبادة الله.

ما أرخص الثمن وما أغلى المبيع ، ولذلك كانت الطاعة المطلوبة من المرأة لزوجها إنما هي في حدود مطالب الشريعة والمصلحة المشتركة ، وتحرم الطاعة في كل ما نهى الله عنه فعن عمران بن حصين ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ:(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) (٣).

يقول الإمام الغزالي رحمة الله عليه في بيان حقوق الزوج على زوجته : أن تطيعه في كل ما يُطلب منها فيما لا معصية فيه ، وأن تحفظه في غيبته في بيته وماله ونفسها (٤).

ومن حُسن معاملة الزوجة وحُسن خلقها مع زوجها أن تستقبله في البيت وهي طلقة الوجه ، مستبشرة ، قصيرة اللسان عن سب الأولاد ، ومطالبة الزوج ما لا طاقة له به ، وتجتهد ما في وسعها أن توفر للزوج الهدوء والطمأنينة والسكينة والاستقرار ، وعليها كذلك أن تشعر زوجها بالاحترام والتقدير ، وأن تبادله البذل والعطاء وأن تحميه من المنغصات والأكدار ، ولا تحاول رد قوله وإهانة إرادته ، وتسفيه رأيه ، وإشعاره بالجحود والنكران ، وبذلك تقوم بإسعاده بكل معاني السعادة الزوجية

---

١ ـ معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني : حديث رقم ١٨٨٢.
٢ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، حديث رقم : ١٦١٦.
٣ ـ المعجم الكبير للطبراني : حديث رقم : ١٥٢٠٦.
٤ ـ إحياء علوم الدين :الإمام / أبو حامد الغزالي ج٢ ص٥٨ مرجع سابق .

وأحاسيسها ، وتجنبه مجبة الغدر والكراهية ، فلا يصبح البيت أمامه جحيما ، يشقى في العمل ويبذل الجهد ، ولا يجد في بيته السعادة والاطمئنان ([1]).

إن طاعة الزوجة وعبادتها لربها لا تقبل حتى تطيع زوجها وتوفيه حقه ، وقد أجمع على ذلك كل العقلاء ، حتى من لا يدينون بدين سماوي .

إن المرأة اليابانية تتعلم منذ الطفولة أن الرجل هو أهم شيء في حياتها ، وأن زوجها هو فردوسها الوحيد ، تتعلم أن الجنة والنار لا يعرفهما إلا الرجال فقط ، وأن جنتها الحقيقية هي رضا الرجل عنها ، ونارها هي سخطه عنها ، تتعلم أيضا أن هناك ثلاثة أبواب لدخولها الجنة ، الباب الأول : هو طاعة الأب ، وذلك قبل الزواج ، الباب الثاني : هو طاعة الزوج ، الباب الثالث : هو طلقة الأم لأبنها إذا ترملت ، لأنها تعتقد أن طاعة ابن الزوج هو طاعة للزوج ، ومن هنا نعرف السر في أن المرأة اليابانية أحرص النساء على سعادة زوجها ، ولا يستطيع أن يباريها في ذلك نساء العالمين ([2]).

(٢) معاملة الزوجة لزوجها بحفظ ماله والحرص على راحته :

ومن حق الزوج على زوجته أن تتقي الله في ماله ، ولا تكلفه ما لا يستطيع ، ولا تتصرف في شيء من ماله إلا بإذنه ، لأن مخالفة ذلك يولد الشحناء والبغضاء ، ويوجب النفور والقسوة في القلوب ، ويفسد عواطف الزوجين ، وعليها كذلك أن توفر له الراحة والسكينة والهدوء لتكون جديرة بثقته واطمئنانه .

عن أبي أمامة ﷺ ، عن النبي ﷺ ، أنه كان يقول : (**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله**) ([3]).

وعلى الزوجة أن لا تجحد حق الزوج ولا تنكر فضله ، لأن ذلك يؤثر على حُسن العشرة بينهما فعن عبد الله بن عمرو ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال :(**لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها ، وهي لا تستغني عنه**) ([4]).

وقد أخبر النبي ﷺ أن من حق الزوج على زوجته أن لا تعطي شيئا من بيته إلا بأذنه ، فإن فعلت ذلك أي : أعطت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر ، وفي رواية أثمت ولم يتقبل منها ، لأن الزوجة في بيت زوجها راعية ، وقد قال رسول الله ﷺ فيما روي عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته** " قال : - وحسبت

---

[1] - أدب المعاملة في الإسلام : الأستاذ / عبده غالب أحمد عيسى ، ص١١١ ، طبع دار الجيل بيروت ، طبعة أولى سنة ١٩٨٧م.

[2] - موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام : الشيخ / عطية صقر ، ج٢ ص ٢٤٤ مرجع سابق .

[3] - سنن ابن ماجة ، كتاب : النكاح ، باب ، أفضل النساء ، حديث رقم : ١٨٥٣.

[4] - المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب : النكاح ، حديث رقم : ٢٧٠٢.

٢٧٦ أن قد قال - " والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته) (١).

(٣): معاملة الزوجة لزوجها بمراعاة شعوره والابتعاد عما يؤذيه :

فعلى الزوجة أن تكون حريصة في معاملتها لزوجها على حُسن سمعته بين الناس ، لأنه ينالها ما يناله في ذلك من خير أو شر ، أو ذم أو ثناء لأنها شريكة لزوجها في نجاحه الاجتماعي ، فالمرأة التي تلجئ زوجها إلى السرقة مثلا أو الاستدانة تكون قاسية القلب لا تعيش مع زوجها بروحها ولا بقلبها ، وإنما تعيش معه بجسدها ولذتها !!.

ولقد كان نساء السلف الصالح رضوان الله عليهم من عاداتهم أن تقول الزوجة لزوجها حين يخرج من البيت : (اتق الله وإياك والكسب الحرام ، فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار) .

ولذلك أثنى الله تعالى على الزوجة الصالحة التي تحافظ على زوجها ، والتي تراعي مشاعره وغيرته ، فقال تعالى : ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ النساء من الآية : ٣٤ .

يقول الإمام الشوكاني : فالصالحات أي : من النساء ، قانتات ،أي : مطيعات لله ، قائمات بما يجب عليهن من حقوق الله وحقوق أزواجهن ، حافظات للغيب أي : لما يجب حفظه عند غيبة أزواجهن عنهن ، من حفظ نفوسهن وحفظ أموالهم (٢).

عن معاذ بن جبل ﷺ ، عن رسول الله ﷺ قال : (لا يحل لامرأة أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره ، ولا تخرج وهو كاره ، ولا تطيع فيه أحدا ، ولا تخشن بصدره ، ولا تعتزل فراشه ، ولا تضربه ، وإن كان هو أظلم منها حتى ترضيه ، فإن هو رضي وقبل منها فيها ونعمت ، قبل الله عذرها ، وأملح وجهها ، ولا إثم عليها ، وإن هو أبى أن يرضى عنها فقد أبلغت عذرها) (٣).

فعن معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ قال : (لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله ؛ فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا))(٤).

---

١ - صحيح البخاري : كتاب : الجمعة ، باب : الجمعة في القرى والمدن ، حديث رقم : ٨٦٧.

٢ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : الإمام / محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ج١ ص٥٨١ ، طبع مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ١٩٣٠م.

٣ - المعجم الكبير للطبراني : حديث رقم ١٧٠٤٠.

٤ - مسند أحمد بن حنبل ، حديث رقم : ٢١٥٥٢.

(٤) معاملة الزوجة لزوجها بعدم الخروج من بيته إلا بإذنه وأن لاتبدي زينتها للأجانب :

ومن حُسن معاملة الزوجة لزوجها أن لا تخرج من بيته بغير إذنه ، وأن لا تأذن في بيته لأحد إلا بإذنه ، وأن تبتعد عن الشبهات التي قد تكون سببا في تنغيص الحياة الزوجية

فعن ابن عباس ﷺ ، أن امرأة من خثعم أتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إني امرأة أيم ، فأخبرني : ما حق الزوج على زوجته ؟ فقال ﷺ : (**إن حق الزوج إن سألها نفسها وهي على ظهر بعير أن لا تمنعه ، ومن حق الزوج على زوجته ، أن لا تصوم يوما تطوعا إلا بإذنه ، فإن فعلت جاعت وعطشت ، ولم يقبل منها ، ومن حق الزوج على زوجته أن لا تعطي شيئا إلا بإذنه ، فإن فعلت كان الأجر لغيرها والشقاء عليها ، ومن حق الزوج على الزوجة أن لا تخرج من بيتها إلا بإذنه ، فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء ، وملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، حتى ترجع أو تتوب**) ([1]).

ومن حق الزوج على زوجته أن لا تؤذي مشاعره في ملبسها وزينتها ، ومشيتها ونظرتها ، قال تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ النور الآية : ٣١.

وقد حذر النبي ﷺ المرأة التي لا تتأدب بأدب الدين ، وتلتزم الحشمة والوقار ، وتحافظ على حق الله وحق زوجها في نظراتها ولباسها وكل أعمالها تعرض نفسها لجهنم ، ولا تجد ريح الجنة ، فعن أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ: (**صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها**

---

[1] - المطالب العالية للحافظ / ابن حجر العسقلاني ، كتاب : الوليمة ، باب : حق الزوج على المرأة ، حديث رقم : ١٧١١.

النساس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) ([1]).

(٥) معاملة الزوجة لزوجها بتلبية رغبته وعدم الامتناع عنه :

ومن حق الزوج كذلك على زوجته أن لا تمتنع عن فراشه ، وأن تلبي ندائه إذا رغبها وهي في أجمل صورة وأبهى زينة ، وأن تبتعد عن كل ما ينفره منها في الشكل والرائحة ، فلا تأتي من المطبخ أو من عملها عليه ، بل يجب عليها أن تجدد من شكلها ، وتغير رائحتها ، وأن تطرح الهموم والشواغل خلفها طالما كانت خالية من الموانع الشرعية ، وأن تبادله الرغبة وأن تعطيه من نفسها وميلها ورغبتها وصوتها كل ما يحب ويتمنى .

فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا دعى الرجل امرأته إلى فراشه فلم تجب لعنتها الملائكة) ([2]).

وعن طلق بن علي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا الرجل دعا زوجته لحاجته فلتأته ، وإن كانت على التنور) ([3]).

وكذلك لا تصوم تطوعا في حضوره إلا بإذنه ، فإنه ربما أرادها في أي وقت فتمتنع عنه بالصوم ، فيغضب ويحدث ما لا يحمد عقباه ، إذ إن حقه واجب على الفور فلا يحل لها أن تفوته بالتطوع ، فعن أبي هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : (لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه ، وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يؤدى إليه شطره) ([4]).

وعن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لعن الله المسوفات ؟ قيل : وما المسوفات ؟ قال : الرجل يدعو امرأته إلى فراشه ، فتقول : سوف ، سوف ، حتى تغلبه عينه) ([5]).

فعلى المرأة أن تتحرى رضا زوجها خاصة قبل نومه ، ويجب عليها أن لا ترفع صوتها في وجه زوجها ، فذلك أكره ما يكون في نفس الزوج ، وعليها أن تعتذر لزوجها ، وإن كان هو المتسبب في الخطأ ، وأن تتذكر قول النبي ﷺ فيما يرويه أنس بن مالك ﷺ إذ قال : (.... ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة ؟ " قالوا : بلى يا رسول الله قال : " كل ولود ودود ، إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب - أي : زوجها - قالت : هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى) ([6]).

---

[1] - صحيح مسلم ، كتاب : اللباس والزينة ، باب : النساء الكاسيات العاريات ، حديث رقم : ٤٠٦٥.

[2] - الضعفاء الكبير للعقيلي : حديث رقم : ٣٨١.

[3] - سنن الترمذي : باب : ما جاء في حق الزوج على المرأة ، حديث رقم : ١١١٦.

[4] - صحيح البخاري ، كتاب : النكاح ، باب : لا تأذن المرأة في بيت زوجها إلا بإذنه ، حديث رقم : ٤٩٠٢.

[5] - المطالب العالية للحافظ / ابن حجر العسقلاني ، كتاب : النكاح ، باب : نهي المرأة عن المسل إذا امتنعها زوجها ، حديث رقم : ١٦٩١.

[6] - المعجم الصغير للطبراني : حديث رقم : ١١٨.

كما عليها أن تفرح قلب زوجها وتدخل على نفسه السرور والبهجة حينما يعود من ٣٧٩
عمله ، وذلك بابتسامتها العذبة ، ومنظرها الجميل ، ومنزلها المعطر المرتب ، وطعامه الجاهز ، وتأجيل كل ما يضايق الزوج من طلبات وأخبار إلى وقت آخر ، حتى تضمن سعادة زوجها وراحته .

(٦) أدب معاملة الزوجة لزوجها بتوفير سكن النفس ونظافة الجسد والبيت .

فعلى المرأة أن تهتم بحُسن مظهرها أمام زوجها ، فتلبس من الثياب ما يحب ، وتكون على الهيئة والشكل الذي يحبه ، حتى تقر عينه ويسر برؤيتها ، وتصير قريبة من قلبه محببة إلى نفسه ، أما ظهور المرأة أمام زوجها بصورة قبيحة ، وعدم اهتمامها بما يسره واستهانتها بمنظرها ، فلا يشم منها إلا رائحة كريهة ، ولا يراها إلا في هيئة مكروهة ، بذلك ينفر منها الزوج فلا يطيق رؤيتها ، بل يصبح قربها ثقيل على نفسه ، مثل هذه الزوجة قد خالفت سنة النبي ﷺ القائل فيما روي عن أبي هريرة ﷺ ، قال : قيل لرسول الله ﷺ أي النساء خير قال : (**التي تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره**) ([1]).

والحديث يقرر أن خير النساء التي تسر زوجها إذا نظر إليها لحُسنها وطلاقة وجهها ، وسماحتها معه ، ومسارعتها إلى ما فيه رضا الله تعالى ورضا زوجها ، وهي أيضا التي تنصاع لأمره – ما داما شرعيا – من تمكينها له منها ، وعدم الخروج من بيتها إلا بإذنه ، وتطوعها لخدمته ومعاونته في كل شئونه ، ومشورته ، لكسب دوام رضاه عنها استدامة للعشرة بينهما وتأليفا لقلبه وكسبا لحبه ([2]).

ولذلك يجب على الزوجة نظافة بيتها ونظافة جسدها ، وأن تتزين لزوجها حين قدومه إليها ليزيد حبه لها وشوقه إليها ، وبذلك تكون المرأة ناجحة في امتلاك قلب زوجها ، وألا تكون كالتي تستقبل زوجها بثياب المطبخ ، شعثه الشعر رثة الهيئة ، ثم لا تتزين إلا حين خروجها من بيتها أو استعدادها للزيارة ، فتفشل الحياة الزوجية وتحل التعاسة والشقاء بدلا من السعادة والهناء .

*** وصية أم عاقلة لابنتها لتحقيق السعادة الزوجية :**

وهنا نترك المجال للنساء العاقلات الذين عرفوا حق الزوج فأوصوا بناتهم لتستمر السعادة في الحياة الزوجية ، وتكون ميراث مبارك يضمن المودة والرحمة .

فروي أن عمرو بن حجر خطب إلى عوف بن محلم الشيباني ابنته أم إياس ، فلما كان بناؤه بها خلت بها أمها أمامة بنت الحارث فقالت : (إن الوصية لو تركت لعقل أو أدب أو مكرمة وحسب لتُركت لك ، ولكن الوصية تذكرة للعاقل ، ومنبه للغافل ، يا بنية ، إنه لو استغنت المرأة عن الزوج لغنى أبويها ، وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عن الزواج ، ولكن الرجال خُلقوا للنساء ، كما هن خُلقن

---

[1] - السنن الكبرى للنسائي : كتاب النكاح باب: أي النساء خير ، حديث رقم : ٥١٩٩.

[2] - الدين المعاملة : الأستاذ / أحمد إسماعيل يحيى ، ص٦٩، مرجع سابق .

٣٨٠ للرجال ، أي بنية ، إنك فارقت بيتك الذي فيه خرجت وعشك الذي فيه درجت إلى بيت لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أمة يكن لك عبدا ، واحفظي له خصال عشر يكن لك ذخرا .

أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحُسن السمع والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموضع عينيه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشمن منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت طعامه ومنامه ، فإن توائر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والإرعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر في المال حُسن التقدير ، وفي العيال حُسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمرا ، ولا تفشين له سرا ، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره .

ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتما ، والكآبة بين يديه إذا كان فرحا ، واعلمي أنك لم تبلغي رضاه حتى تؤثري هواه على هواك ([1]).

وهناك من الحقوق الكثير للزوج ، وقد اكتفيت بأهمها والتي تظهر حُسن التعامل بين الزوج والزوجة ، وتحقق الاستقرار والأمن والأمان للأسرة والأبناء ، ولذلك فمن حق الزوج على زوجته أن تُحسن إلى أولاده وإلى أهله ، وأن تكون راضية النفس طاهرة القلب ، بعيدة عن العناد والمكابرة والشقاق ، وغيرها من المنغصات التي تعوق الحياة الزوجية ، وتسبب عدم استقرار الأسرة ، وتحافظ على غيرة الزوج .

ومن أدب المعاملة أن تتودد إليه ، وأن تلبي طلبه قبل أن يأمر حتى يشعر بالقرب القلبي والروحي ، وهو ما يسمى بتوارد الأفكار ، فيصير القلب قلبا واحدا ، والعقل عقلا واحدا ، والروح روح واحدة يسودها الحب والوئام ، وأن تبتعد عن كل ما يغضبه ، وأن تتعامل معه برفق في كل ما هو فيه خلاف بينهما ، وأن تبتعد عن كل ما يفسد العلاقة الزوجية ، وأن لا تتعالى عليه بمالها وجمالها وحسبها ومنصبها ، وأن تدخل على نفسه السرور إن كان مهموما ، وتساعده في حل مشكلاته ، وتشاركه في كل أموره الحياتية ، وأن تجعل لغة الحوار هي اللغة السائدة بينهما ، وإذا كان في غضب لا تسأله عن شيء ولا تجادل معه ، بل تتودد إليه وتتقرب منه ، وأن تتجنب ثورة الزوج ، وأن تعتز بزوجها وتحفظ مكانته أمام أهلها ، وأن تجيبه بصوت منخفض ، وأن لا تفرط في الغيرة ، وأن تهتم بحُسن منظرها ، وأن تعد له طعامه وملبسه ، وأن تصبر على إيذائه وغيرها من أدب معاملة الزوجة لزوجها فعلى الزوجة الصالحة العاقلة الفاضلة أن تحرص على سعادة زوجها ، وأن تجعل من بيتها جنة ومسكنا أمنا مستقرا يأوي إليه الزوج ويجد فيه من البشرى

---

[1] - موسوعة الأسرة : الشيخ / حسانين محمد سقر ج٣ ص٢٨٦ مرجع سابق.

والنظافة والتعاون وحُسن الخُلق ، وصفاء النفس والقلب ما يحبب إليه هذا السكن الآمن فلا يهرب منه ، وأن هذا البيت لهو محل رضا الله ﷻ ، لأنه تتحقق فيه المقاصد الشرعية ، وتنشأ فيه الأسرة الصالحة التي تحقق السعادة للفرد والمجتمع والأمة ، وتكون من الثمار الطيبة التي خرجت من التربة الصالحة وتربت في أحضان البيت الطيب الصالح المستقر .

* نموذج حي لتعامل الزوجة المثالية مع زوجها :

وإتماما للفائدة سوف نذكر نموذجا حيا لأعظم زوجة عرفتها الإنسانية ، وخير قدوة لنساء الأمة الإسلامية ، لأن هذا النموذج يأتي من بيت النبوة ، ألا وهي السيدة خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – التي ولدت في مكة سنة ٦٨ قبل الهجرة ، وكان أبوها من أشراف قريش ، تربت في بيت مجد وبيئة ميسورة ، ونشأت على الأخلاق الحميدة ، وكانت تلقب في الجاهلية بالطاهرة لفطرتها النقية الطاهرة وأخلاقها العالية السامية ، اجتمع فيها ما لم يكن لأحد من نساء العرب ، وضربت الأمثلة الصالحة للنساء على مر العصور في النبل والطهارة وإنكار الذات والتضحية ، يروى أنها قد تزوجت مرتين قبل أن تتزوج من النبي ﷺ ، من سيدين من سادات قريش ، هما عتيق بن عابد المخزومي ، وأبو هالة بن زرارة التميمي ، وبعد وفاتهما عملت في التجارة ، وبدأت تشق الحياة من جديد ، وتنافس كبار التجار في قبيلتها ، وكانت رضي الله عنها ذات ذكاء ، شعارها دائما الأمانة ، وبهذه الصفة الحميدة بدأت تجارتها تزدهر وتتسع ويزداد مالها يوما بعد يوم ، وتزداد شهرتها في التجارة ، وكانت بضاعتها دائما موضع ثقة وتقدير وإقبال ورواج ، وكانت رضي الله عنها كلما ازداد ربحها سعت إلى ذوي الحاجات فأعطت عن طيب خاطر ، فلا عجب أن يهديها الله ﷻ للاستعانة بالصادق الأمين ، وكانت تتخير الرجال الذين عرفوا بالأمانة والصدق ، واشتهرت سيرتهم بالعفة وضبط النفس والحلم ، وقد اختارت السيدة الفاضلة اللبيبة الكريمة خديجة رضي الله عنها وأرضاها محمداً ﷺ ليتاجر لها في مالها ، وقد وافق وخرج فعلا بتجارتها إلى الشام في رحلة الصيف التي تضم قوافل قريش كلها ، ورغم صغر سنه وعدم خبرته فإن التوفيق كان حليفه بدرجة مدهشة ، فلقد تدفقت الأرباح والمكاسب ، وكانت خديجة سعيدة بالربح ، إلا أنها سعيدة أكثر من تقرير ميسرة الذي رافق محمدا ﷺ في هذه الرحلة ، فبادرت السيدة خديجة رضي الله عنها بعرض الزواج على محمدﷺ لما لمست فيه من صفات الأخلاق الحميدة والصدق والمروءة والرجولة ، فوافق النبي ﷺ وأسرع إلى عميه العباس وحمزة رضي الله عنهما فباركا الزواج ، وتزوجها ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وهي بنت أربعين سنة ، فعاشت السيدة خديجة رضي الله عنها مع النبي ﷺ حياة سعيدة ووئام مستمر طوال حياتهما الزوجية التي استمرت خمسة وعشرين سنة مليئة بالألفة والاستقرار ، وقد أنعم الله تعالى عليهما فرزقهما البنين والبنات – القاسم وعبد الله

٣٨٢ ورقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة ـ وقد ذاقت مرارة فقد الولدين القاسم وعبد الله ، إلا أنها صبرت وأصبحت أم البنات في بيئة مفتونة بالبنين ، ولكنها أدركت أن الأمر لله وحده ، وعاشت الأسرة في هدوء ، وقد تركت لزوجها ﷺ أموالها ليشرف عليها ، كما هيأت له أسباب التأمل والعبادة ، فأعانته على التعبد في غار حراء قبل نزول الوحي عليه ﷺ ، فكان يأخذ معه الزاد ليتفرغ لعبادة ربه ، بينما تقوم هي بالعناية بأبنائها وإدارة أمور بيتها ، فكان زواجه ﷺ من خديجة رضي الله عنها عونا له على التفرغ للعبادة ، وأن يطرح عن كواهله شواغل الدنيا ، وكأنما أراد الله تعالى من زواجه منها في سنها هذه أن تكون له عونا في رسالته في مهدها ، ودافعا له في تحمل مسئوليتها دون أن يكون لها مطالب خاصة ، ونزل عليه جبريل فقال : اقرأ ... ورجع النبي ﷺ إلى خديجة يرتجف فؤاده فقال : زملوني زملوني ، وأخبر خديجة قائلا لقد خشيت على نفسي فهدأت من روعه وطمأنته قائلة : كلا والله لايخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الدهر ، وكانت خديجة تذهب إلى غار حراء تحمل الماء والزاد إلى النبي ﷺ فوصلت إليه وهو مستغرق في العبادة فأتاه في تلك اللحظة جبريل ﷺ وقال له :(**هذه خديجة أتتك بإناء فيه طعام - أو إناء فيه شراب - فاقرئها من ربها السلام ، وبشرها ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب**) (١).

وحينما أبلغها النبي ﷺ بذلك قالت :(إن الله هو السلام ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام ، وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله) وهكذا تعلن خديجة على الفور استجابتها برسالته مصدقة لما يقول ، وامتلأ قلبها بالفرحة حين أدركت أنه نبي هذه الأمة ، وصدقت وآمنت به وبربه الكريم ، ومنذ هذه اللحظة وهي واقفة بجواره ، تشد أزره ، وتعينه على احتمال أقصى صنوف الأذى والاضطهاد من قومه ، وبذلت من مالها وضحت في سبيل ما جاء به ، وذاقت مرارة الحرمان حينما حوصر الرسول ﷺ في شعب بني هاشم ، وبالرغم من أنها صاحبة عز وجاه فإن حبها لعقيدتها جعلها تصبر على أقصى أنواع البلاء بجوار زوجها الوفي ، وكانت رضي الله عنها ترى ما يتعرض له زوجها الحبيب ﷺ من الإيذاء والسخرية فتواسيه وتخفف عنه وتهون عليه ، فكانت بذلك مثلا عظيما وفريدا بل وقدوة لكل زوجة مسلمة .

وذكر بعض العلماء أن خديجة رضي الله عنها كانت أول فقيهة في الإسلام حيث فقهت ـ أي فهمت ـ منذ الوهلة الأولى مكانة محمد ﷺ ومنزلته عند الله تعالى ، وكانت وزير صدق لرسول الله ﷺ ومستشارا ، وهي أول من بشرها بالجنة من أزواجه ، وأول من أقرأها ربها السلام ، وأول من أسلمت ، وأول من صلى مع رسول الله ﷺ ، وأول من تلا القرآن بعد أن سمعته من فم الرسول ﷺ ، وبيتها هو

---

١ ـ صحيح البخاري : كتاب التوحيد ، حديث رقم : ٧٠٨١.

أول مكان تلي فيه وحي الله تعالى بعد غار حراء. وذكر الطبري أن دار خديجة ٣٨٣
رضي الله عنها أفضل الأماكن بمكة المكرمة بعد المسجد الحرام ، ولعل ذلك يرجع إلى طول سكن النبي ﷺ ونزول الوحي عليه فيه ، ومن فضل هذا البيت أن خرج منه زيد ابن حارثة الذي لم يذكر الله تعالى في كتابه الكريم أسم صحابي غيره فقال تعالى :﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ..﴾ الأحزاب من الآية : ٢٧.

وفي هذا البيت نشأ علي ابن أبي طالب ﷺ، وكان أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكان بيت الرسول ﷺ أيضا هو خير البيوت في الأرض ، فمنه خرجت خديجة سيدة نساء العالمين ، ومنه خرجت أبنتها السيدة فاطمة سيدة نساء أهل الأرض .

وتوفيت خديجة في السنة العاشرة من البعثة ، وهي في الخامسة والستين من عمرها ، وحزن ﷺ لموتها حزنا شديدا ، بل إنه سمى العام الذي توفيت فيه بعام الحزن ، لاجتماع وفاتها مع وفاة عمه أبو طالب ، وكان فقدهما خسارة كبرى للنبي ﷺ إذ فقد المواساة والطمأنينة ، والملجأ الذي يخفف عنه عناء ما يحدث له من أذى واضطهاد ، ولم يستطع النبي ﷺ أن ينساها أبدا ، وكان يحمل لها الوفاء ، فقد كانت بمنزلة الأم الحنون والأخت البارة ، والزوجة الكريمة ، تواسيه وتخفف عنه الآلام عندما يرجع مهموما ، وكانت ذكراها الطيبة العطرة على لسان رسول الله ﷺ وخيالها لم يفارقه ، فعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : **(كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها ، فأحسن الثناء ، قالت : ففرت يوما ، فقلت : ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق ، قد أبدلك الله عز وجل بها خيرا منها ، قال : " ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها ، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء)** ([1]).

ولم يكن ﷺ يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها ، فعن عائشة رضي الله عنها ، قالت :**(ما غرت على نساء النبي ﷺ ، إلا على خديجة وإني لم أدركها ، قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة ، فيقول : " أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة " قالت : فأغضبته يوما ، فقلت : خديجة فقال : رسول الله ﷺ " إني قد رزقت حبها)** ([2]).

وكثيرا ما كان ﷺ يذكر أصدقائها بالخير ، وكان يرتاح لأقربائها ، ومن وفائه لزوجته الراحلة رضي الله عنها أنه ﷺ ذات يوم كما تروي السيدة عائشة رضي الله عنها ، قالت : **(جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي ، فقال : لها رسول الله ﷺ : " من أنت ؟ " قالت : أنا جثامة المزنية ، فقال : " بل أنت حسانة المزنية ، كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ " قالت : بخير بأبي أنت**

---

[1] - سنن الإمام / أحمد بن حنبل : حديث رقم : ٢٤٢٢٩.

[2] - صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب: فضائل خديجة رضي الله عنها ، حديث رقم : ٤٥٦٩.

٣٨٤ وأمي يا رسول الله ، فلما خرجت قلت : يا رسول الله ، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟ فقال : " إنها كانت تأتينا زمن خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان) (١).

ومن وفائه لها ﷺ عدم زواجه في حياتها رغم كبر سنها .

يا لها من زوجة فقيهة ذكية تعلمت الأدب كله ، وتعايشت معه في بيت النبي ﷺ الذي جمع الله له كل المناقب والفضائل والمكارم ، فقال ﷻ :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤.

وهي أول أمهات المؤمنين وأول الناس إسلاما على الإطلاق ، ومثال الزوجة الصالحة الودودة الأنيسة ، التي تقف عند الشدائد موقف الساعد والظهر ، فهي لا ترعى الرسول ﷺ وحده ، وإنما تحمل هم الدعوة إلى الله في أول مراحلها وتكوناتها ، وكانت رضي الله عنها سببا في دخول الكثير من النساء في الإسلام ، فهي قدوة للمرأة المسلمة الداعية ، وقد آزرت زوجها في أحرج الأوقات ، وتحملت كيد الخصوم وآلام الحصار ومتاعب الدعوة ، وساندته في محنته وواسته في كربته ، وآنسته في وحدته ، وهي بذلك لها فضل كبير على كل مسلم ومسلمة إلى أن تقوم الساعة (٢).

• حقوق مشتركة بين الزوجين :

وبعد هذا العرض رأيت إتماما للفائدة ذكر بعض الواجبات والحقوق المشتركة بين الزوجين لتمكين الأسرة من أداء وظائفها الأساسية على خير وجه ، وقيام الزوج والزوجة بالانصهار في بوتقة واحدة ، تختفي فيها الأنانية ، ويسود الإيثار ، ويتحقق التضامن والتكافل والتكامل والمودة والرحمة والسكن قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ الأعراف من الآية : ١٨٩.

فالمسئولية مشتركة بين الزوجين في أداء الواجبات ، ومن ثم ينال كل منهما حقوقه ويؤدي واجباته ، ومن هذه المسئولية والحقوق ما يلي:

١ـ حفظ أسرار الزوجية :

فالعلاقة الخاصة بين الرجل وزوجته لا ينبغي أن تكون حديثا في المجالس ، أو سمرا مع الأصدقاء والصديقات ، مما نشاهده للأسف في بعض الأحيان بين المسلمين ، لأن إفشاء أسرار الزوجية يتنافى مع المروءة والكرامة التي يجب أن

---

١ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب : الإيمان ، حديث رقم : ٣٩.

٢ ـ مجلة الوعي الإسلامي : العدد ٥٥٢ يوليو ٢٠١١م ، مقال للأستاذ : نعيم نعيم الصلوتي ، ص٧٥،٧٤ ، طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت .

٣٨٥ يتحلى بها كل مؤمن ومؤمنة ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ فيما يرويه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدر قال : قال رسول الله ﷺ : (إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، الرجل يفضي إلى امرأته ، وتفضي إليه ، ثم ينشر سرها)(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال : (.....قام رسول الله ﷺ في مقامه الذي يصلي فيه ، ومعه يومئذ صفان من رجال ، وصف من نساء - أو صفان من نساء ، وصف من رجال - فأقبل عليهم فقال : " إن نساتي الشيطان شيئا من صلاتي فليسبح القوم ، وليصفق النساء " ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينفس من صلاته شيئا ، فلما سلم أقبل عليهم بوجهه ، فقال : " مجالسكم ، هل فيكم رجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره ، ثم يخرج فيحدث فيقول : فعلت بأهلي كذا ، وفعلت بأهلي كذا ؟ " فسكتوا فأقبل على النساء فقال : " هل منكن من تحدث ؟ " ، فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها ، وتطاولت ليراها رسول الله ﷺ ويسمع كلامها ، فقالت : إي والله إنهم ليحدثون ، وإنهن ليحدثن ، قال : " هل تدرون ما مثل من فعل ذلك ؟ إن مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما صاحبه بالسكة ، قضى حاجته منها والناس ينظرون إليه ...) (٢).

كما يجب على الزوجين حفظ سر بيتهما ، ولا يفضي أحدهما مهما كانت الأسباب والخلافات الأسرية التي لا يسلم منها بيت ، ويمكن حل المشاكل بينهما بالحكمة وحُسن التصرف من غير أن يعرف أو يتدخل الأهل أو الأقارب ، لأن تدخل أي من هؤلاء يزيد التعقيدات والمشاكل ولا يساعد في حلها .

٢ - التحلي بالصبر في المعاملة بين الزوجين :

ومن مقتضيات الحياة الزوجية الناجحة أن يصبر كل من الزوجين على صاحبه إذا رأى منه مالا يحب من تصرفات ، فقد أوصى الرسول ﷺ بحُسن معاملة النساء فقال : (...واستوصوا بالنساء خيرا) (٣).

وعلى الزوج أن يتذكر مزايا زوجته بجوار عيوبها ،قال تعالى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ النساء الآية : ١٩.

وعلى الزوجة كذلك أن تعمل على استرضاء زوجها ، فالله تعالى لا يحب الذوقين والذواقات ، فالزواج مسئولية وميثاق غليظ ، وليس من الحكمة أن تهدم الأسرة لأسباب واهية وأمزجة متقلبة (٤).

---

١ - صحيح مسلم ، كتاب : النكاح ، باب: تحريم إفشاء سر المرأة ، حديث رقم : ٢٦٧٥.

٢ - مسند أحمد بن حنبل : حديث رقم : ١٠٧٦٢.

٣ - صحيح البخاري ، كتاب : النكاح ، باب : الوصاة بالنساء ، حديث رقم : ٤٨٩٣.

٤ - الحلال والحرام في الإسلام : د : يوسف القرضاوي ص١٦٤ وما بعدها بتصرف واختصار طبع المكتب الإسلامي بالدوحة لأول سنة ١٩٦٦م.

٣- الرضا بما قسم الله تعالى :

فعلى الزوجين الرضا بما قسما الله تعالى لهما ، وعدم تمني ما فضل الله به غيرهم عنهم ، وعدم التطلع إلى ما عند الغير، قال رسول الله ﷺ: (وأرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس) (١). وعلى كل من الزوجين أن ينظر إلى من هو دونه في الرزق ، وغيره من أمور الدنيا حتى تستريح النفس ،ويشعر الإنسان بالرضا والطمأنينة ، ويزول الهم والغم ، ويكثر الحمد والشكر لله تعالى ، قال رسول الله ﷺ : (من أصبح آمنا في سربه ، معافى في جسده ، عنده طعام يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا) (٢).

٤- اعتراف الزوجين بالجميل والمعروف :

فعلى الزوج والزوجة الاعتراف بالجميل لكل منهما لزيادة الألفة والمحبة والإخلاص ،لأن جزاء الإحسان لابد أن يقابله الإحسان، والزوج الذي لا يشكر زوجته على أعمالها وإخلاصها ناكر للجميل ، جاحد الإحسان والمعروف ناسيا للفضل ، لأن من لا يشكر الناس لا يشكر الله ، وأولى الناس بإحسانه وشكره زوجته وأم أولاده ، وفي المقابل يجب على الزوجة أن لا تجحد فضل زوجها وإحسانه ومعروفه ، ولا تكثر الشكاية وكفران العشير .

وهناك الكثير من الحقوق المشتركة بين الزوجين- فوق ما ذكر – نذكر منها : حق التوارث ، وحرمة المصاهرة بين أصول وفروع الزوجين ، وثبوت نسب الأولاد ، والأمانة بين الزوجين وهي أن يكون كل منهما أمينا على نفسه ، أمينا على زوجه ، وحُسن الخلق والمعاشرة ، والتحلي بالأخلاق الفاضلة (٣).

المبحث الثالث

المعاملة بين الزوجين في الواقع المعاصر

وبعد أن بينا ما ينبغي أن يفعله الزوج تجاه زوجته من معاملة حسنة ، وكذلك ما ينبغي أن تقوم به الزوجة تجاه زوجها من واجبات تقابل الحقوق التي على زوجها كما أمر الإسلام ، وهي حقوق وواجبات مشتركة تضمن التعايش الأسري في جو من السعادة والاستقرار ، والأمن والأمان .

وبالنظر إلى ما هو كائن وما ينبغي أن يكون نجد الكثير من الأسر المسلمة قد خالفت أمر الله تعالى ورسوله ﷺ ، لأن لبيت الزوجية مكانة كبيرة وأهمية عظمى في الإسلام ، وإذا التزمت الأسرة بتعاليم الإسلام فإنها تنعم بالهدوء وراحة البال ، أما إذا خالفوا منهج الله تعالى فسوف يكون الشقاء والتفكك الأسري ، وانعدام الأمن والهدوء والاستقرار ، وتتبدل الأحوال والمعايير داخل الأسرة .

١- سنن الترمذي ، كتاب: الزهد ، باب: من اتقى المحارم ، حديث رقم : ٢٣٠٥.

٢- أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: من أصبح آمنا ، حديث رقم : ٣٠٣.

٣- للاستزادة : المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم : د . عبد الكريم زيدان ج٧ ص ٢٢٠، طبع مؤسسة الرسالة طبعة ثالثة سنة ٢٠٠٠م .

ومن هنا اعتنى الإسلام بتأسيس بيت الزوجية على دعائم السكن والمودة والرحمة ، ووضع ضوابط تتمثل في الحقوق والواجبات يلتزم بها الزوجان دون اعتداء أحدهما على حق الآخر ، وقد سار على هذا النهج السلف الصالح رضوان الله عليهم ، فكانوا قدوة صالحة للأسرة المسلمة ، وعاشوا في سكينة وطمأنينة .

إن الواقع المعاصر الذي نعيش فيه اهتزت فيه القيم والأخلاق ، وابتعدت فيه المجتمعات الإسلامية عن منهج الله تعالى ورسوله ﷺ ، ومن هنا اهتز عرش مملكة الحياة الزوجية ، فساءت الأحوال وكثرت المشكلات ، مما ترتب عليه ضياع حقوق الزوجة والزوج معا ، وبالطبع ضاعت حقوق الأولاد بينهما ، وقد تكون الزوجة هي السبب ، وقد يكون الزوج ، وقد يكون الزوجان معا ، فكثرت الاتهامات في غياب الوعي ، وعدم الدراية بثقافة التعايش الأسري التي حددها الإسلام .

إن الخلافات الزوجية ازدادت إلى حد كبير ، وفسدت العلاقات الأسرية ، وزاد الضيق والفتور والإهمال بين الزوجين ، وضاعت الحقوق والواجبات ومن ثم ضاعت المسئولية والثقة والمودة والحب بين الزوجين مع بعضهما ، وبينهما وبين الأبناء ، وهبت ريح الانفصال وزادت معدلات الطلاق ، وانهدم صرح الأسرة الإسلامية الشامخ ، ولذلك أوصى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الزوج بالمعاملة الحسنة لزوجته التي تقوم على الود والتسامح ، والرفق والمعاشرة بالمعروف قال تعالى :﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ النساء من الآية :١٩.

فإحسان العشرة يكون بالبعد عما ينفر والسعي إلى كل ما يرضي ، بشرط أن لا تكون فيه معصية للخالق ﷻ ، والتعاون على دفع الشر وجلب الخير ، والإخلاص في أداء الواجب ، مع العطف والتسامح والتلطف في الحديث ، واحترام الرأي وإشاعة الأنس ، وما إلى ذلك مما تقتضيه الحياة الزوجية من العيش في جو صحي خال من أسباب النزاع والشقاق ، وعوامل العنف والكآبة ([1]).

وقال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ البقرة من الآية : ٢٢٨.

يقول الشيخ / رشيد رضا : فهذه الجملة تعطي الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجته في جميع الشئون والأحوال ، فإذا هم بمطالبتها بأمر من الأمور يتذكر إنه يجب عليه مثله بإزائه ، ولهذا قال ابن عباس ﷺ إني لأحب أن أتزين لامرأتي ، كما أحب أن تتزين لي، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

---

[1] ـ الحقوق والواجبات ، دراسة مقارنة : د . أحمد حمد ص١٨٧.

٣٨٨ وليس المراد بالمثل المثل لأعيان الأشياء ، وإنما المراد أن الحقوق بينهما متبادلة ، وأنهما أكفاء فما من عملا تعمله المرأة للرجل ، إلا وللرجل عمل يقابله لها ، إن لم يكن مثله في شخصه فهو مثله في جنسه ، فهما متماثلان في الحقوق والأعمال ، كما أنهما متماثلان في الذات والإحساس ، والشعور والعقل ، إي أن كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر في مصالحه ، وقلب يحب ما يلائمه ويسريه ويكره ما لا يلائمه وينفر منه ، والحياة الزوجية المشتركة لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين للآخر والقيام بحقوقه ([1]).

لقد تبدلت الأحوال وانعكست الأمور وفشى الظلم ، فكان الميل في المعاملة الذي أدى إلى وقوع الشر والجفاء وسوء الخُلق وتعكير صفو الحياة الزوجية ، وكثرة الخلاف والشقاق ، والتقصير في أداء الحقوق والواجبات ، وكذلك في المعاملة الطيبة ، وتقتير الزوج في الإنفاق على زوجته وأولاده ، فقد سأل أعربي الرسول ﷺ قائلا : يا نبي الله نساؤنا ما نأتي منها وما نذر ؟ ، قال ﷺ : (**حرثك فأت حرثك أنى شئت ، غير أن لا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت ، وأطعم إذا طعمت ، واكس إذا اكتسيت ، كيف وقد أفضى بعضكم إلى بعض**) ([2]).

لقد نبه الإسلام إلى أن يعامل الزوج زوجته برفق ، ولا يجرح مشاعرها وأحاسيسها ، وكذلك الزوجة في معاملاتها لزوجها ، وللأسف لا ينفذ الزوجين في الواقع المعاصر ما أمر الله به من الأخلاق الفاضلة في التعامل ، فعن أنس بن مالك ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : (**أكمل المؤمنين إيمانا أحاسنهم خلقا وإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلاة**) ([3]).

إن كثيرا من الزوجات الآن للأسف لا يدركن حقوق الزوج فساد الإهمال ، وقد انعكس ذلك على تصرفات بعض الأزواج ، فكانت لغة العنف مع المرأة مكان اللين ، وفهم الأزواج تعاليم الإسلام فهما غير صحيح ، وقلت الثقافة الدينية ، فشقيت الأسرة بمن فيها من الأولاد ، وقطعت العلاقة الروحية ففشلت الأسرة ، ولا يكتب لها النجاح والاستقرار إلا إذا رجعت إلى تعاليم الإسلام من جديد ، وعرف كل من الزوجين الحقوق والواجبات فقام بها على أكمل وجه ، وعندها تسعد الأسرة وتؤدي دورها في الحياة ، وتسود المودة والرحمة والسعادة والاستقرار([4]).

واجبات الزوجة بين تعاليم الإسلام والواقع المعاصر :

إن الإسلام ضمن للمرأة حقوقا لو أنصفت لتمسكت بها وحافظت عليها ، ونفذتها بجملتها ، ولكنها جهلت دينها ، فتطلبت حقوقا من مصادر أخرى ، ولو فهمت ما

---

[1] - نداء للجنس اللطيف : الشيخ /محمد رشيد رضا ص٣٠، طبع دار النشر للجامعات القاهرة ، طبعة أولى سنة ٢٠٠٧م.

[2] - المعجم الكبير للطبراني : حديث رقم : ١٦٧٤٩.

[3] - المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني : كتاب الطب ، باب : حسن الخلق ، حديث رقم : ٢٦٢٨.

[4] - www.montada.com\showthread.php

جاء به الدين نحوها لعكفت على نصوصه تستوحي منها نظاما لسلوكها ، ولكنها ٣٨٩
جهلت ذلك .
فمنزل الزوجية تتولى فيه المرأة كل ما تشاء من المناصب والأعمال ، وعليها أن تظهر براعتها وقدرتها في توفير الأمن والاستقرار إذا كانت تتطلع إلى أحد مناصب الأمن والنظام
وإذا كانت تتطلع إلى أحد مناصب التربية والتعليم فعليها أن تظهر في بيتها ثقافتها وتوجيهاتها التربوية وذكائها وحُسن تدبيرها ونظرها الثاقب .
وإذا كانت تتطلع على أحد المناصب المالية والاقتصادية ، فعليها أن تظهر في منزل الزوجية حُسن رعايتها ومقدار ذوقها في التنظيم والتنسيق وصيانته من غزو الأمراض .
وإذا كانت تتطلع إلى أحد مناصب القضاء والنيابة والتشريع ، فعليها أن تظهر في بيتها عقلها الواسع ، واستنباطها الحقائق وحل المشكلات .
وهكذا يمكن للمرأة أن تشفي حاجة نفسها إن شُغلت بهذه المهام الخطيرة ، وعليها أن تنظر بعين الفكر إلى تكوينها الطبيعي ، ومواهبها العقلية والعاطفية ، وأن تترك للزوج مجاله في السعي وتوفير متطلبات الحياة ، وأن تشكر الله تعالى أن حماها من هذا الحمل الثقيل ، وأن توجه نشاطها إلى مملكتها الضيقة في بيتها ، لأن إدارة المنزل والوفاء بحقوق الزوجية في حاجة ماسة إلى ثقافة متخصصة ، وهذه الإدارة تختلف باختلاف العصور والبيئات ، لكل منها ما يناسبه ، والمنزل الحديث يستلزم ثقافة ممتازة نظرا لتعدد مطالب العصر الحاضر فهي تريد من المرأة أن تكون على بصيرة بفنون التربية ، وبوسائل النظافة والنظام ، وبفنون التمريض والإسعافات الأولية لمواجهة الاحتمالات ، وغير ذلك مما تمس الحاجة إليه ، وكلما كملت المرأة في هذه النواحي انتظمت الحياة الزوجية .
وعلى العكس من ذلك يكون منزل المرأة الجاهلة بهذه الفنون أشبه بالخربة وسط القصور الزاخرة بالحركة والحياة والبهجة والسرور .
والإسلام في تعلم هذه الفنون رحب الصدر مرن القواعد مادام ذلك كله في حدود المشروع ، ومن أجل ذلك ندعوا البنت في سنها المبكرة إلى التعليم في المعاهد والمؤسسات التي تُعنى بالتربية النسوية لتهيئتها للحياة المستقبلة ، كما يجب تدريس ثقافة التعايش الأسري في مناهج التعليم عبر مراحله المختلفة ، لتوضيح حقوق الزوج وواجبات الزوجة ، وحقوق الأولاد على أبويهم ، على أن تكون دراسة متعمقة ، ويجب أن يقوم الدعاة والخطباء بدورهم ، وأن يتناولوا في خطبهم ودروسهم الموضوعات التي تمس الأسرة ، وسبل علاجها ، مع ضرب النماذج الحية للأسرة الناجحة المعاصرة أو السابقة في عصر النبوة .
لقد اهتم الغرب أخيرا بهذا النوع من التعليم وأتت مؤسساته بنتائج طيبة ، ففي الدنمارك وزيرة خاصة بالشئون الزوجية ، وإن كان هذا في الغرب يوحي من ثقافته فإن الإسلام لا يرى بأسا في تعليم البنت أصول الحياة الزوجية ، وكل ما

يختص بهذا الشأن ، حتى تكون على بينة من أمرها ، فتكون زوجة صالحة ناجحة[١].

كيف نحقق السعادة الزوجية في العصر الحاضر ؟

إن السعادة الزوجية من أهم أهداف الزواج في الإسلام ، لتسير الحياة الزوجية من الرضا والقناعة إلى السعادة والاستقرار ، وتتحقق المودة والرحمة ، ويكون ذلك بتحقيق القواعد التالية [٢].

القاعدة الأولى :تقرب الزوجين إلى الله تعالى :

فيحرص كل من الزوجين على طاعة الله تعالى ، والحذر من شؤم المعصية وعاقبة المعاصي والذنوب في الدنيا قبل الآخرة ، ومن ثمار الطاعة وحُسن الصلة بالله أن تجعل القلب عامرا حيا يقظا ، وتزيد البركة في الوقت والجهد ، وتبعث جوا من السعادة والراحة النفسية في الأسرة والبيت ، قال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ طه الآيات : ١٢٣، ١٢٤.

القاعدة الثانية :تحديد المسئولية المشتركة بين الزوجين :

فالرجل مسئول عن بيته مأمور برعايته وإقامة شئون أسرته ، والمرأة كذلك تشاركه المسئولية ، فهي ترعى بيتها بتدبير أموره ، ورعاية أولادها ، والنصيحة لزوجها ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : (كلكم راع ومسئول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها ، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته) [٣].

القاعدة الثالثة : التضحية والعطاء :

أن الزواج عبارة عن شركة بين رجل وامرأة بهدف بناء جيل صالح يعبد الله ، فأصل الزواج في الإسلام هو حلول المودة والألفة والإيثار والتضحية بين

---

[١] - موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام : الشيخ / عطية صقر ،ج٢ ص٢٢٨:٢٤١ بتصرف واختصار ، مرجع سابق .

[٢] - مجلة الوعي الإسلامي : العدد ٥٥٢ يوليو ٢٠١١م ، مقال بعنوان : فن السعادة الزوجية : الأستاذ / فتحي موسى ص٧٠ ، مرجع سابق .

[٣] - صحيح البخاري : كتاب : الاستقراض وأداء الديون ، باب : العبد راع في مال سيده ، حديث رقم : ٢٣٠٠.

الزوجين ، ولقد جعل الله تعالى لكل من الزوجين حقوقا عند الآخر يجب عليه القيام بها ليسعد الآخر قبل سعادته من أجل دوام العشرة ، أما من يبحث عن سعادته فقط من الزوجين فهي من الأنانية المقيتة التي تؤدي إلى الشقاء .

القاعدة الرابعة : حسن الظن والنظر إلى الفضائل بين الزوجين :
فعلى الزوجين البعد عن سوء الظن الذي قد يهدم البيت ، ويحول السعادة الزوجية إلى جحيم ، وعلى كل من الزوجين أن ينظر إلى صفات الآخر الجميلة ، وأن يغير تدرجيا الصفات السيئة التي لا تعجبه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فالحياة السعيدة نحن الذين نسعى إليها ، ونرسم ألوانها ، وليست هي التي تأتي إلينا بألطافها ، والزوج الناجح هو من يصنع من الصخرة التي تعيقه سلما يصعد عليه إلى السعادة

القاعدة الخامسة : ستر العيوب وغض الطرف :
إن من السعادة أن يغض الزوج الطرف عن بعض نقائص زوجته ، ويذكر من محاسنها ومكارمها ما يغطي هذا النقص ، وعلى الزوجة أن تفعل ذلك أيضا ، كما قال النبي ﷺ : (**لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقا رضي منها آخر** " أو قال : " غيره) ([1]).
ومن المروءة أن لا يكثر أحد الزوجين معاتبة الآخر ، بل يذكر بعض العيوب تصويبا للخطأ ويغض الطرف عن البعض الآخر ، تخفيفا للمعاتبة .

القاعدة السادسة : التزام الزوجين بالبعد عن القيل والقال :
لأن هذا الأسلوب يهدم البيوت ، ويدعو إلى المقارنة بين الزوجة والأخريات ، مما قد يجلب على النفس الأسف والحسرة والندم والحزن ، بل على الزوج ألا يستمع إلى كل ما يقال حتى يحقق السعادة الزوجية ، ويحافظ على حصن بيته .
القاعدة السابعة : ترك الماضي والاهتمام بالحاضر والمستقبل :
فلا تسأل الزوجة عن ماضي الزوج ، ولا ينبغي للزوج أن يسأل عن ماضي الزوجة ، لأن هذه الأسئلة تجعل الحياة الزوجية مسرحا للغيرة العمياء ، وربما تقضي على أركان البيت ، وقد نهى الشرع الحكيم عن هذا العنت فقال تعالى :
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ المائدة من الآية : ١٠١.
وقال النبي ﷺ : (**إن من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه**) ([2]).

---

[1] ـ صحيح مسلم ، كتاب : الرضاع ، باب : الوصية بالنساء ، حديث رقم ٢٧٥٠.
[2] ـ المعجم الأوسط للطبراني : حديث رقم : ٣٦١.

وبذلك ينهض الزوجين في الحياة ، ويردم كلا منهما على الماضي تماما ، وينسى كلا منهما ما كان في الماضي من أحداث ، وينطلقا إلى حياة جديدة مليئة بالأمل والتفاؤل والكفاح .

القاعدة الثامنة : البعد عن مواطن الشبهات والتهم :

فلا ينبغي لأحد الزوجين أن يقف موقف الريبة والتهمة ، والعاقل من لا يُعطي لغيره فرصة لكي يظن به ظن السوء ، وقد ظهر ذلك في حكمة النبي ﷺ في هذا الموقف فعن الزهري ، قال : أخبرني علي بن الحسين رضي الله عنهما :(أن صفية - زوج النبي ﷺ- أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان ، فتحدثت عنده ساعة ، ثم قامت تنقلب ، فقام النبي ﷺ معها يقلبها ، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة ، مر رجلان من الأنصار ، فسلما على رسول الله ﷺ ، فقال لهما النبي ﷺ " على رسلكما ، إنما هي صفية بنت حيي " ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله ، وكبر عليهما ، فقال النبي ﷺ : " إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا) (١).

القاعدة التاسعة : حُسن النية :

فلا يطلب الزوج من زوجته أمرا حتى يساعدها عليه ، ولا تطلب الزوجة من زوجها شأن إلا تعينه عليه ، فكما يحب الزوج من زوجته أن تكون حسنة المظهر ، كذلك الزوجة تريد من زوجها أن يكون حسن الهيئة ، وكان ابن عباس ﷺ يقف أمام المرآة يتزين لأهله فإذا سألوه قال : إني أتزين لأهلي كما أحب أن يتزين لي فالله تعالى يقول :﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ البقرة من الآية : ٢٢٨.

القاعدة العاشرة : احتساب الأجر عند الله تعالى :

فقد يظل أحد الزوجين يُعطي وينفق على أسرته ، ويُغدق عليها من الرعاية والعناية ، فلا يرى نتيجة لما يعطيه ، بل لا يجد أحيانا إلا التجاهل والإهمال ، وأحيانا أخرى نكران الجميل وعدم تقديم الشكر ، فعلى الإنسان في هذه الحالة أن يؤدي ما عليه من الرسالة ، وان يتحلى بالصبر وعلو الهمة والعزيمة ، وان يحتسب الأجر عند الله تعالى ، وسوف تتحقق له السعادة التي يحلم بها في الدنيا قبل الآخرة ، فالله تعالى لا يضيع أجر المصلحين ،

وأن يدعوا الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ الفرقان من الآية : ٧٤.

---

١ - صحيح البخاري ، كتاب : الاعتكاف ، باب : هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ، حديث رقم : ١٩٤٥.

الفصل الثالث

فن المعاملة بين الآباء والأبناء في الإسلام

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول : حقوق الأبناء على الآباء في الإسلام .

المبحث الثاني : حقوق الأبناء على الآباء في الإسلام .

المبحث الثالث : أثر الاستقرار الأسري على شخصية الأولاد .

فن المعاملة بين الآباء والأبناء في الإسلام .

إن الأبناء بالنسبة لآبائهم وأمهاتهم هم ثمرة الحياة الزوجية ، وأملهم المرتجى ، وكلما كان الزوجين موفقين في حياتهم متعاونين ، كلما نشأ أولادهما تنشئة سليمة ، فصلاح الوالدين كنز لأولادهم في المستقبل يحصدان نتيجة تقواهما قال تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ الكهف من الآية : ٨٢.

فالأبناء هم سر البقاء الإنساني ، وامتداد للحياة البشرية ، وكل إنسان يميل بفطرته أن يظفر بزوجة وذرية ، والمجتمع الإنساني يتكون من لبنات ، فكل أسرة تعتبر لبنة في صرح هذا البناء ، ويجب على الوالدين تحمل المسئولية كاملة تجاه أولادهما في التربية والرعاية والتنشئة والحفظ والصيانة ، والتحصين ضد الأخطار الفكرية والجسدية وغيرها .

إن المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر تعاني من مشكلات تكاد تعصف بها وتزلزل أركانها ، وتضعف عزيمتها ، وتهزم إرادتها ، وتنسف مستقبلها برمته ، والسبب في ذلك هو تخلي الآباء عن دورهم ومسئوليتهم تجاه الأبناء ، وعدم تحقيقهم للقدوة الحسنة ، وانحرافهم عن الطريق القويم والصراط المستقيم ، وإهمالهم في تربية أبنائهم على منهج الإسلام الذي يهتم لبناء الإنسان قبل ولادته – كما سبق – بإيجاد الأسرة الصالحة والبيئة السليمة التي يتربى فيها الأبناء ، وفي خلو ساحة الأسرة عن المربين تملكت وسائل الإعلام وأصدقاء السوء التربية نيابة عن الوالدين ، فنتج عن ذلك فشل الأسرة وانحراف الأبناء وسوء تربيتهم ، فالإنسان هو أثمن ما خلق الله على وجه الأرض وأكرمه .

وسوف نتناول ذلك بشيء من التفصيل من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول
حقوق الأبناء على الآباء في الإسلام

سوف نبين بعض حقوق الأبناء على آبائهم ، وأسس المعاملة لتأدية الأمانة وتبليغ الرسالة ، والتنشئة الصالحة والمساهمة في إصلاح الفرد والمجتمع وذلك من خلال النقاط التالية :

١- التربية الإيمانية والصبر على تحمل المسئولية :

إن التربية الإيمانية هي ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان ، وتقويمه منذ تفهمه أركان الإسلام ، وتعليمه من حين تمييزه مبادئ الشريعة الغراء،مع التركيز على حفظ القرآن الكريم ، فعلى الوالدين تنشئة الولد منذ نشأته على هذه المفاهيم من

التربية الإيمانية ، وعلى هذه الأسس من التعاليم الإسلامية ، حتى يرتبط بالإسلام عقيدة وعبادة ، ويتصل بها منهاجا ونظاما ، فلا يعرف بعد هذا التوجيه والتربية سوى الإسلام دينا ، وسوى القرآن إماما ، وسوى الرسول ﷺ قائد وقدوة ، وهذا الشمول لمفاهيم التربية الإيمانية مستمد من وصايا الرسول ﷺ وإرشاداته في تلقين وتوجيه الأبناء على أصول الإيمان وأركان الإسلام .

فعن ابن عباس ﷺ ، عن النبي ﷺ ، قال : (**افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله ، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله ، فإنه من كان أول كلامه لا إله إلا الله وآخر كلامه لا إله إلا الله ، ثم عاش ألف سنة ما سئل عن ذنب واحد**) (١).

والسر في هذا : لتكون كلمة التوحيد ، وشعار الدخول في الإسلام ، أول ما يقرع سمع الطفل ، وأول ما ينصح بها لسانه ، وأول ما يتعقلها من الكلمات والألفاظ .

وعلى الوالدين تعليم الأولاد أحكام الحلال والحرام ،فعن ابن عباس ﷺ في معنى قوله تعالى : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾ يقول : **اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، ومروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار**) (٢).

فيتدرب الولد على امتثال أوامر الله تعالى ، واجتناب نواهيه ، ومعرفة الحلال والحرام منذ الصغر .

وعلى الوالدين أن يأمروا أولادهم بالعبادات وهم في سن السابعة ،فعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ: (**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها ، وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع**) (٣).

ويقاس على الصلاة الترويض على باقي العبادات عند الاستطاعة ، فيصوم بعض الأيام في شهر رمضان إذا كان الولد يطيقه ، وتعويده الحج إذا كان الأب يستطيعه (٤)، وذلك حتى يتعود الولد ويتربى على طاعة الله تعالى ، والقيام بحقه والشكر له ، والالتجاء إليه والثقة به ، والاعتماد عليه ، وفي ذلك تهذيب لخلقه وطهارة لروحه ، وإصلاح لنفسه ، وتقوية لجسده ، كما يتعلم الولد حب الرسول ﷺ وآل بيته وتلاوة القرآن الكريم ، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه ، وكذلك يجب تعليم الأبناء غزوات النبي ﷺ ، وسيرة أصحابه الكرام ، فعن إسماعيل بن محمد بن سعد ، قال : (**كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدها علينا ، ويراباه ويقول : يا بني هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها**) (٥).

---

١ ـ شعب الإيمان للبيهقي : حديث رقم : ٨٣٧٣.
٢ ـ جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ، سورة التحريم ،حديث رقم : ٣١٨٦٥.
٣ ـ سنن أبي داود ، كتاب : الصلاة ، باب : متى يؤمر الغلام بالصلاة ، حديث رقم : ٤٢٣.
٤ تربية الأولاد في الإسلام : د . عبد الله ناصح علوان ، ج١ ص١٥٩ ، مرجع سابق .
٥ ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ، كتاب : أحاديث المغازي : حديث رقم : ١٦٠٢.

وعلى الآباء أن يحصنوا أبناءهم ضد التيارات الوافدة ليضمنوا سلامة عقيدتهم وإيمانهم من الزيغ والإلحاد والانحراف ، وأن يجنبوهم بيئة الضلال والفساد ، وأن يربوا فيهم مراقبة الله تعالى في كل تصرفاتهم وأحوالهم وأفكارهم وشعورهم ، فعن عبد الله بن عباس ﷺ، أنه قال: ركبت خلف رسول الله ﷺ يوما ، فقال لي رسول الله ﷺ : (يا غلام ، إني معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف) ([1])([2]).

ويوضح النبي ﷺ دور الآباء في التربية الإيمانية للأولاد فيقول ﷺ فيما رواه أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء) ([3])

إن ما يفهم من هذا الحديث أن التهويد والتنصير صفة تطرأ على الإنسان بكسب أبويه ... يدل على ذلك ما نص عليه الشرع الإسلامي من عدم تكليف القاصرين ، وألا يؤاخذوا بما فعل آباؤهم من التهويد والتنصير حتى يبلغوا راشدين راضين بدين آبائهم فيؤخذوا إذ ذاك ، وقد ألقوا على كواهلهم أعباء التكاليف بما كسبت أيديهم ، فنرى الإسلام قد اعتبر القاصرين حتى أبناء النصارى واليهود أو المجوس مسلمين ناجين حتى يكلفوا ، فالدين الفطري لكل مولود هو الإسلام ... وأنه لو ترك الطفل وشأنه حتى كبر غير مهود ولا منصر لما اختار بفطرته إلا الإسلام ([4]).

وهذا صريح في أن اتجاه الولد الفكري والخلقي والاجتماعي متأثرا أولا وقبل كل شيء ببيئة الأبوين وأفكارهما وأخلاقهما وأسلوب تربيتهما ... ومن المؤسف أن بيوتنا ليست على نمط واحد في التربية ، وأن أمهاتنا وآباءنا ليسوا على مستوى متقارب معتدل في أساليب التوجيه ، فمن بيوتنا ما ينشأ فيها الولد – ذكرا أو أنثى – على الجبن والخوف وضعف الشخصية واضطراب التفكير ، ومنها ما ينشأ فيها الولد على الميوعة والفوضى والدلال الذي يفسد الفطرة ويقتل الاستقامة ، ومن بيوتنا ما ينشأ فيها الولد أرستقراطيا مترفا بعيدا عن المشاركة الوجدانية للشعب في أفراحه وأحزانه ... ومن بيوتنا ما ينشأ فيها الولد متدينا يفهم الدين مليئا بالأخطاء والخرافات ، ومنها ما ينشأ فيها الولد متحررا من العقيدة والدين ، تتحكم المدرسة

---

[1] - مسند الإمام / أحمد بن حنبل ، حديث رقم : ٢٥٩٢.

[2] - تربية الأولاد في الإسلام : د. عبد الله ناصح علوان ، ج١ ص١٥٧:١٥٩ بتصرف ولختصار ، مرجع سابق .

[3] - صحيح البخاري : كتاب : تفسير القرآن – سورة البقرة – باب: لا تبديل لخلق الله ، حديث رقم : ٤٥٠١.

[4] - الإسلام دين الفطرة و الحرية : الأستاذ / عبد العزيز جاويش ص١٥ ، طبع دار الهلال بالقاهرة ، العدد ٢٩٠ طبعة أولى سنة ١٩٨٣م .

في عقيدته كما يشاء المشرفون عليها من معلمين ومديرين ، وهكذا ينشأ جيلنا نشأة متباينة متباعدة ليس بين أفراده انسجام في التفكير أو الثقافة أو الخلق أو السلوك الاجتماعي العام ، وهذا هو سر ما نشاهده من انخفاض المستوى الفكري والأخلاقي في أوساط الشباب (١).

إن توجيه الأبناء وإرشادهم وتربيتهم تربية إيمانية صحيحة من أوجب الواجبات على الوالدين ، وهو حق من حقوق الأبناء ، ومسئولية كبيرة في أعناق الآباء ، لأبد أن يؤديها كاملة لأنها أمانة يسأل عنها يوم القيامة كل أب وأم .

فعلى الآباء مراعاة توجيه أبنائهم ، والبدء بتربيتهم على الأهم فالمهم ، فيبدأ بتربيتهم على العقيدة الصحيحة الخالية من الشوائب ، ثم بالعبادات لا سيما الصلاة ، ثم يطعمهم ويربيهم على الأخلاق الحميدة وعلى كل فضيلة ، وله في سيدنا لقمان في تربيته لولده أسوة حسنة ، قال تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان الآية : ١٣.

وقال ﷻ : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ طه من الآية : ١٣٢.

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ التحريم: ٦.

وعن جابر بن سمرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لَأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ) (٢).

وقوله ﷺ : (ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن) (٣).

وكان الضحاك بن قيس يقول : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَهْلِيكُمُ الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ مَنْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنْ مُسْلِمٍ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَلَتَّقَاهُ فَقَالَا لَهُ : اقْرَأْ وَارْتَقِ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَنْزِلَا بِهِ حَيْثُ انْتَهَى عَمَلِهِ مِنَ الْقُرْآنِ) (٤).

إن مسئولية التربية الإيمانية لدى الآباء والأمهات لهي مسئولية هامة وخطيرة ، لكونها منبع الفضائل ومبعث الكمالات ، بل هي الركيزة الأساسية لدخول الولد في حظيرة الإيمان وفطرة الإسلام ، وبدون هذه التربية لا ينهض الولد بمسئولية ،

---

١ ـ أخلاقنا الاجتماعية : د . مصطفى السباعي ، ص١١٦ ، مرجع سابق .
٢ ـ سنن الترمذي : كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في أدب الولد ، حديث رقم : ١٩٢٣.
٣ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب : الأدب ، حديث رقم : ٧٧٤٨.
٤ ـ مصنف ابن أبي شيبة : كتاب الزهد ، حديث رقم : ٣٤١٢٥.

٣٩٨ ولا يتصف بأمانة ، ولا يعرف عفاية ، ولا يتحقق بمعنى الإنسانية الفاضلة ، ولا يعمل لمثل أعلى ولا هدف نبيل ، بل يعيش عيشة البهائم ليس له هم سوى أن يسد جوعه ، ويشبع غريزته ، وينطلق وراء الشهوات والملذات ، فيصاحب الأشقياء والمجرمين .

فعلى الوالدين ألا يتركوا فرصة تمر إلا وقد زودوا أولادهم بالبراهين التي تدل على الله ، وبالإرشادات التي تثبت الإيمان وتقوي جانب العقيدة ، وهذا هو أسلوب المربي الأول ، سيدنا محمد ﷺ الذي كان يسعى دائما إلى أن يوجه الأولاد إلى كل ما يرفع من شأنهم ويرسخ الإيمان واليقين في أعماق نفوسهم ([1]).

كما كان ﷺ يوجه الآباء إلى تعليم أولادهم ما ينفعهم ويلقي المسئولية عليهم إذا أهملوا ذلك ، فقال ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم : (ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ ، وَمُرُوهُمْ) ([2]).

يقول الإمام / ابن القيم رحمه الله :

فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه ، وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ، ولم ينفعوا آباءهم كبارا ([3]).

ومن هنا ينبغي على الآباء تعويد الأولاد منذ صغرهم على بعض الأمور الأساسية في التربية الإيمانية ومنها :

أ- الأمر باعتناق العقيدة الصحيحة ، وتعريف الأبناء بأهمية التوحيد الخالص ، وتعليمهم بأسلوب مبسط يناسب عقولهم وأفهامهم .

ب- بعث روح المراقبة لله تعالى ، والخوف منه ، مع بيان توحيد الأسماء والصفات لأثر ذلك في سلوكهم ، كما قال لقمان لابنه وهو يعظه :﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ لقمان الآية : ١٦ ، حتى يصل الأبناء إلى درجة الإحسان وهي كما قال عنها النبي ﷺ : (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) ([4]).

ت- الحث على إقامة الصلاة وعدم التهاون في تركها ، وتحبيب الأبناء فيها وتحفيزهم عليها بالحوافز المادية والمعنوية ، قال ﷺ :(مُرُوا أَوْلَادَكُمْ

---

[1] - تربية الأولاد في الإسلام : د . عبد الله ناصح علوان ، ج١ ص١٧٢ ، مرجع سابق .

[2] - صحيح مسلم ، كتاب : المساجد ، باب : من أحق بالإمامة ، حديث رقم : ١١١٥ .

[3] - تحفة المودود في أحكام المولود : الإمام / شمس الدين محمد بن قيم الجوزية ، ص١٨١ ، طبع مكتبة المدني بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٧م .

[4] - صحيح البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب: سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإيمان ، حديث رقم : ٥٠ .

بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا ، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ.....) (١).

ث- التحلي بمكارم الأخلاق والآداب العامة : كآداب الاستئذان والطعام ، وخلق الصبر و التضحية والفداء والإيثار والصدق ... وغيرها من الصفات الحميدة .

٢- تحقيق الوالدين للقدوة الحسنة في معاملة أبناءهم :

تعد القدوة الحسنة الصالحة في القول والعمل خاصة من الوالدين عملا تربويا فعالا ومؤثرا قويا في الأبناء ، وبمقدار تلقائية السلوك الصادر عن إيمان عميق واتجاه ثابت – بعيدا عن التكلف والتعسف – بمقدار ما ترسخ في أذهان النشء وتصبح عملا آليا لا مجال فيه للفكر أو أعمال العقل ، لأن صدوره من الأبوين بهذا الشكل يؤكد الثقة في نفس الأولاد ويبعد جانب الشك عنه .

إن ما يجري في الأسرة مجالا واسعا لتطبيق القدوة الحسنة في مختلف مجالات الحياة ،مثل الصلاة والصوم والإنفاق ، والصدق والأمانة ، والبيع والشراء وغير ذلك من المعاملات ، فالطفل حين يرى أمه أو أباه طرفا في أي موقف من مواقف الحياة يتحرى فيه جانب الحق ، يرعى أمور دينه ويستمر في ممارسة كل ذلك أمام الولد ينشأ على مثل ما رأى وسمع ، وإلا وقع في الشك والحيرة إزاء ما يرى وما يسمع ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأحزاب من الآية : ٢١ (٢).

ونرى بعض الآباء في العصر الحاضر لا يحققون القدوة الحسنة لأبنائهم ، فمثلا لا يصلون ويأمرون أبنائهم بالصلاة ، ويكذبون ويطلبون من أبنائهم الصدق، كما يحدث عندما يتصل أحد أصدقائهم أو أقاربهم ، أو يطرق الباب أحد الضيوف ويأمرون أبنائهم بأن يقولوا إن أبي غير موجود ، فهؤلاء يحققون القدوة السيئة لأبنائهم ويجعلون شخصياتهم مضطربة ، غير سوية ، فعلى هؤلاء أن يراجعوا أنفسهم ، ويحققوا القدوة الحسنة في معاملة أبنائهم إن أرادوا ذرية صالحة.

٣- المعاملة الحسنة في توجيه الأولاد وإرشادهم :

لقد أمر الإسلام بالمعاملة الحسنة في توجيه الأولاد ، مع مراعاة المساواة بينهم في العطاء المادي والمعنوي ، كما أوصى بمعاملة الإناث كالذكور دون تميز للأبناء على البنات ، وذلك لإيجاد وسط مستقر ينشأ فيه الأبناء بعيدا عن العقد النفسية ، والضغوط الاجتماعية ،

---

١ - سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب : متى يؤمر الغلام بالصلاة ، حديث رقم :٤٢٣.

٢ - الطفولة في الإسلام : المؤتمر الدولي ، ج١ ص١٧٤ ، طبع دار التحرير للطبع والنشر بالقاهرة سنة ١٩٩٠م.

٤٠٠ فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي...) (١).

وكذلك يجب على الآباء تهيئة الجو المناسب للأولاد بعيدا عن القسوة والخلافات الزوجية والعادات السيئة التي تؤثر على الأبناء .

إن الأولاد إذا وجدوا من قبل الوالدين المعاملة القاسية ، بالضرب الشديد والتوبيخ القارع ، والاستمرار في التحقير والازدراء والتشهير والسخرية ، فإن ردود الفعل ستظهر في سلوكه وخلقه ، وإن ظاهرة الخوف والانكماش ستبدوا في تصرفاته وأفعاله ، وقد يؤول الأمر إلى الانتحار حينا ، أو مقاتلة أبويه أحيانا ، أو إلى ترك البيت نهائيا ، تخلصا مما يعانيه من القسوة الظالمة والمعاملة الأليمة ، فيصبح مجرما في هذه الحياة ، وقد يكون شاذا أو منحرفا أو معوجا ، ومن هنا وجه الإسلام الآباء إلى الرفق واللين في معاملة الأولاد وتربيتهم وتوجيههم وتصحيح أخطائهم بالمعاملة الحسنة ، وجعل ذلك مسئولية في أعناق الآباء والأمهات ، كما أمر الوالدين بالتزام الأخلاق العالية والصبر والعفو وكظم الغيظ ، والعدل والإحسان ، وغير ذلك من الأخلاق الكريمة والملاطفة الرصينة ، والمعاملة الرحيمة حتى ينشأ الأولاد على الاستقامة ، ويتربوا على الجراءة واستقلال الشخصية ، ويشعروا بالتقدير والاحترام والكرامة ، فعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال النبي ﷺ : (الرِّفْقُ يُمْنٌ ، وَالْخَرَقُ شُؤْمٌ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ ، فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلا زَانَهُ ، وَإِنَّ الْخَرَقَ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلا شَانَهُ ، الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ ، وَالإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَلَوْ كَانَ الْحَيَاءُ رَجُلا لَكَانَ رَجُلا صَالِحًا ، وَإِنَّ الْفُحْشَ مِنَ الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ فِي النَّارِ ، وَلَوْ كَانَ الْفُحْشُ رَجُلا لَكَانَ رَجُلا سَوْءا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْنِي فَحَّاشًا) (٢).

وعن عطاء بن أبي رباح ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : (رَحِمَ اللَّهُ وَالِدا أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى بِرِّهِ " ، قَالُوا : كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " يَقْبَلُ إِحْسَانِهِ ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ إِسَاءَتِهِ) (٣).

ومن هنا يوجه الإسلام الآباء أن يرشدوا أبنائهم بحسن القول ولين الجانب وفضيلة المعاملة ، وأن يبتعدوا عن الطرق الملتوية ، والمعاملة الفظة القاسية ، والعقوبة الظالمة الشديدة ، حتى لا يجنوا على أبنائهم في جو هذه التربية الخاطئة ، والتوجيه الذميم ، التي سيرون حتما نتيجتها في عقوقهم وانحرافهم وتمردهم لأنهم هم الذين غرسوا في نفوسهم بذور هذا الانحراف أو العقوق والتمرد .

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ يشكو إليه عقوق ابنه ، فأحضر عمر الولد وأنبه على عقوقه لأبيه ونسيانه لحقوقه ، فقال الولد : يا أمير المؤمنين أليس للولد

---

١ - صحيح ابن حبان : كتاب الحج ، باب : الهدي ، حديث رقم ٤٢٢٨.
٢ - شعب الإيمان للبيهقي : حديث رقم : ٧٤٤٣.
٣ - الجامع في الحديث لابن وهب ، كتاب البر ، حديث رقم : ١٣٧.

حقوق على أبيه ؟ قال : بلى ، قال : فما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال عمر : أن ينتقي أمه ، ويُحسن اسمه ، ويعلمه الكتاب – أي القرآن الكريم – قال الولد : يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيء من ذلك ، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي ، وقد سماني جعلا – أي خنفساء – ، ولم يعلمني من الكتاب حرفا واحدا ، فالتفت عمر إلى الرجل وقال له : جئت إلي تشكو عقوق أبنك ، وقد عققته قبل أن يعقك ، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك ، وهكذا حمل عمر الرجل حين أهمل تربية ابنه مسئولية عقوقه له ([1]).

وتتنوع معاملة الوالدين للأبناء في ثلاثة أنواع :

النوع الأول : المعاملة القاسية .

وتتسم بالشدة في التعامل ، كالزجر أو التهديد أو الضرب بدون ضوابط ، أو الإهمال للأبناء بحجة ظروف العمل وكثرة الأسفار فيحرم الأولاد من البر بهم والتعامل معهم .

النوع الثاني : المعاملة اللينة :

يلبى فيها كل ما يطلبه الأولاد ، ويُطلق عليها التربية المدللة والإفراط في الدلال يؤدي إلى خلق شخصية فوضوية .

النوع الثالث : المعاملة المعتدلة :

وهي التي تعتمد على المزج بين العقل والعواطف ، وتوجيه النصح والإرشاد ، وبهذا تتكون شخصية سليمة وصحيحة ، وإذ لم يستجب الأولاد بالإرشاد والتوجيه يلجأ الأبوان إلى توبيخهم ثم هجرهم ، ثم حرمانهم من بعض الأشياء والأمور المحببة إليهم ، وأخيرا إلى ضربهم إذا لزم الأمر لإعادتهم إلى الطريق الصحيح ، وهذا النوع من المعاملة هي المعاملة الصحيحة التي ينبغي أن تسير عليها الأسرة([2]).

ويؤكد الدكتور / أكرم ضياء العمري على النوع الصحيح من المعاملة فيقول : إن حب الطفل لا يعني بالطبع عدم تأديبه ، وتعليمه أدب السلوك الاجتماعي منذ الصغر ، مثل تعويده على التعامل الحسن مع أصدقائه ، وتعويده على احترام من هو أكبر منه سنا ، وتعميق الرقابة الذاتية لديه ، أي قدرته على تحديد الضوابط السلوكية تجاه الآخرين ،إذ لابد من التوازن بين التأديب للطفل والتعاطف معه ، فكما إنه لا يصح الخضوع الدائم لطلبات الطفل ، فإنه لا يصح استمرار الضغط عليه وكبته ، فالتدليل الزائد لا يعوده على مواجهة صعوبات الحياة ، والضغط الزائد يجعله منطويا على نفسه مكبوتا يعاني من الحرمان ([3]).

---

[1] - تربية الأولاد في الإسلام : د . عبد الله ناصح علوان ، ج١ ص١٣٥:١٣٧ بتصرف واختصار ، مرجع سابق .

[2] - www.saaidnet/tarbiah/١٠٢.htm .

[3] - التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام : د . أكرم ضياء العمري ص١٩٢ ، طبع مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة – السعودية ، طبعة أولى سنة ١٩٩٠م .

٤٠٢ ٤- معاملة الوالدين لجميع الأولاد بالعدل والإنصاف :

ويجب على الوالدين أيضا معاملة جميع الأبناء بالعدل والإنصاف ، والمساواة وعدم التفريق بينهم في المعاملة ، لأن الأبناء والبنات أولاد الأبوين ، وإذا التزم الوالد بهذه المساواة كان جزاءه الجنة ، فعن ابن عباس ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : (مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا ، وَلَمْ يُهِنْهَا ، وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا ، - قَالَ : يَعْنِي الذُّكُورَ - أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ) (١).

ولقد طبق النبي ﷺ الأسوة الحسنة لجميع المسلمين في المعاملة الكريمة ، والعدل والإنصاف ، بين الأبناء والبنات ، فكان يحمل النبي ﷺ أمامة بنت زينب رضي الله عنها في الصلاة كما كان يحمل الحسن والحسين دون تفرقة .

يقول الإمام / ابن حجر العسقلاني :وكان السر في حمله ﷺ بنت زينب في الصلاة هو رفع لما كانت العرب تألفه من كراهة البنات وحملهن ، فخالفهم ﷺ في ذلك حتى في الصلاة للمبالغة في ردعهم ، والبيان بالفعل قد يكون أقوى من القول (٢).

وكما لا يجوز للأب تفضيل ابنه على ابنته في العطف والمعاملة فكذلك لا يجوز للأم أن تفضل ابنتها على ابنها في المعاملة ، والمساواة والعطاء ، عن عامر بن شراحيل الشعبي ﷺ ، قال : سمعت النعمان بن بشير ﷺ ، وهو على المنبر يقول :(أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً ، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ : لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً ، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا ؟ " ، قَالَ : لَا ، قَالَ : " فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ " ، قَالَ : فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ) (٣).

وفي رواية أخرى عن النعمان بن بشير ، أن رسول الله ﷺ قال لأبيه : (لا تشهدني على جور) (٤).

لقد اهتم النبي ﷺ بضرورة تحري الوالدين العدل والمساواة بين الأولاد في كل شيء حتى في القبلة ، فعن أنس ﷺ ،(أَنَّ رَجُلًا كَانَ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَجَاءَ بُنَيٌّ لَهُ ، " فَأَخَذَهُ فَقَبَّلَهُ وَأَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ ، ثُمَّ جَاءَتْ بُنَيَّةٌ لَهُ ، فَأَخَذَهَا وَأَجْلَسَهَا إِلَى جَنْبِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " فَمَا عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا) (٥).

ومن هنا نؤكد على ضرورة العدل والمساواة والإنصاف بين الأبناء في جميع مراحل حياتهم خاصة في مرحلة الطفولة التي يحاول فيها الطفل إثارة اهتمام الوالدين نحوه ، وجذب انتباههم إليه من منطلق الغيرة وحب الامتلاك ، وهذا يتطلب من الوالدين الرقة والحرص في العدل والمساواة بينه وبين إخوته ، في

---

١ - سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، أبواب النوم ، حديث رقم : ٤٥٠١.

٢ - صحيح البخاري بشرح ابن حجر العسقلاني ، ج١٠ ص ٥٩٢.

٣ - صحيح البخاري ، كتاب : الهبة ، باب : الإشهاد في الهبة ، حديث رقم : ٢٤٦٨.

٤ - صحيح مسلم ، كتاب : الهبات ، باب : كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، حديث رقم: ٣١٤٣.

٥ - شعب الإيمان للبيهقي ، حديث رقم : ٨٤١٩.

الحب والحنان والعطف والمعاملة والإنفاق وأسلوب الحياة ، حتى في المشاعر والأحاسيس لعدم إثارة دوافع الحسد والغيرة والحقد بينه وبين إخوته ، والتي تصل أحيانا إلى سلوك عدواني يؤدي إلى عواقب وخيمة .

إن الأولاد يرقبون ما يجري حولهم في الأسرة ، من الأخذ والعطاء الحسي والمعنوي ، فالأبناء لا ينسون أبدا أن أشقائهم تميزوا عنهم ، ومن هنا فإن العدل مطلوب بين الأبناء ، فإذا تحقق كانت هناك ألفة ومودة وإذ لم يتحقق كأن يكون هناك انحياز للولد أو البنت على حساب الآخر ، حلت الجفوة مكان الحب ، وحل البعد مكان القرب ....، فالعدل بين الأبناء لا يساعدهم على أن يكونوا أسوياء داخل الأسرة فقط ، ولكن يمتد إلى المجتمع حين يتحملون عبء المسئولية فيما بعد ، حيث يشعرون بالرضا النفسي في كل مسلك يتحقق فيه جانب العدل ، ويصبح خلقا ملازما لا عارضا ، واتجاه أصيل يدافعون عنه بكل قوة ، لأنهم تربوا عليه ورأوا فيه الراحة والطمأنينة ([1]).

ولذلك يجب على الوالدين التسوية بين الأولاد في العطية ، وعدم تفضيل أحدا على أحد ، حتى لا يؤدي ذلك إلى أن يحمل الوالدين الأوزار والعقاب ، ويجني الأبناء الحقد والكراهية ، فيتفرق شمل الأسرة ، ومن هنا كان حرص الإسلام على ما فيه الخير والإصلاح للأسرة جميعا على حد السواء ، قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ المائدة من الآية : ٢.

إن التسوية بين الأبناء تحفظ صلة الأرحام ، وتقوي العلاقات بين الإخوة والأخوات يشهد بذلك قول النبي ﷺ : (.....اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِيْ النَّحَلِ ، كَمَا تُحِبُّوْنَ أَنْ يَعْدِلُوا بَيْنَكُمْ فِي الْبِرِّ وَاللُّطْفِ) ([2]).

فالعدل والتسوية بين الأبناء تؤدي إلى بر الوالدين والعكس يؤدي إلى العقوق والقطيعة والتنافر داخل الأسرة ، وقصة أخوة يوسف مع أبيهم وأخيهم معروفة ، وهم أبناء الأنبياء عليهم السلام ، فقد دفعهم الإحساس بالتفرقة إلى التخلص من أخيهم ([3]).

٥ـ معاملة الأولاد بالرفق واللين والمسامحة :

على الوالدين أن يعاملوا أولادهم بالرفق والمسامحة ، ويسعوا إلى توجيههم باللين والتلطف ، مع مراعاة رغباتهم وميولهم ، ومخاطبتهم على قدر عقولهم التي لم

---

[1] ـ مؤتمر الطفولة في الإسلام ، بحث بعنوان : أسس التربية الإسلامية للطفل : د . إبراهيم محمد عطا ج١ص١٧٥ مرجع سابق .

[2] ـ السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب الهبات ، باب : التسوية في العطية ، حديث رقم : ١١٦١٦.

[3] ـ السلوك الاجتماعي في الإسلام : الشيخ / حسن أيوب ، ج٢ ص١٧٥ ، طبع المطبعة العصرية بالكويت ، طبعة أولى سنة ١٩٧٥م

٤٠٤ تكتمل بعد ، فمن أصول معاملة الوالدين لولدهما الأخذ بأسلوب الرفق والتلطف واللين في معاملته ، وتربيته ومسامحته إذا صدر منه ما يزعج أو يغضب ، والأخذ بأسلوب الرفق والمسامحة يجعل علاقة الولد بوالديه علاقة رفق ومحبة يشعر بها وينجذب بسببها إليهما ، ويسمع منهما النصح والتوجيه ، وهذا الأسلوب سهل على الوالدين اتباعه لأنه يتفق وعاطفتهما نحو ولدهما (١).

ومن التوجيه النبوي الذي يتعلم منه الوالدين في تصحيح أخطاء ولدهما وتبديل العادات السيئة بعادات حسنة ، فعن عمر بن أبي سلمة ﷺ قال: (كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَا غُلَامُ ، سَمِّ اللَّهَ ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ " فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ)(٢).

وإذا لم ينفع الرفق والمسامحة والنصح والتوجيه جاز للوالد أن يأخذ ولده بالشدة وإظهار الغضب عليه ، وعدم الرضا عن تصرفاته ، كالعبوس في وجهه والصدود عنه وهجره ، وإذا لم ينفع هذا الأسلوب كذلك ، جاز له ضربه ضربا غير مبرح ، وعلى قدر ما يتحمل كما دل على ذلك حديث النبي ﷺ :(.... وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا ، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ) (٣).

، وحكم هذا الحديث يشمل الذكر والأنثى ، وأن الضرب المأمور في هذا الحديث هو الضرب غير المبرح ، وأنه لا يصار إليه إلا بعد أن يرى الوالد أن غير الضرب لم ينفع مع الولد (٤).

وإذا جاز الضرب كأسلوب للتربية ولمعاملة الوالدين للولد ، جاز ما دون الضرب من إظهار الغضب ، و رفع الصوت عليه ، وهجره وعدم الرضا عنه والعبوس في وجهه ، مما يشعر معه الولد بعدم رضا والديه عليه لسوء أفعاله أو لتقصيره في أداء ما هو مطلوب منه (٥).

إن أول ما يلاحظ على تربيتنا في البيوت ، سوء فهم نفسية الطفل ، وتجاهل عواطفه ، وعدم تقدير المراحل التي لا بد من أن يمر بها حتى يصبح رجلا تسري عليه قوانين الرجال ، نحن نجهل أن عالم الأطفال غير عالم الكبار ، ومن ثم فنحن نعاقبهم على الزلة بالقسوة أحيانا ، وبالتشهير أحيانا ، وبالازدراء والتحقير أحيانا أخرى (٦).

---

١ ـ المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم : د . عبد الكريم زيدان ، ج١٠ ص١٥٥ ، طبع مؤسسة الرسالة ، طبعة ثالثة سنة ٢٠٠٠م .

٢ ـ صحيح البخاري ، كتاب : الأطعمة ، باب : التسمية على الطعام ، حديث رقم : ٥٠٦٧.

٣ ـ سنن أبي داود كتاب الصلاة ، باب : متى يؤمر الغلام بالصلاة ، حديث رقم ٤٢٣.

٤ ـ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : العلامة / محمد الصديق الشافعي ، ج٣ ص١٧١.٧

٥ـ المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم : ج١٠ ص١٥٧، بتصرف مرجع سابق .

٦ـ أخلاقنا الاجتماعية : د . مصطفى السباعي ، ص١١٧ مرجع سابق .

٦ـ معاملة الوالدين للأبناء بإتاحة الفرصة للعب واللهو المباح :

ومن اللين والرفق في معاملة الأولاد مراعاة فطرتهم في الحركة والنشاط المستمر الزائد ، فيجب إتاحة الفرصة للطفل في اللهو والعب المباح والحركة لمساعدته على النمو الجسمي والنفسي والاجتماعي ، وزيادة نشاطه المعرفي والإدراكي ، وحمايته من الأمراض النفسية كالكبت والاضطراب والقلق والانطواء وغيرها ، ولذلك يجب أن تتسم حياة الطفل خاصة في مراحله الأولى بأن يسودها جو اللعب والملاعبة من الوالدين ؛ فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: لاعب ابنك سبعا ، وأدبه سبعا ، وصادقه سبعا ، ثم أطلق له الحبل على الغارب .

إن الطفل يبذل جهدا كبيرا ، ويستغرق وقتا طويلا في اللعب ، وهذا حق من حقوقه ، ولابد للآباء أن يراعوا ذلك ، ويهيئوا الفرصة والوسائل المناسبة لممارسة هذا الحق لأهميته ونتائجه الإيجابية في إسعاد الطفل (١) وتنمية مداركه ، وبناء شخصيته السوية مما يزيده من التعليم والاستمتاع بالوقت ، وقد راعى ذلك النبي ﷺ ، وضرب من نفسه المثل الأعلى في إتاحة الفرصة للأولاد وإعطاء مساحة للعب واللهو المباح ويشجع الصبيان على ذلك ، ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن الحارث ﷺ ، قال :(كَانَ رَسُوْلُ اللَّهِ يَصُفُّ عَبْدَ اللَّهِ ، وَعُبَيْدَ اللَّهِ ، وَكَثِيْرًا بَنِيَ الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ يَقُوْلُ : " مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا " قَالَ : فَيَسْتَبِقُوْنَ إِلَيْهِ فَيَقَعُوْنَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ ، فَيُقَبِّلُهُمْ وَيَلْتَزِمُهُمْ) (٢).

وروي عن يعلى العامري ﷺ ،(أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ إِلَى طَعَامٍ دُعُوْا لَهُ ، فَإِذَا حُسَيْنٌ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَاسْتَقْبَلَ أَمَامَ الْقَوْمِ ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَفِرُّ هَا هُنَا مَرَّةً وَهَا هُنَا مَرَّةً ، وَجَعَلَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ يُضَاحِكُهُ ، حَتَّى أَخَذَهُ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ تَحْتَ ذَقْنِهِ وَالْأُخْرَى تَحْتَ قَفَاهُ ، ثُمَّ قَنَّعَ رَأْسَهُ فَوَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ فَقَبَّلَهُ ، وَقَالَ : " حُسَيْنٌ مِنِّيْ وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا ، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ) (٣).

كانت هذه أهم النقاط التي تختص بمعاملة الوالدين للأبناء ، وليست كل الحقوق التي أكدها الإسلام للأبناء ، كاختيار الزوجة الصالحة والاسم الحسن ، والعقيقة والنفقة وغيرها ، ولكنني قصدت ما يتناسب مع الموضوع في جانب المعاملة والتربية .

المبحث الثاني

حقوق الآباء على الأبناء في الإسلام

لقد أوصى الله تعالى في القرآن الكريم الأبناء بالبر والإحسان للآباء ، وقرنه بالأمر بعبادته ، والنهي عن الشرك ، وأمر بالشكر لهما متصلا بالشكر له ، لأن

---

١ ـ مجلة كلية التربية جامعة الأزهر بالقاهرة ، العدد ٩٠ يونيو ٢٠٠٠م ، بحث بعنوان : دور اللعب في تنمية بعض جوانب شخصية طفل ما قبل المدرسة الابتدائية ، إعداد د. أحمد الشافعي وصلاح خضر ص ١٥٩ .

٢ ـ مسند الإمام / أحمد بن حنبل ، حديث رقم : ١٧٨٤.

٣ ـ صحيح ابن حبان : كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ، حديث رقم : ٧٠٨١.

٤٠٦ الله تعالى قذف في قلوب الوالدين محبة الأبناء فأصبحا يعاملان الأبناء أحسن معاملة بحب طبيعي ومحافظة منقطعة النظير ، لأنهم أمانة ومسئولية في أعناق الآباء ، ولذلك لم يوص الآباء بالأبناء ، ولكنه أوصى الأبناء بالآباء .

قال تعالى :﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ الإسراء الآية : ٢٣.

كما نهى الله تعالى الأبناء عن عقوق الآباء خاصة في حال الكبر ، وحث على العطف وخفض الجناح في المعاملة معهم ، كما أمر بحسن الرعاية والمزيد من الرفق واللين ، وعدم التضجر والتأفف مما يصدر منهما ، لأن عقوق الوالدين يحصده الولد في أبنائه ، والبر يجني ثمرته في حياته ، قال تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا * رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ الإسراء الآيتان : ٢٤،٢٥.

كما خص الإسلام الأم بمزيد من البر وزيادة حقها على الأب لما تقدمه من تعب واهتمام ، وتحمل الام الولادة والرضاعة والتنظيف .. وغير ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ * وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ لقمان الآيتان : ١٤،١٥.

وسوف نوضح في هذا المبحث ما يجب للوالدين من معاملة حسنة على الأبناء ، وما ينبغي أن يكون من بر وصلة ومعاملة بالمعروف ، ومقابلة الإحسان بالإحسان والبر بالبر والشكر بالشكر ، والتعب والمشقة بالرحمة واللين ، كل ذلك في فرح وسرور ، بعيدا عن التأفف وضيق الصدر والانشغال عنهما بالزوجة والأولاد ، والبخل عليهما وغير ذلك من عقوق حرمه الشرع ، وذلك من خلال النقاط التالية :

(١) معاملة الأبناء للآباء بالطاعة والبر والإحسان :

لقد اهتم الإسلام بتوجيه الأبناء لحسن معاملة الوالدين ، وبرهما ورعايتهما وطاعتهما بأدب واحترام ، وعطف وحنان ، وأن يعرف الأبناء الأعباء والتضحيات التي تحملها الوالدان في سبيل تربية الأبناء ، والتي لا يمكن حصرها ولا مجازاتهما عليها ، مهما فعل الأبناء من بر وطاعة وتضحية وإنفاق ، فيبقى فضل السبق للوالدين ، لقد قدم الآباء الكثير والكثير من العطاء بحب وسعة صدر وإيثار وتضحية منقطعة النظير دون انتظار مقابل ، ولذلك أمر الله تعالى أن يبر الأبناء آباءهم جزاء ما قدموا لهم من فضل ، وطلب سبحانه بعد عبادته وعدم الشرك به الإحسان إلى الوالدين والبر بهما والذل لهما ، ذل يحمل من الحب والرحمة أكثر ما يحمل من القهر والغلبة ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ الإسراء: ٢٤.

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة على فضل الوالدين ، وما يجب على الأبناء من البر بهما والإحسان إليهما فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ ، فَقَالَ : " أَحَيٌّ وَالِدَاكَ ؟ " ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : " فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ) (١).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ ، قال :(سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ : " الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا " ، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : " ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ " قَالَ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : " الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (٢).وقد قدم النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله لعظم حقهما والاهتمام بشأنهما وثواب برهما .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) (٣).

وعن أبي هريرة ، ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (عِفُّوا عَنْ نِسَاءِ النَّاسِ تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ وَبِرُّوا آبَاءَكُمْ تَبِرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ وَمَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ مُتَنَصِّلا فَلْيَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ مُحِقًّا كَانَ أَوْ مُبْطِلًا فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ) (٤).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ كَانَ لِيَ أَبَوَانِ شَيْخَانِ

---

١ - صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد ، باب : الجهاد بإذن الوالدين ، حديث رقم : ٢٨٩٣.
٢ - صحيح البخاري ، كتاب : مواقيت الصلاة ، باب : فضل الصلاة لوقتها ، حديث رقم : ٥١٣.
٣ - صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب : من بسط له في رزقه ، حديث رقم : ٥٦٤٦.
٤ - المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب البر والصلة ، حديث رقم ٧٢٢٧.

٤٠٨ كَبِيرَانِ ، وَكِدْتُ لا أَعْبَقُ قَبْلَهُمَا أَهْلا ، وَلا مَالا فَنَأَى بِيَ فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْما ، فَلَمْ أَرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا ، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَعْبَقَ قَبْلَهُمَا أَهْلا أَوْ مَالا ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ ، فَاسْتَيْقَظَا ، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا إِلا أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ.....) (١).

وعن محمد بن طلحة بن معاوية السلمي ﷺ ، عن أبيه قال :(أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ : " لَكَ خَيْبَةٌ ؟ " فَقُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " الْزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الْجَنَّةُ) (٢).

وعن أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : (رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ " قِيلَ : مَنْ ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : " مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ) (٣).

وهذا يدل على أن طاعة الوالدين والرفق بهما والاهتمام بشأنهما خاصة في الكبر سبب من أسباب دخول الجنة ، ومن ترك ذلك خسر ولا يلوم إلا نفسه يوم لا ينفع اللوم .

فقد روي عن ابن عباس ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : (مَنْ أَصْبَحَ مُطِيعًا فِي وَالِدَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، وَمَنْ أَمْسَى عَاصِيًا لِلَّهِ فِي وَالِدَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ مِنَ النَّارِ ، وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فَوَاحِدًا " قَالَ الرَّجُلُ : وَإِنْ ظَلَمَاهُ ؟ قَالَ : " وَإِنْ ظَلَمَاهُ ، وَإِنْ ظَلَمَاهُ ، وَإِنْ ظَلَمَاهُ) (٤).

وعنه أيضا قال ﷺ : قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ رَجُلٍ بَارٌّ يَنْظُرُ إِلَى وَالِدَيْهِ أَوْ وَالِدَتِهِ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ ، إِلا كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِتِلْكَ النَّظْرَةِ حَجَّةً مُتَقَبَّلَةً مَبْرُورَةً " قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنْ نَظَرَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ ؟ قَالَ : " اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ) (٥).

وروي عنه ﷺ قال : أن رسول الله ﷺ قال : (مَنْ قَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْ أُمِّهِ كَانَ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ) (٦).

وعن أبي أمامة ﷺ ، أن رجلا قال :(يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا حَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى وَلَدِهِمَا ؟ قَالَ ﷺ : هُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ) (٧).

---

١ ـ صحيح البخاري ، كتاب : الإجارة ، باب : من استاجر أجيرا فترك أجره ، حديث رقم : ٢١٧٣.
٢ ـ المعجم الكبير للطبراني ، حديث رقم : ٨٠٤٥.
٣ ـ صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة ، باب : رغم أنف من أدرك أبويه ، حديث رقم : ٤٧٣٤.
٤ ـ شعب الإيمان للبيهقي ، حديث رقم : ٧٦٥٨.
٥ ـ مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ، باب : ما جاء في صلة الرحم ، حديث رقم : ٢٠٩.
٦ ـ شعب الإيمان للبيهقي ، حديث رقم : ٧٥٩٧.
٧ ـ سنن ابن ماجة ، كتاب الأدب ، باب : بر الوالدين ، حديث رقم : ٣٦٦٠.

و عن سهل بن معاذ ، عن أبيه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (مِنْ بِرِّ وَالِدَيْهِ طُوَيْلَ لَهُ زَادَ اللَّهُ فِيْ عُمُرِهِ) (١).

وعن سلمان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: (لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ ، وَلَا يَزِيْدُ فِيْ الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ) (٢).

وقد تبين لنا من سنة النبي ﷺ التي ترغب في بر وإكرام الوالدين ، وأن طاعتهما والتضحية من اجلهما تعادل ثواب الجهاد في سبيل الله تعالى ، بل وتساوي ثواب الحج والعمرة ، وتوصل إلى نعيم الجنة ، وتزيد في العمر والرزق ، وتبارك في المال ، وتزيل الهم ، وتنجي من عذاب الله ، وأن رضا الله تعالى مرهون برضا الوالدين .

ومن هنا يمكن أن نلخص أهمية بر الوالدين وطاعتهما على الأبناء في ضوء ما قرره القرآن الكريم فيما يلي :

١) جعل الله تعالى أهمية الإحسان إلى الوالدين بعد توحيده وعبادته ، ولم يقدم عليهما مخلوقا بقول تعالى :﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ النساء من الأية :٣٦ .

يقول الإمام النيسابوري : وأهمية الإحسان إلى الوالدين بعد عبادة الله تعالى ، لأنهما سبب وجود الإبن ، وسبب التربية ، وأن إنعامهما يشبه إنعام الله تعالى ، حيث إنهما لا يطلبان ثوابا ولا ثناء ، كما أنهما لا يقطعان على الأبناء كرمهما وعطائهما ، ولو كانوا غير بارين ، وهما لا يحسدان ولدهما إذا كان خيرا منهما(٣).

وقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ۝ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ الإسراء الأيات : ٢٣:٢٥.

---

١ - المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب : البر والصلة ، حديث رقم ٧٢٢٦.

٢ - سنن الترمذي ، أبواب القدر ، حديث رقم ٢١١٦.

٣ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان : الإمام / النيسابوري ، ج١ ص ٣٤٠ ، طبع مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب – سوريا سنة ١٩٤١م.

٤١٠ وهذه الآيات جاءت جامعة ومشتملة على جميع الحالات التي يكون عليها الآباء والأبناء ، ذلك أن البر لازم سواء كان الأبناء فقراء أم أغنياء ، حقراء أم كبراء ، ومهما كانت حالاتهم النفسية ، فليس عليهم حتى إظهار التبرم أو قول (أف) ، بل عليهم القول اللين واللطيف ، ومعاملتهما بالشفقة والرحمة إلى درجة الذل المحبب إلى النفس (١).

٢) أوصى الله تعالى الإنسان بوالديه أن يحسن إليهما مع عدم طاعتهما إذا دعياه على أمر يغضب الله تعالى ، كما خص الأم من البر الإحسان والرعاية ، قال تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ العنكبوت الآية : ٨.

وقال ﷻ : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ لقمان الآيتان : ١٤، ١٥.

وقال جل شأنه :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ

---

١ ـ السلوك الاجتماعي في الإسلام : الشيخ / حسن أيوب ، ص١٥٢ مرجع سابق .

مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ الأحقاف الآيتان ١٥،١٦.

يقول صاحب الظلال:

في سورة العنكبوت : يوصي الله تعالى الأبناء بالإحسان إلى الوالدين ، ويبين ما لهما من فضل وواجب مفروض ، ومن الحب والاحترام والكرامة ، والكفالة ، ولكن ليس لهما من طاعة في حق الله تعالى فالصلة في الله هي الأولى ، فإن كان الوالدان مشركين ، فلهما الإحسان والرعاية لا الطاعة والاتباع ([1]).

أما في سورة لقمان : ويقرن قضية الشكر لله بالشكر للوالدين ، وتعرض لعلاقة الأبوة والأمومة بأسلوب يفيض رحمة ، لما قدمته الأم من عطاء للابن ،ثم يقرر القاعدة الأولى في قضية العقيدة وهي أن وشيجة العقيدة هي الأولى المقدمة على وشيجة النسب والدم ، وعلى ما في هذه الوشيجة من انعطاف وقوة إلا أنها تالية للوشيجة الأولى ([2]) .

وقد كرر القرآن الكريم التوصية بالوالدين وليس العكس ، لأن الفطرة وحدها تتكفل برعاية الوليد من والديه وبذل ما يملكان من غال وعزيز دون شكوى ابتغاء راحة هذا الوليد ، أما الوليد فهو في حاجة إلى التوصية والتذكير بفضل الجيل المضحي المولي بعدما سكب عصارة عمره وروحه للجيل الجديد.

أما سورة الأحقاف : فتتضمن وصية لجنس الإنسان كله بالإحسان مطلقا من كل قيد وشرط ، لصفة الوالدين بذاتها ، مقابل التضحية الكريمة النبيلة التي تتقدم بها الأمومة والتي لا يجزيها إحسان الأولاد مهما أحسنوا القيام بوصية الله في الوالدين ، فقد تحملت الكثير من الجهد والعناء دون ملل أو جزع، ثم تختتم الآيات مرحلة الجهد والرشد في الأربعين ، حين تكتمل الطاقة وتتجه الفطرة السليمة إلى ما وراء الحياة وتدبير المصير والمآل، وهي مرحلة في مفرق الطريق ، بين شطر من العمر ولى وشطر آخر يكاد يتبدى ، وما يصاحب ذلك من خوالج النفس المستقيمة ([3]).

٣) ومن أمثلة البر بالوالدين ما ذكره القرآن الكريم عن سيدنا يحي بن زكريا عليهما السلام وسيدنا عيسى بن مريم عليه السلام ، فقال تعالى عن سيدنا يحي عليه السلام: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ مريم الآية : ١٤.

---

[1] - في ظلال القرآن :الأستاذ / سيد قطب ، ج٥ ص ٢٧٢٢ بتصرف مرجع سابق

[2] - المرجع السابق ، ج٥ ص ٢٧٨١ بتصرف.

[3] - المرجع السابق ، ج٦ ص٣٢٦١ وما بعدها بتصرف واختصار .

٤١٢ وقال عن عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ مريم: ٣٢.

ومن بر الأنبياء ما ذكره القرآن الكريم عن سيدنا إبراهيم عليه السلام ومعاملته أباه برفق ولين مع أنه كان كافرا، قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۝ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ مريم: ٤١:٤٧.

ولذلك يجب على الأبناء بر الآباء ولو كانوا مشركين، فلهما حق البر كالمسلمين في الدنيا، وذلك لما روي مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه، قال: (قَدِمَتْ قُتَيْلَةُ بِنْتُ الْعُزَّى بِنْتُ أَسْعَدَ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حِسْلٍ عَلَى ابْنَتِهَا أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ طَلَّقَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَدِمَتْ عَلَى ابْنَتِهَا بِهَدَايَا ضَبًّا وَسَمْنًا وَأَقِطًا، فَأَبَتْ أَسْمَاءُ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهَا، وَتَقْبَلَ مِنْهَا وَتُدْخِلَهَا مَنْزِلَهَا حَتَّى أَرْسَلَتْ إِلَى عَائِشَةَ أَنْ سَلِي عَنْ هَذَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَخَبَّرَتْهُ " فَأَمَرَهَا ﷺ أَنْ تَقْبَلَ هَدَايَاهَا وَتُدْخِلَهَا مَنْزِلَهَا " فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١).

وعلى ذلك فبر الوالدين الكافرين واجب في غير معصية، وذلك مقابل ما فعل الوالدان من معروف، وقدما من خير وتربية للأبناء سواء كانوا كافرين أو مسلمين (٢).

---

١ ـ المستدرك على الصحيحين الحاكم، كتاب: التفسير، تفسير سورة الممتحنة، حديث رقم: ٣٧٣٩.

٢ ـ السلوك الاجتماعي في الإسلام: الشيخ حسن أيوب، ص ١١٥ مرجع سابق.

فمن أدب الإسلام في معاملة الوالدين أن نصحبهما بالمعروف وكريم الخصال ، وأن نبذل لهما المال ، فنطعمهما ونكسوهما ، ونخدمهما ونرعاهما ، ونجيب دعوتهما ، ونمتثل أمرهما – ما لم يكن في معصية - وأن ندعوا لهما بالعفو والمغفرة ، ولا نتكلم معهما إلا بالحب واللين ، ولا نسبهما ولا نكون سببا في سبهما ، ولا ندعوهما - أحدهما أو كلاهما - باسميهما المجردين ، وألا نسبقهما في السير ، بل إنه من حسن الخلق أن نكون خلفهما إلا أن نخاف عليهما خطرا ، وألا نفضل عليهما أحدا من أزواجنا أو محارمنا (١)..

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : أتى رسول الله ﷺ رجل ، ومعه شيخ ، فقال ﷺ : (يَا فُلَانُ ، مِنْ هَذَا مَعَكَ ؟ " قَالَ : أَبِي قَالَ : " فَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ ، وَلَا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ ، وَلَا تَسْتَسِبَّ لَهُ) (٢).

(٢) معاملة الأبناء للآباء بالبعد عن العقوق وسوءالخلق :

وكما أمر الإسلام ببر الوالدين ، فقد نهى وحرم عقوقهما، فعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال : (لَعَنَ اللَّهُ سَبْعَةً مِنْ خَلْقِهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ ، فَرَدَّدَ لَعْنَتَهُ عَلَى وَاحِدَةٍ مِنْهَا ثَلَاثًا ، وَلَعَنَ بَعْدَ كُلِّ وَاحِدَةٍ لَعْنَةً فَلَعْنَةُ قَالَ : مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ ، مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى شَيْئًا مِنَ الْبَهَائِمِ ، مَلْعُونٌ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ امْرَأَةٍ وَابْنَتِهَا ، مَلْعُونٌ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ ، مَلْعُونٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ حُدُودَ الْأَرْضِ ، مَلْعُونٌ مَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ)(٣)

كما نهى الإسلام عن سب الوالدين أو التسبب في ذلك ، : فقد قيل لعلي بن أبي طالب ﷺ ، أخبرنا بشيء ، أسر إليك رسول الله ﷺ فقال : ما أسر إلي رسول الله ﷺ شيئا وكتمه الناس ، ولكن سمعته ﷺ يقول : (لَعَنَ اللَّهُ مَنْ سَبَّ وَالِدَيْهِ ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الْأَرْضِ ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا) (٤).

ولذلك نجد أن الله تعالى يؤخر العقاب على الذنوب إلى يوم القيامة ، إلا عقوق الوالدين ، فإن الله تعالى يقتص من الأبناء ، ويعجله لهم في الدنيا ، فعن أبي بكرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : (كُلُّ الذُّنُوبِ يُغْفِرُ اللَّهُ مِنْهَا مَا شَاءَ ، إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ ، فَإِنَّهُ يُعَجِّلُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ) (٥).

فعن عمران بن الحصين ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :(..... أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : " الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

---

١ - الدين المعاملة : الأستاذ / أحمد إسماعيل يحيى : ص٥٢ ، مرجع سابق.
٢ - المعجم الوسيط للطبراني ، حديث رقم : ٤٢٥٦.
٣ - شعب الإيمان للبيهقي ، حديث رقم : ٥٢١٨.
٤ - مسند الإمام / أحمد بن حنبل ، حديث رقم : ٨٤٤.
٥ - شعب الإيمان للبيهقي ، حديث رقم : ٧٦٢٧.

٤١٤ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ، قَالَ : وَكَانَ مُنْكِنًا فَاسْتَوَى ، وَقَالَ : " أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ) (١).

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ " قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ : " نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ) (٢).

وقال ابن عمر ﷺ : قال رسول الله ﷺ : (ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى) (٣).

وعن النبي ﷺ أنه قال : (ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : الْعَاقُّ بِوَالِدَيْهِ ، وَالدَّيُّوثُ ، وَرَجُلَةُ النِّسَاءِ) (٤).

وهنا نجد عقوبتان لعاق والديه :

الأولى: لا ينظر الله إليه يوم القيامة .

والثانية: لا يدخل الجنة ، وهما من أشد أنواع العقوبات .

إن عقوق الوالدين من الكبائر التي حرمها الله تعالى ، والتي تحول بين صاحبها والجنة ، وقد دلت جملة الأحاديث النبوية السابق ذكرها على ذلك وأكدت عليه .

ومن العقوق أن يتأفف الولد ويتضجر من طاعة والديه وبرهما ، ويعاملهما معاملة جافة بدون رحمة أو شفقة أو حب ، وقد صور القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى :﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ الإسراء من الآية : ٢٣.

وقال جل شأنه : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأحقاف الآية : ١٧.

يقول صاحب الظلال :

وهذا نموذج للانحراف والضلال ، يتمثل في الولد العاق الذي يجحد أول ما يجحد بر والديه المؤمنين ، فيخاطبهما بالتأفف الجارح الخشن الوقح (أُفٍّ لَّكُمَا) ، ثم يجحد الآخرة والساعة والبعث بعد انتهاء أجل الحياة الدنيا في نفس الوقت ، فيفزع الوالدان مما يقوله

---

١ ـ المطالب العالية للحافظ بن حجر العسقلاني ، كتاب : الإيمان التوحيد ، باب : تفسير الكبائر ، حديث رقم : ٢٩٨١.

٢ ـ صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها ، حديث رقم : ١٥٥.

٣ ـ صحيح ابن حبان ، كتاب : إخ ، ﷺ عن مناقب الصحابة ، حديث رقم : ٧٤٤٨.

٤ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب الإيمان ، حديث رقم : ٢٢٣.

الإبن العاق لربه ولهما ، ويرتعش حسهما لهذا التهجم والتطاول ويهتفان به (وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ) (١).

فليحذر الأبناء من عقوق الأباء ، وعدم طاعتهما والعمل بما يسخطهما ، لأن في ذلك غضب الله سبحانه و تعالى ، والخسارة في الدارين .

وعن زرعة بن إبراهيم ، أن رجلا ، أتى عمر بن الخطاب ﷺ ، فقال :(يا أمير المؤمنين ، إن لي أما بلغها من الكبر أنها لا تقضي حاجة إلا وظهري مطية لها فاوطيها وأصرف عنها وجهي ، فهل أديت حقها ؟ قال : لا . قال : يا أمير المؤمنين ، أليس بعد ما حملتها على ظهري ، وحبست عليها نفسي ؟ قال : " لا ، لأنها كانت تصنع ذلك بك وهي تتمنى بقاءك ، وأنت تصنع ذلك بها وأنت تتمنى فراقها) (٢).

فما يطيق الولد مهما كان بارا تقيا وفيا مطيعا لوالديه بعض ما كان يطيق الأب من عذاب وآلام ، حين يصاب ولده الصغير بمرض وسقم ، فليس من المروءة والأخلاق الكريمة أن يقابل الولد ذلك الإحسان ويقف من والديه موقف الجحود أثناء الكبر ، وهو المدين لهما في حياته منذ ولادته وطفولته ، فما يعق والديه إلا فاقد المروءة سيء الخلق ضعيف الإيمان مهما كانت المبررات التي يتعلل بها الأولاد .

فعن أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : (لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدا ، إِلَا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ)(٣) .

(٣) بر الأبناء للآباء بعد موتهم بالدعاء والصلة :

لا يظن الأبناء ذكورا أو إناثا أن بر الوالدين قد انتهى بموتهما ، بل يمتد بعد موتهما ، وذلك بالدعاء لهما والتصدق عنهما ، والاستغفار لهما وقراءة القرآن الكريم ، والصيام والصلاة ، وإكرام صديقهما وصلة قرابتهما ، قال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ الإسراء من الآية : ٢٤.

وقد روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : ، أن النبي ﷺ ، قال : (أَبَرُّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيْهِ) (٤).

---

١ - في ظلال القرآن : الأستاذ : سيد قطب ج ٦ص٣٧٦٣ مرجع سابق .
٢ - الجامع في الحديث لابن وهب : حديث رقم : ٨٩.
٣ - صحيح مسلم ، كتاب : العتق ، باب : فضل عتق الوالد ، حديث رقم : ١٨٥٨.
٤ - صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب : صلة أصدقاء الأب : حديث رقم : ٤٧٣٦.

٤١٦ وعن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) (١).

وبر الوالدين بعد الممات يكون أيضا ببر ومواصلة أصدقائهم ، وذلك بتفقد أحوالهم وإكرامهم والإهداء إليهم (٢).

وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي ﷺ ، قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ : إذ جاءه رجل من بني سلمة ، فقال :(يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا ؟ قَالَ : " نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا)(٣).

وعن عبد الله بن دينار ﷺ ، عن ابن عمر ﷺ ،(أنه كان إذا خرج إلى مكة ، كان له حمار يتروح عليه ، إذا مل ركوب الراحلة وعصابة يشد بها رأسه ، فبينا هو يوما على ذلك الحمار ، إذ مر به أعرابي ، فقال : ألست ابن فلان بن فلان ، قال : بلى ، فأعطاه الحمار ، وقال : اركب هذا والعصابة ، قال : اشدد بها رأسك ، فقال له : بعض أصحابه غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابي حمارا كنت تروح عليه ، وعصابة كنت تشد بها رأسك ، فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي وإن أباه كان صديقا لعمر) (٤).

وقال أبو الليث : فإن سأل سائل أن الوالدين إذا ماتا سلخطين على الولد هل يمكنه أن يرضيهما بعد موتهما ؟

قيل : نعم ، يرضيهما بثلاثة أشياء .

الأول: أن يكون صالحا في نفسه ، لأنه لا يكون شيئا أحب إليهما من صلاحه .

والثاني : أن يصل قريبتهما وأصدقائهما .

والثالث : أن يستغفر لهما ، ويدعوا لهما ويتصدق عنهما .

وذكر بعض التابعين أن من دعا لأبويه خمس مرات في كل يوم فقد أدى حقهما لقوله

تعالى :﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ لقمان من الآية : ١٤.

فشكر الله أن تصلي في كل يوم خمس مرات ، وشكر الوالدين أن تدعوا لهما في كل صلاة .

---

١ سنن الترمذي ، أبواب : الجنائز جانب: في الوقف ، حديث رقم : ١٣٣٤.

٢ ـ أدب السعادة في الإسلام : الأستاذ / عبده طالب أحمد عيس ص٨٨ ، مرجع سابق .

٣ سنن أبي داود ، كتاب : الأدب ، باب: في بر الوالدين ، حديث رقم : ٤٤٩٧.

٤ ـ صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة ، باب : صلة أصدقاء الأب ، حديث رقم : ٤٧٣٧.

(٤) بر الأبناء للوالدين بزيارة قبرهما وفاء بحقهما :

ويمكن للولد أن يبر والديه بعد موت أحداهما أو كلاهما وذلك عن طريق زيارة قبرهما ، تذكرا للآخرة وترقيقا للقلب ، وبرا بوالديه ، وأن يقرأ القرآن ويهدي ثواب ما قراء لهما ، فإنهما ينتفعان بذلك إن شاء الله تعالى ، كما أنهما يستأنسان به

فعن أبي هريرة ﷺ ، قال :(زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ ، فَقَالَ : " اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي ، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ) (١).

وعن النبي ﷺ قال : (مَنْ زَارَ قَبْرَ وَالِدَيْهِ ، أَوْ أَحَدُهُمَا ، فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً ، غُفِرَ لَهُ وَكُتِبَ بَرًا) (٢).

فكما كان بر الوالدين ورضاهما سببا في رضا الله تعالى في حياتهما ، فإن زيارة قبرهما والوفاء لهما يكون سببا للبر وغفران الذنب ورضا الرب ﷻ ، وأنس وعطف لوالديه ، وهذا يدل على أن الميت يشعر بمن يزوره ويأنس به ويعرفه ويشعر بزيارته .

فعن أبي هريرة ﷺ قال : (إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرٍ يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَرَفَهُ وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرٍ لَا يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ) (٣).

، ويُسن أن يقرب من المزور كقربه منه حيا ، وأن يسلم عليه من جهة رأسه (٤).

وعنه أيضا ﷺ، أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال : (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ) (٥).

وقد روي عنه ﷺ أيضا قال : قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَنَّى لِي هَذِهِ ؟ فَيَقُولُ : بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ) (٦).

عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : (مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ تَطَوُّعا أَنْ يَجْعَلَهَا عَنْ أَبَوَيْهِ ، فَيَكُونَ لَهُمَا أَجْرُهَا ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ) (٧).

وقال ﷺ : (مَا وَصَلَ ذُو رَحِمٍ رَحِمَهُ بِأَفْضَلَ مِنْ حُجَّةٍ يَدْخُلُهَا عَلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي قَبْرِهِ) (٨).

---

١ - صحيح مسلم ، كتاب : الجنائز ، باب : استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في ، حديث رقم : ١٦٧٥.
٢ - مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا : باب: ما جاء في صلة الرحم ، حديث رقم : ٢٤٣.
٣ - شعب الإيمان للبيهقي ، حديث رقم : ٨٩٦٢.
٤ - الدين المعاملة : الأستاذ / أحمد إسماعيل يحي ، ص٥٧ مرجع سابق .
٥ - صحيح مسلم كتاب الطهارة ، باب: استحباب إطالة الغرة في الوضوء ، حديث رقم : ٣٩٣.
٦ - مسند الإمام / أحمد بن حنبل ، حديث رقم :: ١٠٤٠١.
٧ - المعجم الأوسط للطبراني ، حديث رقم ٧٨٦٩.
٨ - شعب الإيمان للبيهقي ، حديث رقم : ٧٦٥٣.

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال :(يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أُمِّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَلَمْ تُوصِ ، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ ، أَفَلَهَا أَجْرٌ ، إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا ؟ قَالَ : " نَعَمْ) ([1]).

(٥) نماذج من حُسن معاملة السلف الصالح في بر الوالدين :

لقد كان أعرف الناس ببر الوالدين قولا وعملا هم سلف الأمة الصالح ، الذين ضربوا أروع الأمثلة في البر والإحسان للوالدين ، وخفض الجناح لهما ، والتودد إليهما ، والإصغاء إلى حديثهما ، وتجنب كل أشكال العقوق ، ومن هنا كانوا قدوة حسنة ، ونماذج حية لأبناء المسلمين .

وسوف نذكر كوكبة من الأحاديث والآثار وبعض المعاملات التي سجلها التاريخ بحروف من نور ، والتي فيها العبرة والعظة ، لنتعلم كيف نتعامل مع الوالدين في العصر الحاضر ، الذي انقلب فيه الإحسان إلى إساءة ، والبر إلى عقوق ، والعطف والرحمة إلى العنف والقسوة ، فانقلبت الموازين في الأسر الإسلامية إلا من رحم الله .

(أ) عن أبي مرة مولى عقيل ، أن أبا هريرة ﷺ كان يستخلفه مروان ، وكان يكون بذي الحليفة ، فكانت أمه في بيت وهو في آخر . قال : فإذا أراد أن يخرج وقف على بابها فقال : السلام عليك يا أمتاه ورحمة الله وبركاته ، فتقول : وعليك السلام يا بني ورحمة الله وبركاته ، فيقول : رحمك الله كما ربيتني صغيرا ، فتقول : رحمك الله كما بررتني كبيرا ، ثم إذا أراد أن يدخل صنع مثله) ([2]).

(ب) وعن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال : (دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةً فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : حَارِثَةُ بْنِ النُّعْمَانِ " ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " كَذَلِكُمُ الْبِرُّ كَذَلِكُمُ الْبِرُّ، وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ) ([3]).

(ت) وعن أبو عبد الرحمن الحنفي ، قال : رأى كهمس بن الحسن عقربا في البيت فأراد أن يقتلها أو يأخذها فسبقته إلى جحرها فأدخل يده في الجحر يأخذها وجعلت تضربه فقيل : ما أردت إلى هذا ؟ لم أدخلت يدك في جحرها تخرجها قال : إني أحمد خفت أن تخرج من الجحر فتجيء إلى أمي فتلدغها ، وكان يمينه الذي يحلف به إني أحمد وأحمد ([4]).

(ث) وعن طلحة بن البراء ﷺ ، أنه أتى النبي ﷺ ، فقال :(انْبَسِطْ يَدَكَ ، قَالَ : " وَإِنْ أَمَرَتْكَ بِقَطِيعَةِ وَالِدَيْكَ ؟ " قَالَ : لَا . قَالَ : ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : انْبَسِطْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ . قَالَ : " عَلَامَ ؟ " قُلْتُ : عَلَى الْإِسْلَامِ . قَالَ : " وَإِنْ أَمَرَتْكَ بِقَطِيعَةِ وَالِدَيْكَ ؟ " قُلْتُ : لَا ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ الثَّالِثَةَ ، وَكَانَ لَهُ وَالِدَةٌ ، وَكَانَ مِنْ أَبَرِّ

---

[1] - صحيح مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه ، حديث رقم : ١٧٣٤.
[2] - الأدب المفرد للبخاري ، باب : جزاء الوالدين ، حديث رقم : ١٣.
[3] - المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب: معرفة الصحابة رضوان الله عليهم ، حديث رقم : ٤٨٨١.
[4] - حلية الأولياء : حديث رقم : ٨٥٧٤.

النَّاسِ بِهَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : " يَا طَلْحَةُ إِنَّهُ لَيْسَ فِي بِنْيَانِنَا قَطِيعَةُ الرَّحِمِ ، وَلَكِنْ أَخْبَبْتُ أَنْ لَا يَكُونَ فِي بِنْيَانِكَ رِيبَةٌ " فَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ) (١). ٤١٩

(ج) وعن ظبيان بن علي الثوري ، وكان من أبر الناس ، قال : " لقد باتت أمه وفي صدرها عليه شيء ، فقام على رجليه قائما يكره أن يوقظها ويكره أن يقعد ، حتى إذا ضعف جاء غلامان من غلمانه فما زال معتمدا عليهما حتى استيقظت من قبل نفسها ، وإن كان ليبتاع الدمنجة من البقل فينقيها لها طاقة طاقة حتى يضعها بين يديها ، وكان يسافر بها إلى مكة ، فإذا كان يوم حار حفر بئرا ثم جاء بنطع فصب فيه الماء ، ثم قال لها : " ادخلي تبردي في هذا " ، وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن(٢).

(د) وعن هشام بن حسان ، قال : حدثني بعض ، آل سيرين قال : (ما رأيت محمد بن سيرين يكلم أمه قط إلا وهو يتضرع)(٣).

حدثنا ابن عون (أن محمد بن سيرين إذا كان عند أمه ، لو رآه رجل لا يعرفه ظن أن به مرضا من خفضه كلامه عندها) (٤).

وعنه أيضا قال : نبئت أن رجلا دخل على محمد بن سيرين وهو عند أمه فقال : ما شأن محمد أيشتكي شيئا ؟ فقالوا : لا ولكنه هكذا يكون إذا كان عند أمه (٥).

(ذ) وعن ابن عون : (أنه ناداته أمه فأجابها فعلا صوتها فأعتق رقبتين) (٦).

(ر) وعن سفيان الثوري قال : حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه أنه كان يفلي رأس أمه (٧).

(ز) وعن أبي عمرو ذكوان ، قال : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : " رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ كانا أبر من كان في هذه الأمة بأمهما " ، فيقال لها : من هما ؟ فتقول : " عثمان بن عفان ، وحارثة بن النعمان رضي الله عنهما ، فأما عثمان فإنه قال : ما قدرت أن أتأمل أمي منذ أسلمت ، وأما حارثة فإنه كان يفلي رأس أمه ويطعمها بيده ، ولم يستفهمها كلاما قط تأمر به حتى يسأل من عندها بعد أن تخرج : ما قالت أمي ؟ (٨).

(س) وعن منذر الثوري ، قال : (كان محمد ابن الحنفية يمشط رأس أمه ويرويها) (٩).

---

١ - المعجم الكبير للطبراني ، حديث رقم : ٨٠٤٦.
٢ - مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ، باب : ما جاء في صلة الرحم ، حديث رقم : ٢٢١.
٣ - حلية الأولياء ، محمد بن سيرين ، حديث رقم : ٢٣٧٨.
٤ - الطبقات العليا لابن سعد ، حديث رقم : ٨٨١٥.
٥ - زهد لأحمد بن حنبل ، زهد محمد بن سيرين ، حديث رقم : ١٧٨٧.
٦ - حلية الأولياء ، عبد الله بن عون ، حديث رقم : ٢١٥٢.
٧ - الطبقات الكبرى لابن سعد ، حديث رقم : ٦٠٨٢.
٨ - مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ، باب : ما جاء في صلة الرحم ، حديث رقم : ٢١٧.
٩ - البر والصلة للحسين بن حرب ، حديث رقم : ٣٣.

٤٢٠ (ش) وهذا أبو الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ ، وهو المسمى بزين العابدين ، وكان من سادات التابعين ، كان كثير البر بأمه حتى قيل له : إنك من أبر الناس بأمك ولا نراك تؤاكل أمك – أي لا يأكل معها – فقال: أخاف أن تسير يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه فأكون قد عققتها(١) .

وعلى ضوء ما سبق من الآثار يجب على الأبناء الذين لا يحسنون التعامل مع الوالدين والإحسان إليهما ، وعدم مراعاة مشاعرهما أن يعيدوا النظر في تعاملهم مع والديهم قبل فوات الأوان ، وانتهاء الفرصة بوجود الأبوين أو أحدهما ، لأن اغتنام هذه الفرصة يترتب عليه من الثمار والفوائد العظيمة من رضوان الله تعالى ، وغفران الذنوب ، وضمان معاملة الأبناء بالمثل .

كما يمكن أن يعوض الأبناء الذين لم يغتنموا فرصة حياة آبائهم أن يدركوا هذا الأمر من البر بعد مماتهم ، بالصدقات والدعاء والاستغفار ، والصلة وزيارة القبور ، وقراءة القرآن وغيرها ، مما يدل على حسن نية الأبناء في بر الوالدين والوفاء بحقهما .

ومن وفقه الله تعالى إلى بر والديه فليشكر الله وليحمده ويزيد في البر بهما ، ومن لم يوفق أو عامل والديه بما لم ينبغي ، فعليه أن يتوب إلى الله تعالى ويستغفره ويطلب منه العفو ، ويستدرك على الفور ما فاته من برهما .

وأسأل الله تعالى أن يرزقنا بر الوالدين ورضاهما والإحسان إليهما إنه سميع مجيب .

المبحث الثالث

أثر الاستقرار الأسري على البناء النفسي لشخصية الأولاد

إن الاستقرار الأسري له دور كبير على البناء النفسي لشخصية الأولاد ، مما يضمن سعادة الأسرة ، لأنه مما لا شك فيه أن البيت أساس المجتمع ، وهو المدرسة الأولى التي ينمو ويترعرع فيها الأولاد ، فإذا كان التعامل بين الزوجين قائما على الأخلاق الإسلامية من المودة والرحمة والحب والعطف والصدق والأمانة وغيرها ، كان هذا البيت بيئة طيبة صالحة لإخراج النبات الطيب الصالح الذي ينهض بالأمة الإسلامية ، ويقر قلب والديه ، ويعرف لهما حقهما من البر والإحسان والرعاية ورد الجميل .

إن الوالدان هما المؤسسان لهذا البيت ، والمسئولان عن أفراده مسئولية كاملة ، ومتى وجد الأبناء ضالتهم في البيت من الراحة والطمأنينة والسعادة انعكس ذلك إيجابيا على نفسياتهم وأخلاقهم وتصرفاتهم ، والعكس صحيح .

ومن الأمور التي ينبغي على الوالدين مراعاتها في التربية الإيجابية والبناء النفسي للأولاد ما يلي :

---

١ - http://www.ozkorallah.net/subject.asp?hit

١- تأسيس الأولاد تأسيسا جيدا وتربيتهم تربية إسلامية :

يجب على الآباء تأسيس الأبناء على فهم الإسلام ، وتعاليم الدين والأخلاق الكريمة ، ولن يتم ذلك إلا أن يكون الوالدين قدوة حسنة لأبنائهم وبناتهم .

يقول الأستاذ / محمد قطب :

الوالدان بذاتهما قدوة .... لا تكذب الأم أمام الطفل ولا الأب ، فلا يشاهد الطفل الكذب أمام عينيه ، فيتعود الصدق من الواقع الموجود في الأسرة ، ثم يذهب إلى المدرسة ، فلا تكذب عليه المدرّسة ولا المدرّس ، ويخرج للمجتمع فيجد الصدق حقيقة ، فينشأ صادقا لا يكذب ،

والأمانة كذلك فلا تغش الأم ولا الأب ... ولا المدرّسة ولا المدرّس ، ولا الناس في المجتمع ، فتصبح الأمانة في نفس الطفل حقيقة ، ..... حقيقة ذات رصيد من الواقع ، وكذلك كل آداب السلوك .....

وبهذه الصورة تنشأ كل الفضائل التي نفتقدها في الشرق الإسلامي ([1]).

٢- متابعة الأولاد متابعة دقيقة :

فيجب على الوالدين تحمل المسئولية في متابعة الأبناء ، من حيث الأصدقاء ، وما يجب أن يشاهدون من وسائل الأعلام المختلفة ، وكذلك مناهج التربية والتعليم ، وتوجيههم نحو النافع المفيد ، وتأديبهم وتعليمهم فرائض الإسلام والصبر عليهم ، وكذلك الاطلاع على كل ما يتلقونه من مبادئ وقيم وأخلاق ، والحرص على تأديبهم وعدم إهمالهم .

يقول الإمام ابن القيم :

وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والأخرة بإهماله وترك تأديبه وإعانته على شهواته ، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه ، ففاته انتفاعه بولده ، وفوت عليه حظه في الدنيا والأخرة ،.... فمن أهمل تعليم ولده وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آبائهم كبارا ، كما عاتب والدا ولده على عقوقه فقال : يا أبت إنك عاققتني صغيرا فعققتك كبيرا ، وأضعتني وليدا فأضعتك شيخا ([2]).

فيجب على الآباء أن يعتنوا بتربية أبنائهم لأنهم أمانة في أعناقهم ، والإهمال والتقصير في تربيتهم يؤدي إلى الخلل ، فوق إنه خيانة للأمانة ، فإذا اهتم المربون بتربية أبنائهم صلحت الأسرة وصلح المجتمع كله ، وحفظنا شبابنا من الانحراف والضياع ، مما يؤدي إلى الاستقرار الأسري والمجتمعي فينتشر العدل والأمن .

٣- إدخال السرور على الأبناء وتشجيعهم على التنافس البناء :

---

[1] - التطور والثبات في حياة البشرية : الأستاذ / محمد قطب ، ص ٢٧٢، باختصار ، طبع دار الشروق بيروت ، طبعة خامسة ، سنة ١٩٨٢م .

[2] - تحفة المودود بأحكام المولود : الإمام / شمس الدين محمد بن قيم الجوزية ، ص١٦٣، مرجع سابق .

٤٢٢ إن السرور والفرح يؤثر في الطفل تأثيرا إيجابيا قويا بعيدا عن التوتر ، والتجهم والعصبية التي يشاهدها الأطفال في المحيط الزوجي للأسرة .

وكان النبي ﷺ يدخل دائما السرور والفرح إلى نفوس الأطفال بشتى الأساليب ، ومن ذلك تقبيلهم ومماز حتهم ، والاستقبال الجيد لهم ، ومسح رؤوسهم وحملهم ووضعهم في حجره الشريف ، وتقديم الأطعمة الطيبة لهم ، والأكل معهم ، فكل ذلك يدخل السرور والسعادة على الأطفال ، ويساعد على البناء النفسي والعاطفي ، ويؤثر على تعامل الطفل مستقبلا ، مما ينعكس أثره على الوالدين والمجتمع .

وقد كان النبي ﷺ نموذجا حيا في إدخال السرور على الأطفال ومداعبتهم ، ومن ذلك ما رواه الترمذي عن أنس بن مالك ﷺ ، أن النبي ﷺ قال له : (يَا ذَا الأُذُنَيْنِ) يعني يمازحه (١) .

وعن أبي هريرة ﷺ ، قال : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيُدْلِعُ لِسَانَهُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَيَرَى الصَّبِيُّ حُمْرَةَ لِسَانِهِ فَيَبْهَشُ إِلَيْهِ) (٢).

وعن إسحاق بن يحيى بن طلحة ، قال : كنت مع عمي عيسى بن طلحة في المسجد ، فدخل السائب بن يزيد ، فبعثني إليه ، فقال : اذهب إلى ذلك الشيخ ، فقل له : يقول لك عمي عيسى بن طلحة : هل رأيت رسول الله ﷺ ؟ فذهبت إليه ، فقال : (نَعَمْ ، قَدْ رَأَيْتُهُ ﷺ، وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ أَنَا وَغُلَمَةٌ مَعِي ، فَوَجَدْنَاهُ يَأْكُلُ تَمْرًا فِي قِنَاعٍ وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَبَضَ لَنَا مِنْ تِلْكَ التَّمْرِ قَبْضَةً ، وَمَسَحَ عَلَى رُءُوسِنَا) (٣).

وهذه الأمور من المربي العظيم ﷺ تنمي نفسية الطفل ، وتساعده على إظهار أسرار النفس البشرية وطاقتها المكنونة ومشاعرها (٤)، وفيها من تعليم الوالدين والمربين القدوة الحسنة لمن أراد أن ينشأ جيلا صالحا ، ومن هنا اقتدى أصحاب النبي ﷺ والسلف الصالح بما كان عليه رسول الله ﷺ ،فعن أبو كامل مولى معاوية قال : دخلت على معاوية أنا وخالد بن يزيد بن أبي سفيان فإذا معاوية قد جثى على أربع وفي عنقه حبل وهو بيد ابنه يلعب معه صغيرا فلما دخلنا سلمنا عليه استحيا مني ثم قال :(سمعت رسول الله ﷺ يقول : " مَنْ كَانَ لَهُ صَبِيٌّ فَلْيَتَصَابَ لَهُ)(٥).

كما كان النبي ﷺ يشجع الأطفال على التنافس البناء ، وتحريك الطاقة والمنافسة الفكرية ، وإثارة انتباه الأطفال ، وتحريك أذهانهم ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عمر ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ ؟ " فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ ، وَوَقَعَ فِي

---

١ ـ سنن الترمذي أبواب البر والصلة ، باب : ما جاء في المزاح ، حديث رقم : ١٩٦٣.

٢ ـ أخلاق النبي ﷺ لأبي الشيخ الأصبهاني ، ما روي في حلمه ﷺ ، حديث رقم : ١٧٨.

٣ ـ المعجم الكبير للطبراني ، حديث رقم : ٦٥٤٠.

٤ ـ منهج التربية النبوية للطفل : الأستاذ / محمد نور عبد الحفيظ سويد ، ص١١٨ ،مرجع سابق .

٥ ـ النفقة على العيال لابن أبي الدنيا ، باب : حمل الوالدان وتقبيلهم ، حديث رقم ٢٣٠.

نفسي أنها النخلة ، قال عبد الله : فاستحييت ، فقالوا : يا رسول الله ، أخبرنا بها ؟ فقال رسول الله ﷺ: " هي النخلة " قال عبد الله : فحدثت أبي بما وقع في نفسي ، فقال : " لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا) (١).

فمثل هذه الأسئلة تنبه عقل الطفل ، وتفتح مغاليق فهمه ، وتوقظ حركة الذاكرة الجامدة ، ولذلك نجد ابن عمر ﷺ ينافس الكبار في المعرفة والجواب ، ولكنه التزم الأدب لصغر سنه .

فعلى الوالدين أن يقتفوا أثر النبي ﷺ في تربية أبنائهم ، ويقدمون للفائزين بعض الهدايا ، كما فعل النبي ﷺ ، وأن يكون موضوع المنافسة في الأمور المفيدة النافعة التي تنمي العقل والفكر ، وتقوي الجسم كالتنافس الرياضي ... وغير ذلك .

إن الاستقرار الأسري القائم على حُسن اختيار الزوجين أولا ، ثم التفاهم ، والمعاملة الحسنة ، والحوار الهادف البناء ، والتربية الإيمانية للأولاد ، كل ذلك له دور كبير في سعادة الأسرة ، وتربية الأبناء والاهتمام والمتابعة والتواصل ، وبذل الجهد في تطبيق منهج الإسلام في التربية ، وتوفير الجو المناسب والبيئة الصالحة لتخريج النشء لمواجهة المخاطر التي يتعرض لها الأولاد من خلال البيئة الفاسدة ، والمناهج التي لا تهتم ببناء الإنسان وتربيته ، وهي بعيدة عن تعليمه النافع المفيد فتخرج البنت لا تعلم شيئا عن تربية الأطفال ، ولا الدين ، ولا الخلق ، ولا تدبير المنزل ، لأن الاهتمام باللغة الأجنبية والموسيقى وغيرها من العلوم ، وكذلك الأولاد .

ومن هنا كان العبء كبيرا على الوالدين ...فالأم إذا صلحت فانتظر من ابنها أن يكون رجلا بمعنى الكلمة ، وأنت إذا استقرأت تاريخ العلماء ، وجدت أن السر في عظمة الكثيرين منهم ما بثته الأم من المبادئ الصالحة القويمة بحكم اللبان والتلقين ، وما كان علي ابن أبي طالب ﷺ في حبه للحق ، وغيرته عليه ، ومناصرته للرسول ﷺ ، ولا معاوية في حلمه ودهائه ، ولا عبد الله بن الزبير في شجاعته ، ولا الزبير نفسه في ذلك ، إلا سرا من أسرار فاطمة بنت أسد ، وصفية بنت عبد المطلب ، وأسماء بنت أبي بكر ، وهند بنت عتبة .

ولئن كان الولد سرَ أبيه ، فكل إناء بما فيه ينضح ، وحري بمن كان يسمع في مهده لأول عهده بالحياة ترنيمة أمه وهي تحثه على الشجاعة ، والأخلاق الفاضلة ، أن يكون سيدا تتفجر الحكمة من جنبيه ، وتنطوي السيادة في بردية ، كما كان عبد الله بن العباس بتأثير أمه : أم الفضل بنت الحارث الهلالية .

وحري بمن تطرق لسمعه لأول مرة تلك الأغاني الخليعة ، الترنيمات الغثة ، التي يداعب بها أمهات هذا العصر أبناءهن أن ينشأ ماجنا خليعا ، فاتر الهمة ، ضعيف النفس (٢).

---

١ - صحيح البخاري ، كتاب : العلم ، باب: الحياء في العلم ، حديث رقم : ١٣٠.

٢ - منهج التربية النبوية للطفل : الأستاذ / محمد نور بن عبد الحفيظ سويد ، ص(٣٢١، مرجع سابق .

الفصل الرابع

الأسباب التي تؤدي إلى سوء المعاملة الأسرية وسبل الوقاية منها في العصر الحاضر

ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول : دور التقنية الحديثة في تدمير العلاقات الأسرية في العصر الحاضر .

المبحث الثاني : المخاطر التي تواجه استقرار الأسرة وتفسد العلاقة بين الزوجين .

الفصل الرابع
الأسباب التي تؤدي إلى سوء المعاملة الأسرية وسبل الوقاية منها في العصر الحاضر

لقد كثرت الأسباب التي تؤدي إلى انهيار الأسرة ، وسوء المعاملة بين الزوجين خاصة في العصر الحاضر ، الذي كثرت فيه الوسائل المفسدة والمدمرة ، مما ترتب عليه كثرة التمرد ، وظهور المشكلات العائلية .

ومن أهم هذه الأسباب : التقنيات الحديثة ودورها في تفشي الفساد الأسري ، وكذلك المخاطر المتعددة التي تواجه الاستقرار الأسرى وتفسد المعاملة بين الزوجين ، وتؤثر على تماسك الأسرة وأخلاقيات النشء .

إن المنغصات والمخاطر التي تواجه الأسرة العصرية ، تتسبب في فقدان السعادة في البيت ، وكذلك فقدان الهدوء النفسي والروحي والعاطفي ، وتعمل على التبرم وسوء الخلق وانعدام الثقة وسوء الظن ، وضيق الصدر والانحراف والاضطراب في الحياة الزوجية (ولا يقتصر هذا الأمر على بيئة معينة أو وسط محدد ، ففي الأوساط المتعلمة تنشأ المشاكل كما تنشأ تماما في الأوساط الجاهلة ، وفي الأوساط الغنية المترفة قد تفقد السعادة الزوجية والاستقرار الأسري ، كما تفقد في الأوساط الفقيرة ، وهكذا ..... ، وعلى أية حال فإن الأسباب التي تؤدي إلى سوء المعاملة ، وكثرة المشاكل الأسرية قد تبدو واضحة الأثر ، كثيرة الظهور في البيئات التي ضعف فيها الوازع الديني والخلقي ، وكثيرا ما رأينا بعض المتدينين من أسوأ الناس معاملة لأزواجهم ، لأن الدين لم يكن عندهم ضابطا مسيطرا على الأهواء والنزعات ، وإنما هو طقوس باهتة لا تسمو بروح ولا تزكي نفسا ، لأنه دين سطحي يعتمد على المظاهر والشعارات ([1]).

إن وسائل الإعلام لها مكانتها الكبرى في توجيه الشعوب وصياغة مفاهيمها وتصوراتها وسلوكياتها ، وترسيخ القيم والمبادئ في النفوس والقلوب، فإذا صلحت وسائل الإعلام ، وهدفت إلى توجيه الشعوب للخير والأخلاق والآداب والفضيلة والطاعة ، فإن فيها خيرا كثيرا ، وتأثيرا كبيرا، وصلاحا مؤكدا .

لذلك فإن أعداء الإسلام قد بذلوا كل ما بوسعهم لإفساد هذه الوسائل من أجل تحطيم التقاليد الإسلامية والقيم الإنسانية .

فنحن المسلمين بأمس الحاجة إلى إعلام صالح هادف مؤثر يعرض مبادئ الإسلام وأحكامه وآدابه وقيمه ، فيتعلم هذا الدين ويتأثر به المسلمون وأبناؤهم ، وغير المسلمين أيضا ، فيهتدوا إليه ويعرفوا عظمته ، فما أجمل وأعظم وسائل الإعلام

---

[1] - أخلاقنا الاجتماعية : د . مصطفى السباعي ، ص٧١ بتصرف ، مرجع سابق .

٤٢٦ لو استخدمت في النفع والبناء والإصلاح بدلا أن تستخدم في الضرر والشر والهدم والإفساد والرذيلة ([1]).

وسوف أذكر أهم الأسباب التي تؤدي إلى سوء المعاملة الأسرية ، وكيفية مواجهتها وسبل الوقاية منها، وذلك في المباحث التالية :

المبحث الأول : دور التقنية الحديثة في تدمير العلاقات الأسرية في العصر الحاضر .

المبحث الثاني : المخاطر التي تواجه استقرار الأسرة وتفسد المعاملة بين الزوجين .

المبحث الأول

دور التقنية الحديثة في تدمير العلاقات الأسرية في العصر الحاضر

لقد تعددت الوسائل التي أدت إلى تفشي الفساد الأسري وتنوعت أسبابها ، وأبرزها التقنيات الحديثة ، بوسائلها المختلفة ، فلا يكاد يخلو بيت في هذا العصر من وسائل التقنية الحديثة ، كالتلفاز ، والكمبيوتر بما يحمله من شبكة المعلومات الدولية ، والجوال .... وغيرها ،

وهي وسائل لها تأثير كبير في صياغة المفاهيم والأفكار والسلوكيات ، وتوجيه الأفراد والأسر والشعوب ، وهي السبب المباشر في تدمير الدول والشعوب ، والخداع في إقناع الجماهير بالإرهاب ، ونشر الأفكار المغلوطة ، والتذرع لاحتلال الدول العربية والإسلامية وبالجملة ، فكما أن هذه الوسائل تعمل على تدمير الدول فهي أيضا تعمل على تدمير الأسر ، كما أن هذه الوسائل ذات حدين ، حد نافع وحد ضار وقاتل ، ولكن المستخدم غالبا هو الحد الضار المدمر ، خاصة بوجود البث المباشر وانتشار الأفلام والمسلسلات التي تدعوا إلى الانحلال ، وفساد الأخلاق ، والإباحية والمجون وتدمير الأسر ، حيث صارت مسألة التحكم في هذه الأجهزة شبه مستحيلة ، ومن ثم لا توجد رقابة عليها ، وهي من أعظم الوسائل لو استخدمت في البناء والإصلاح بدلا من الهدم والفساد ، ولكن أعداء الإسلام يبذلون جل مالهم وتفكيرهم ووقتهم من أجل إبعاد المسلمين عن قيمهم ومبادئهم ودينهم لإطفاء نور الإسلام ،كما قال تعالى :﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ الصف الآية : ٨.

إن أعداء الإسلام يصورون نفاية المجتمع الفاسدون أبطالا ، ويعلمون أبناء المسلمين عن طريق أفلامهم الخداع والحيل الخبيثة للوصول إلى الأهداف الدنيئة

---

[1] ـ المراهقة بين الفقه الإسلامي والدراسات المعاصرة : الأستاذ/ خالد أحمد الطحان ص ٢٩٧، طبع دار المعرفة بيروت طبعة أولى سنة ٢٠٠٦م.

والأخلاق الممقوتة ، فيصورون السارق اللص على أنه بطل ، يصل إلى جمع ٤٢٧
المال ويصبح ثريا بالذكاء والحيل .
ويمكن أن نذكر مفاسد وأضرار التقنيات الحديثة ، وأثرها في تدمير العلاقات الأسرية في الوقت الحاضر ، وذلك من خلال الوسائل التالية :

(١) التلفاز ودوره في الفساد الأخلاقي والانحلال الأسري :

يعتبر من أخطر الوسائل الإعلامية لما له من تأثير كبير على المشاهد ، وذلك لقدرته على جذب الانتباه ، وتركيزه على دقائق الصور واللقطات .
إن من أعظم المفاسد التي دخلت علينا : جهاز التلفاز والإنترنت ، لأنهما جهازين أصمين إذا وجهتهما إلى الخير رأيت منهما خيرا ، وإذا وجهتهما إلى الشر رأيت منهما الشر .
فالتلفاز منع الحوار بين أفراد الأسرة ، فهم جميعا يتسمرون أمام شاشته ، كل واحد يرى ما يعرضه ويفكر فيه بطريقته ، ويذهب به إلى أفكار شتى حسب مخيلته وثقافته ، ولا تتناقش الأسرة ولا تشارك في الكلام ، ولا تتواصل إذا صح التعبير([1]).
فقد ذكر أحد التقارير العلمية لمنظمة اليونسكو أن الإنسان يحصل على معلوماته بنسبة ٩٠% عن طريق النظر ، وبنسبة ٨% عن طريق السمع ، وأن العين تجذبها الحركة أكثر من أي شيء آخر ([2]).
لقد عمت المجتمع مضار ومفاسد التلفاز ، وعمل هذا الجهاز المفسد على تدمير الأخلاق وانحلال الأسرة ، وكان من أكثر الأسباب التي تؤدي إلى سوء المعاملة الأسرية وتدمير الأجيال .
ويمكن أن نلخص مفاسد وأضرار التلفاز فيما يلي :

١- إظهار شعائر أهل الكفر ، والتشكيك بقدرة الله تعالى ، ونشر الخرافة والدجل والشعوذة .
٢- الدعوة إلى جرائم العنف ، والقتل والاغتصاب والخيانة ، والسرقة والشذوذ .
٣- إثارة الشهوات بعرض النساء العاريات الفاسدات .
٤- إقامة العلاقات بين الجنسين من حب و غرام واختلاط فاضح ، وعرض أفلام فاسدة بقصد الوقوع في الفاحشة .
٥- الدعوة إلى تحرير المرأة من قيمها وأخلاقها وعفتها وحيائها وحجابها ، بحجة أن الإسلام قد ظلمها ، وجعلها حبيسة البيت مستعبدة للرجل ، ناقصة الأدمية ، مهضومة الحقوق ، وقصدهم من هذا التدليل للمرأة

---

[1] - أسرتنا بين الدين والخلق : د . محمد سليم العوا ص ٢١٧ مرجع سابق.
[2] - الغلو ومنهج الاستغفار : الأستاذ / يحي بن سليمان الحقيلي ، ص٥١ ، طبع دار الدعوة بالكويت ، طبعة أولى سنة ١٩٨٩م

إفسادها خلقيا لتصبح مسرحا لشهوة الرجل فهل هذا تكريم للرجل؟ وهل هذا تحرير وتكريم للمرأة ؟"[١].

إن الإسلام قد كرم الرجل والمرأة ، فوضع المرأة في موضعها اللائق ، وفرض عليها حقوقا وواجبات ، وجعل لها حقوقا وواجبات ، وأمرها بما يحفظ حيائها وأنوثتها وكرامتها ، وجعلها كالجوهرة المصانة من المغرضين والمفسدين ، وجعل الرجل في موضعه المناسب له الذي يحفظ كرامته ورجولته [٢].

وهكذا تقوم دور السينما والصحف والمجلات والصور والإعلانات في الأماكن العامة وعلى الطرقات بنفس الدور الذي يقوم به التلفاز ، ونفس التأثير الذي يقوم به ويحدثه في النفوس من إثارة الفتنة والشهوات ، وتتبع أخبار الساقطات والإشادة بهن ، وجعلهن قدوات يقلدهن غيرهن من النساء ، حيث تستخدم المرأة كوسيلة للإثارة والدعاية إلى الانحلال ، وفساد القيم والآداب والأخلاق ، والتمرد على وظيفتها وفطرتها التي فطرها الله عليها .

*ويمكن الوقاية والحد من خطر التلفاز في العصر الحاضر بما يلي :

١ـ تعليم الأبناء كيفية استخدام هذه الوسيلة الاستخدام الأمثل لجني خيره والبعد عن شره ، مع التقليل من وقت مشاهدتها ٢ـ توجيه الأبناء إلى النافع المفيد منها ،٣ـ تعليم الأبناء قيمة استثمار الوقت في الإسلام ، وأن الإنسان يسأل عن عمره يوم القيامة فيما أفناه ، ٤ـ تحقيق النموذج الحي الواقعي في التأسي بالقدوة الحسنة من الوالدين ، فلا يأمر الأبناء بعدم مشاهدة الأفلام والمسلسلات والرقص والغناء وغيره ، ويكون حريصا على مشاهدتها ، حتى لا يحدث اضطرابا في نفسية النشء ، فلا يدري بأيهما يأخذ ، الكلام والتوجيه ، أم الفعل والمشاهدة ، ولعل الأخيرة تكون أوقع عند الأولاد ، ٥ـ كما يجب على الوالدين متابعة الأبناء ولو من طرف خفي ، حتى يشعروا بالمتابعة ، ٦ـ وكذلك يجب الحد من القنوات وتنقيتها وذلك بإزالة القنوات الإباحية التي تدعوا إلى الفاحشة والرذيلة والإثارة الجنسية .

(٢) الحاسوب والإنترنت ودورهما في تدمير العلاقات الأسرية :

إذا كان التلفاز له دور كبير في التفكك الأسري ،فإن الحاسوب بما يحمل من برامج ، وبما يضم من شبكة المعلومات الدولية ، لا يقل تأثيرا عن التلفاز في فساد الأولاد ، وتدمير سلوكياتهم وأخلاقهم ، وإغرائهم بالتمرد على الضوابط والقيم الأسرية ، وذلك بسبب ألعاب العنف المدمرة ، والأفكار الهدامة ، والمواقع الجنسية التي تنشر الإباحية والرذيلة ، وتدمر طاقات الشباب وتضعف قواهم بعيدا عن رقابة الأسرة .

---

[١] ـ قضية تحرير المرأة : الأستاذ/ محمد قطب ص٦٥:٦٧ بتصرف واختصار ، طبع دار الوطن بالرياض – السعودية ، ، طبعة أولى سنة ١٩٩٠م

[٢] ـ المراهقة بين الفقه الإسلامي والدراسات المعاصرة : الأستاذ / خالد أحمد العلمان ، ص١٢٠ ، مرجع سابق .

فهل نترك أولادنا غارقين في هذا الدمار بحجة أن الحاسوب لغة العصر ، فيسيء الأبناء استخدامه لنعلم فساد أبنائنا من البنون والبنات ونبأ دمارهم بعد حين ؟!

فلابد من حماية الأبناء من هذا الخطر المتعلق بالانترنت ، حتى لا يظل مسلطا على رؤوس أبنائنا ، وذلك عن طريق الفلترة الأسرية من الوالدين ، فيعلمون الأبناء حُسن استخدم هذه الوسيلة ، ولا يوافقون إلا على استخدام النافع المفيد ، أما سوء الاستخدام بالفاسد المدمر من المواقع فيجب المتابعة المستمرة ، مع التحذير وتربية الرقابة الذاتية في نفوس الأبناء ([1])

مع عدم ترك الحبل على الغارب للأبناء، وإعطاء الحرية المطلقة لهم في مشاهدة ما يرغبون في أي وقت يريدون .

(٣) الجوال ودوره المباشر في التفكك الأسري :

في العصر الحاضر يختصر الجوال المسافات البعيدة والقريبة أيضا ، فقد يستطيع الفرد من الأسرة أن يحادث الفرد الآخر بالمحمول وهو في غرفته الخاصة ، هكذا ينقطع التواصل الحميم بين أفراد الأسرة ، وتتفكك العلاقات شيئا فشيئا ، مما يساعد على تفكك الأسرة وسوء المعاملة .

وقد أكدت دراسة حديثة أن الرسائل الموجهة عبر الهواتف النقالة قد أضافت سببا جديدا لأسباب الطلاق في دولة الإمارات العربية ، التي تعاني أصلا من ارتفاع نسبة الطلاق ، ففي دائرة الإصلاح والتوجيه الأسري في محاكم دبي لم يكن متوقعا أن تصبح الرسائل الهاتفية سببا رئيسا للطلاق ، لكن تعدد الحالات التي تنظرها الدائرة تشير إلى ظاهرة تستوجب النظر فيها ، وتوعيه الناس بخطورتها ، خاصة أن بعض الزوجات يقعن بعد قراءة الرسائل بالاتصال بالأرقام المرسلة لهذه الرسائل ، ويكتشفن حقائق غير متوقعة .

والجدير بالذكر أن دراسة أعدتها وزارة العمل والشئون الاجتماعية في الإمارات عام ٢٠٠٢م ،أكدت أن التقنية الحديثة وخاصة الإنترنت أصبحت من الأسباب الرئيسية للطلاق في الإمارات ([2]).

لقد استخدمت الأسر التقنيات الحديثة استخداما سيئا ، وأصبحت الأسرة تقدم للأبناء هدية على هيئة تليفون محمول أو حاسوب مكافئة ، ولكنها لم تعلم الأبناء الاستخدام الأمثل المفيد ، وأخلاقيات استخدام هذه الأجهزة ذات الحدين ، مما تسبب عنه فساد الأسرة وتفككها ، وإزالة الروابط الحميمة فيما بينها ، وساعد كذلك على تدميرها وقطع العلاقات فيما بينها ، فأصبح الأولاد لا ينقادون لطاعة الوالدين ، وبرزت حالة من التمرد ، وأصبح الآباء لا يسيطرون على الأبناء نتيجة انشغالهم عنهم ، وعدم متابعتهم وتوجيههم .

---

[1] - التقنيات الحديثة ، فوائد وأضرار : د . شعاع هاشم اليوسف ، ص١٥٤ بتصرف ، كتاب الأمة ، عدد ١٢٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ ، طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر ، طبعة أولى سنة ٢٠٠٦م .

[2] - المرجع السابق ص٥٢ .

المبحث الثاني

المخاطر التي تواجه استقرار الأسرة وتفسد العلاقة بين الزوجين

لقد تعددت المخاطر وأسباب الانحراف والعوامل التي تؤدي إلى زعزعة استقرار الأسرة ، وفساد أخلاق الأبناء في العصر الحاضر ، ومن هنا زادت عوامل التفكك الأسري ، وضياع الأبناء وشقائهم ، وكثرت الجرائم ، وانقلبت السعادة إلى شقاء والأمن إلى خوف ، والاستقرار إلى تفكك وضياع ، مما كان له أكبر الأثر على الأسرة والمجتمع .

وسوف أذكر بعض هذه الأسباب والمخاطر وطرق الوقاية منها وعلاجها وذلك على النحو التالي :

أولاً : النزاع والشقاق واختلاف اتجاهات الوالدين في معاملة وتوجيه الأولاد :

يعتبر النزاع والشقاق بين الوالدين من العوامل التي تؤدي إلى انحراف الأبناء ، وأن استمرار الشقاق واحتدام النزاع بين الأب والأم في معظم ساعات الاجتماع واللقاء ورؤية الأبناء لظاهرة الخصومة سوف يترك على أثرها الولد حتما جو البيت المظلم ، ويهرب من محيط الأسرة الموبوءة والمليئة بالشقاق والنزاع وعدم الاستقرار ، وبالتالي تؤثر هذه البيئة على سلوك وتربية الأبناء تربية صحيحة ، ويذهب الولد باحثا عن أصدقاء يقضي معهم معظم وقته ، ويصرف في مخالطتهم أغلب فراغه ليخرج من جو هذه الأسرة وهذا البيت القاتم ، فإن كانوا قرناء سوء ، ورفقاء شر فإنه سيدرج معهم على الانحراف والفساد ، والمرء على دين خليلة ، فيكتسب منهم أرذل الأخلاق ، وأقبح العادات مما يؤدي إلى الانحراف والإجرام ليصبح أداة خطر وبلاء على الأسرة والمجتمع .

فالخلاف بين الزوجين أمر طبيعي لا يخلو منه بيت ، لكن الذي يؤثر على صورة المثل الأعلى المستمد من الوالدين ، ومن القدوة التي يطلقانها ، هو كيفية معالجة هذا الخلاف ، وكيفية الخلاف نفسه .

كثيرا من الأزواج لا يجد حرجا في أن يتكلم علانية أمام أولاده صغارا كانوا أو كبارا في الأمور التي يختلف فيها مع زوجته ، سواء أكانت أمور مادية أم أمورا عائلية ، أم أمورا تتعلق بتنظيم حياتهم في الأسرة ، أم أمور تتعلق بالأولاد أو بالعلاقات مع الأصدقاء والأهل ، فهما يفتحون الأبواب على مصاريعها ، ويعرضون آراءهم المختلفة ، والأبناء يشاهدون كل ذلك ، وأحيانا يشاركونهم في مناقشة هذه الخلافات ، ويبدون آراءهم ، فهم إما مناصرين لهذا الطرف أو معادين له أو مزدرين لآراء أبويهم معا .

وهذا أسوأ ما يمكن أن يقع فيه النظام التربوي في الأسرة ، ومن أشأم الأشياء المستمدة من القدوة في سلوك الوالدين ، لأن الأولاد يرون في هذه الحالة أسرة

مفككة ، حيث لا يقبل كلا من الطرفين كلمة فما فوقها ، ويشعرون أن هذه الحياة لا ٤٣١
معنى لها ، فما قيمة الحياة الزوجية إذا كانت طول النهار مشاكسة وخلافات ومنغصات تذهب بهذه السعادة التي يرجوها الابن أو الابنة ؟ (١).

ومما لا شك فيه أن الولد عندما يفتح على الدنيا عينيه ، ولا يجد الأم العطوفة الرحيمة التي تحنو وتعطف عليه ، ولا الأب الذي يقوم على أمره ويرعاه ، ولا يجد الاستقرار الأسري ، والحوار الهادئ بين الوالدين ، فإنه سيندفع نحو الجريمة ، ويتربى على الفساد والانحراف ، مما يزيد الأمر سوء وضياع ، والإسلام بمبادئه الرشيدة أمر كلا من الزوجين أن يقوما بالحقوق نحو بعضهما البعض حتى لا يؤول بهما الأمر إلى نتائج لا تحمد عقباها (٢).

١- آثار الخلاف والنزاع بين الزوجين على الأبناء :

أ- تنازع الولاء للأسرة ككل ، واضطرار الولد إزاء الضغوط الانفعالية التي يعانيها نتيجة للتوتر العنيف بين الوالدين إلى الانتماء إلى أحد المعسكرين دون الآخر .

ب- خيبة أمل الولد في مصدر السلطة وهو الأب ، ومظهر الرعاية والحنان وهو الأم ، يدفعه إلى الانتماء إلى العصابات التي يجد بينها الاشباع العاطفي الذي يفتقده في أسرته .

ت- ظهر أن نسبة كبيرة من حالات المروق والتشرد توجد لدى أطفال الأسر المضطربة أو المحطمة بسبب الطلاق .

ث- حرمان الطفل من مقومات الشخصية المتكاملة .

ج- تنمية النزاعات العدوانية لديه .

ح- تتضاعف لدى الولد الاضطرابات السلوكية والفشل الاجتماعي (٣).

٢- التوافق والتوحد في اتجاهات الأبوين يؤدي إلى التربية الصحيحة للأولاد:

الطفل مسجل واع لما يدور حوله ، خاصة فيما يصدر عن الأب والأم ، وهو يميل إلى من يحقق له رغباته ، ويلبي له طلباته ، سواء أكانت مرغوبة أم غير مرغوبة ، وهو يحاول أن يستفيد من كليهما ،أو من أحدهما بوسائله الخاصة إذا لاحظ تضارب في الرأي ، واختلافا في وجهات النظر .

ومن هنا فإن اتفاق الوالدين اتفاقا صحيحا في تربية الطفل إنما يحقق أهدافا ثلاثة : **الأول:أنه يؤكد لدى الطفل صدق الرأي ، وسلامة التوجيه ، ويحميه من القلق والشك فيما كان من أمره .**

---

١ - أسرتنا بين الدين والخلق : د . محمد سليم العوا ، ص٣٠٣، مرجع سابق .

٢ - تربية الأولاد في الإسلام : د . عبد الله ناصح علوان ، ص١٢٦:١٢٤ بتصرف واختصار ، مرجع سابق.

٣ - الأسرة في الإسلام : الأستاذ / أمين إبراهيم المسلمي ، ص ١٦٩،١٦٨، مرجع سابق.

الثاني: إنه يحافظ على التوازن العاطفي الحقيقي تجاه الأب والأم ، وحينما يحتكم الطفل إلى نفسه بخصوص عاطفته تجاههما يحس بالتوازن الحقيقي في هذه العاطفة .

الثالث: أن هذا الاتفاق – في الغالب- يخرج لنا طفلا سويا متوازنا ، وقد لوحظ أن الأطفال الذين يتمتعون بروح قيادية هم في معظم الحالات أطفال من أسر متفاهمة، تسودها روح الحب ، فتقوم الأم دائما بمخاطبة طفلها والتحدث معه بلطف وحنان(١).

إن العلاقات الزوجية التي تتسم بالسواء تمكن الطفل من التوازن النفسي الصحيح ، ومن إشباع حاجياته ودوافعه بصورة سليمة في إطار معايير المجتمع ، أما التنشئة في إطار تصدع أسري ، وخلافات زوجية ، تخلق شخصيات غير سوية ، تعاني من القلق وانعدام الأمن (٢).

ثانياً: انشغال الوالدين خارج المنزل بالعمل وتخليهم عن تربية الأولاد :

ومن العوامل التي تؤدي إلى زعزعة استقرار الأسرة ، وانحراف الأبناء وفساد أخلاقهم ، وانحلال شخصياتهم ، تخلي الوالدين عن تربية الأبناء وإصلاحهم ، وانشغالهم عن التوجيه والمتابعة والمراقبة ، والإهمال في هذا يؤثر على التماسك الأسري ، وعلى أخلاقيات النشء في ظل سيطرة وسطوة التقنيات الإعلامية على جميع أفراد الأسرة (٣).

والواقع أن عمل الوالدين خارج المنزل مشكلة بحد ذاتها ، فهو لا يبقى من الوقت غير القليل ليقضيه الوالدين في المنزل ، وبذلك ينعدم الترابط الأسري ، وتظل هذه المشكلة قائمة نظرا للحاجة الملحة التي تحتم على الوالدين العمل خارج المنزل لكسب العيش .

وفي الحقيقة هذه المشكلة قائمة بسبب التطلع إلى شراء الكماليات والرفاهيات والحاجيات غير الضرورية ، ولو عرفت الأم كيف تستثمر وقتها لتربية أولادها ، وآثرت أن تنفق وقتها في ذلك لأدركت أن هذا أهم من قضاء الوقت في العمل خارج المنزل (٤).

فيجب على الأم أن تقوم بدورها في حمل الأمانة والقيام بواجب المسئولية تجاه من ترعاهم وتقوم بتربيتهم وتشرف على إعدادهم وتوجيههم ، لأنها في تحمل المسئولية كالأب سواء بسواء ، بل مسئوليتها أهم وأخطر باعتبار أنها ملازمة

---

١ لغة أطفالنا هل تعرفها ؟ الطفل العربي والمستقبل : د . سامي عزيز ، ص٢١ ، طبع مطبعة حكومة الكويت ، الكتاب الثالث والعشرون سنة ١٩٨١م .

٢ – علم النفس الاجتماعي : د . مجدي حسن ، ص٤١ ، طبع كلية التربية بالفيوم – مصر- طبعة أولى سنة ١٩٨٩م

٣ – التقنيات الحديثة فوائد وأضرار : د . شعاع اليوسف ، ص١٢٧ مرجع سابق.

٤ – أسرتنا بين الدين والخلق : د. محمد سليم العوا ، ص١٤٢ ، مرجع سابق.

لولدها منذ الولادة إلى أن يشب ويترعرع ، ويبلغ السن ليكون رجل الحياة والواجب ، وقد أفرد النبي ﷺ الأم بتحمل المسئولية حين قال (..... وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِيْ بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُوْلَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا) ([1]).

وما ذاك إلا لإشعارها بالتعاون مع الأب في إعداد البيت وتربية الأولاد ، وإذا قصرت الأم في هذا الواجب التربوي نحو أولادها لانشغالها خارج البيت ، أو مع معارفها وصديقاتها واستقبال الضيوف ، وإذا أهمل الأب مسئولية التوجيه والتربية نحو أولاده لانصرافه وقت الفراغ في اللهو ، وضياع الوقت ، فلا شك أن الأبناء سينشئون نشأة اليتامى ، ويعيشون عيشة المشردين ، بل سيكونون سبب فساد وأداة إجرام للأمة بأثرها .

فماذا ننتظر من أولاد أبائهم وأمهاتهم على هذه الحالة من الإهمال والتقصير؟ فحتما لا ننتظر منهم إلا الانحراف ، ولا نتوقع منهم إلا الإجرام لانشغال الأم وإهمال الأب .

ويزداد الأمر سوءاً وتعقيداً عندما يقضي الأبوان جل وقتهم في حياة الإثم والغواية ، ويتقلبان في أتون الشهوات والملذات ، ويتخبطان في طريق الانحلال والإباحية ، فلا شك أن انحلال الولد سيكون أبلغ وأخطر وتدرجه في الإجرام سيكون أكد وأعظم ([2]).

ثالثاً : إهمال متابعة الأولاد وتقويمهم وعدم تحقيق القدوة الحسنة :

ومن أهم الأسباب التي تؤدي إلى انحلال الولد خلقيا ، وانحرافه سلوكيا ، إغفال وإهمال مراقبة ومتابعة الآباء لأبنائهم ، والتخلي عن توجيههم ، وعدم الصبر على تقويمهم وإصلاحهم ، ولذلك قال تعالى :﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾

طه من الآية : ٣٢.

فالأب الذي يرخي لأولاده العنان في أن يخالطوا من قرناء السوء ورفقاء الشر ما شاءوا دونما سؤال ولا رقيب ، فلا شك أن الأولاد سيتأثرون من مخالطتهم ، ويكتسبون من انحرافاتهم وسوء خلقهم .

والأب الذي يسمح للأولاد أن يشاهدوا الأفلام الخرامية التي توجه إلى الميوعة والانحلال ، والأفلام البوليسية التي تحض على الانحلال والإجرام ، وهي بتأثيرها تفسد الكبار فضلا عن الصغار ، لا شك أن هذا الأب يقذف بأولاده إلى الهلاك والدمار .

والأب الذي يترك المجال لأولاده ليروا من شاشة التلفاز ، المناظر المثيرة والمسلسلات الماجنة ، والدعاية الفاجرة وأحيانا يشاهد معهم ، لا شك أن الأولاد

---

[1] - صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب : صلاة الجمعة في المدن والقرى ، حديث رقم : ٨٦٧.

[2] - تربية الأولاد في الإسلام : د . عبد الله ناصح علوان ، ج١ ص١٤٣، ١٤٤، بتصرف ، مرجع سابق.

٤٣٤ يتربون على السرعة ويدرجون على الانحلال ، ويفقدون معاني الرجولة والأدب الإسلامي .

والأب الذي يدخن السجائر أو يرتكب من الرذائل والعادات القبيحة ، ويشرك أبناءه معه بحجة الصداقة والمصارحة ، فإن مثل هذا الأب يحقق القدوة السيئة والنموذج الطالح ويجرئ الأبناء على ارتكاب المنكرات ، وفعل السوء مقتدين بالأب .

والأب الذي يسمح لأولاده بشراء المجلات الماجنة ، ومطالعة القصص الغرامية ، واقتناء الصور العارية ، فإنه يسهل لهم الطريق إلى الفحشاء والمنكر ، ويلقنهم دروسا في الصداقات المشبوهة ، والارتباطات الجنسية .

والأب الذي يتساهل في حشمة أهله ، وحجاب بناته ، ويتغاض عن سفورهن وتبرجهن ، ويتغافل عن مصاحبتهن ومخالطتهن ، ويترك لهم الحبل على الغارب في الخروج بالأزياء المغرية ، والمساحيق والعطور ، والعورات المكشوفة ، لا شك أنه يفتح الباب على مصراعيه لحياة الفجور والمنكر والوقوع في حبائل الغواية والفسوق وانتهاك الأعراض وتلويث الشرف.

والأب الذي لا يراقب أولاده وبناته وقت ذهابهم إلى المدرسة أو رجوعهم منها فإنه يفتح الطريق بهذا الإهمال إلى ارتياد الأبناء للأماكن الموبوءة بحجة المدرسة ، مما يترتب عليه الوقوع في حبائل الفاحشة والزنا ، والواقع خير شاهد على الفضائح والفظائع بارتكاب الفواحش التي تكشف عنها وسائل الإعلام ، فلا شك أن الأولاد وهم على هذه الحالة من الإهمال ، وعدم المراقبة الدقيقة والمتابعة المتواصلة ، وتحمل المسئولية في تقويم الأخلاق وإصلاح النفس وتنمية الشخصية سيؤدي تدرجيا إلى طريق الميوعة والانحلال ، دونما وازع من دين أو محاسبة من ضمير ، ويكون من الصعب ردهم وإصلاحهم ومعالجة انحرافهم ([1]).

إن الآباء تقع عليهم المسئولية الشاملة بكل ما يتصل بإصلاح الأبناء وتقويم اعوجاجهم ، وحسن معاملاتهم ، وتعليمهم الأخلاق الإسلامية منذ الصغر ، مثل : الصدق والأمانة والاستقامة والإيثار واحترام الكبير و...غير ذلك ، كذلك تحقيق القدوة في تنزيه الألسنة عن السباب والشتائم وقبيح الأقوال ، وترفعهم عن الدنايا والعادات القبيحة والأخلاق المذمومة ، وكل ما يحط بالشرف واللغة والمروءة ، وتعويدهم على المشاعر الإنسانية الكريمة .

وبذلك يكون الآباء قد قاموا ببعض مسئوليتهم وواجباتهم نحو أبنائهم ، ووقايتهم من الشر والعذاب في الدنيا والآخرة مصداقا لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ التحريم من الآية : ٦.

---

[1] - تربية الأولاد في الإسلام : د . عبد الله ناصح علوان ، ص٢٠٨، ٢٠٩، بتصرف واختصار ، مرجع سابق.

رابعاً : سوء فهم كلا من الزوجين لطباع الآخر :

إن الأسرة التي نشأت فيها الزوجة وتعودت على عادات وتقاليد معينة ، تختلف عن الأسرة التي نشأ فيها الزوج ، ومن هنا كان على الزوج والزوجة معرفة كلا منهما لطباع الآخر ، والتوافق التدريجي الذي يؤدي إلى الانسجام في الطباع والعواطف والعادات والتقاليد .

فقد يكون الزوج حاد المزاج ، شديد الإحساس يتأثر لأقل الأشياء التي يراها مخالفة لذوقه ، فيثور لأقل سبب ويغضب لأقل كلمة ، فلا تراع زوجته فيه هذا ، فتضحك وهو غضبان ، وتعرض عنه وهو يوجه إليها الخطاب ، ويتكلم الكلمة فتجيبه عليها بعشر لأنها سليطة اللسان شرسة الخلق ، فما هي إلا أن تثور العاصفة وينفجر البركان ، وكم سارت في البيوت مشاكل من ضيق الصدر وسوء الخلق ، وكم انهارت بيوت لحمق الزوج أو الزوجة فتزيد المشكلات تعقيدا ، ولكن الزوجة الحصيفة الفاهمة لدينها ، الواعية هي التي تشعر وتحس بعاطفتها ما يرغبه الزوج قبل أن يتحدث ، فتسير على هواه ،فإذا كانت هناك عادات مباحة تأقلمت عليها وأحبتها ، وإذا كانت هناك عادات وأخلاق مذمومة سايرتها حتى يتركها الزوج دون أن يشعر .

وقد يكون الزوج عالما أو أستاذا من واجبه أن يقرأ أو أن يكتب ، فتتبرم الزوجة من القراءة ، وتتأفف إذا وجدت كتابا في يده ، وتضيق زرعا حين يكتب أو ينكب على كتبه ، وتصبح الكتب بالنسبة لها كأنها ضرائرها ، وإن كان من حق الزوجة أن يخصص لها الزوج وقتا لتأنس به ويأنس بها ، فليس من حقها أن تنكر عليه تفرغه لواجبه العلمي ، أو أن تظهر السخط من عمل يرتاح إليه ضميره وتطمئن إليه نفسه (١).

فعلى الزوج العاقل الفاهم لدينه أن يساير زوجته في طباعها المباحة ، وإذا كانت تعودت أشياء لا يحبها ، فإنه يتدرج معها شيئا فشيئا حتى تتركها هي .

إن هذه الخلافات وسوء فهم الطباع المؤدي إلى الخلاف والاضطراب والغضب يؤثر حتما على نفسية الأبناء ، كما أن سوء المعاملة بين الزوجين يؤدي إلى عدم الاستقرار الأسري .

كان هذا عرضا لأهم المخاطر التي تواجه الاستقرار الأسري ، وتؤثر على العلاقة بين الزوجين ، وتعمل على انحراف الأبناء وسوء تربيتهم .

وهناك أيضا الكثير من المخاطر التي تواجه استقرار الأسرة أذكر منها : ١- تدخل أهل الزوجين في حياة الأسرة . ٢- سفر الزوج خارج البلاد بعيدا عن الأسرة . ٣- ترك مسئولية تربية الأبناء على الزوجة وحدها . ٤- عمل المرأة خارج البيت وانشغالها عن تربية الأبناء وتركهم للشغالات . ٥- كثرة حالات الطلاق والانفصال ....كل هذه وغيرها من الأسباب التي تؤدي إلى شتات الأسرة ودمار الأبناء .

١- أخلاقنا الاجتماعية : د. مصطفى السباعي ، ص ٩٢ مرجع سابق

الخاتـــــمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق ، وإمام الحق ، ورسول الصدق سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ؛؛؛؛؛

فقد طوفنا حول موضوع هام ، حيث إنه يهم كل أسرة مسلمة أن تحيا في ظلاله ، وأن تعرف عنه الكثير خاصة في العصر الحاضر ، الذي اختلطت فيه المفاهيم والرؤى ، وتاهت القيم والأخلاق وضاعت الحقوق والواجبات في خضم هذه الحياة ، فكان لابد من إعادة النظر في فن التعامل الأسري في الإسلام ، وذلك في ضوء الواقع المعاصر الذي يعيشه الناس ، إذا أردنا أن نحصن أبنائنا ، وننشر الأمن والأمان والسعادة في بيوتنا ، وننشئ ذرية صالحة تعترف بحق الوالدين وتخدم المجتمع ، وتعمل على رقيه وازدهاره وتقدمه .

وسوف نذكر بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ، وذلك في النقاط التالية :

١- لقد حث الإسلام على حُسن اختيار الزوج والزوجة ، ووضع لذلك الضوابط والأسس التي يقوم عليها هذا الاختيار ، وحذر من العواقب الوخيمة لمخالفة منهج الإسلام في هذا الشأن ، كما رغب في الزواج المبكر ، وحث على التيسير في الزواج ، لأن الزواج أساس الأسرة ، والأسرة أساس المجتمع .

٢- للزواج في الإسلام أهداف متعددة ، لأنه يعمل على الترابط الأسري والعائلي والاجتماعي ، ويحفظ كيان المجتمع الإسلامي ، ويعمل على طهارته ونقائه ، كما إنه ينشئ الذرية ويعمل على التكافل والتكامل والتعاون على البر والتقوى ، وهو سنة فطرية إنسانية ربانية ، ويكفي إنه سنة الأنبياء والمرسلين .

٣- لقد حقق النبي ﷺ القدوة الحسنة في فن التعامل الأسري وضرب النموذج الحي في معاملته مع زوجاته بالحسنى والملاطفة والوفاء وحسن العشرة ، كما كانت معاملته الطيبة مع أبنائه وأحفاده وأصحابه وكل من تعامل معه ﷺ ، ليكون فيه الأسوة والقدوة لكل أسرة مسلمة تريد الاستقرار والسعادة في الدنيا والآخرة .

٤- تحدث الكثير من المحن والابتلاءات والخلافات داخل الأسر الإسلامية ، وهذا الأمر يحتاج إلى حسن التعامل مع كل هذا وغيره بالصبر والتأني ، والثبات وعدم العجلة وضيق الصدر ، وقد ضرب لنا النبي ﷺ النموذج الصالح في تعامله مع محنة حادثة الإفك التي اختلقها المنافقون ، وهي تمس العرض والشرف أغلى ما يملك الإنسان ، فبدا من النبي ﷺ حسن التصرف

والحكمة ، حتى ظهرت البراءة من السماء فقطع دابر الذين كفروا والحمد لله رب العالمين .

٥- لقد قست القلوب وحدثت الفجوة والشقاق في المعاملة بين الزوجين في الواقع المعاصر ، وذلك بسبب مخالفة منهج الإسلام وتعاليمه وأخلاقه ، مما كان له أثر كبير في زعزعة البيوت والأسر ، ولذلك كان لابد من معرفة كل من الزوجين حقوقه وواجباته التي حددها الإسلام لضمان استقرار وسعادة الأسر، وتوفير السكن والمودة والطمأنينة ، والحفاظ على البناء النفسي والتربوي للأبناء .

٦- إن الزوجة التي تبغي رضا الله وجنته ، وتسعى إلى السعادة والاستقرار عليها أن تحرص على معاملة زوجها بالحسنى والأدب والطاعة ، وحسن الخلق والحرص على راحته ، ومراعاة شعوره والبعد عما يؤذيه ، وتلبية رغبته وتوفير سكن النفس ، بضبط اللسان ونظافة البيت والجسد ، وتوفير متطلبات المعيشة ، والسيدة خديجة – رضي الله عنها – خير نموذج في حسن تعامل الزوجة مع زوجها معاملة مثالية ، لتضرب المثل لكل زوجة مسلمة في معاملة زوجها .

٧- إن للأبناء حقوقا كثيرة على الآباء لابد من تأديتها ، وقد تخلى عدد كبير من الآباء عن دورهم في تربية أبنائهم ، فالأبناء أمانة ومسئولية يجب عدم التقصير والإهمال فيها ، لأن الإهمال فيها يؤدي إلى تشريد الأبناء ، وفتح المجال لانحرافهم وسوء أخلاقهم ، ومصاحبتهم لرفقاء السوء ، وأن تأدية هذه الحقوق للأبناء يؤدي إلى النشئ الصالح الذي يعترف بحقوق الآباء ، ويبتعد عن عقوقهم ، وسوء معاملتهم ، ويرد الجميل لهم في حياتهم وبعد مماتهم .

٨- لقد أدت وسائل الأعلام والتقنية الحديثة إلى سوء المعاملة الأسرية ، وتدمير العلاقات بين الزوجين والأبناء ، كما أدت إلى الفساد الأخلاقي والانحلال الأسري ، ومن هذه الوسائل التلفاز والنت والجوال ... وغيرها وهي أسلحة ذات حدين ، إلا أننا وللأسف نستخدم الحد السلبي المدمر الضار ، أكثر مما نستخدم الجانب الإيجابي النافع ، وهذا الأمر يحتاج إلى توجيه الآباء للأبناء لحسن استخدام هذه الوسائل ، مع متابعة الأبناء حتى يتعودوا استخدام النافع المفيد منها فقط ، والابتعاد عن الفاسد السلبي منها .

٩- هناك الكثير – فوق ما سبق – من المخاطر التي تواجه استقرار الأسرة وتفسد العلاقة بين الزوجين ، أهمها النزاع والشقاق وسوء الفهم بين الزوجين في توجيه الأبناء ، وفقد الأبناء للقدوة الحسنة مما يؤدي إلى استغلال الأبناء هذا الاختلاف في اتجاهات الوالدين للانزلاق والانحراف ، كما أن تخلي الوالدين عن مسئولية تربية الأبناء وانشغالهم بالعمل خارج

٣٨ : البيت يؤدي إلى أضرار جسيمة وآثارا فادحة وفقدان للسيطرة على متابعة الأبناء وتقويمهم .

١٠ـ لابد للوالدين من ترسيخ القيم والمثل الإسلامية في نفوس الأبناء ، والعمل على نشر روح التعاون والتآلف والترابط بين أفراد الأسرة ، وتحقيق القدوة الحسنة قولا وعملا ، وحل الخلافات بين الزوجين بعيدا عن الأبناء ، بحكمة وأدب بعيدا عن رفع الصوت والعصبية واستخدام أدوات العنف ، والظهور بالمظهر اللائق الطيب المتفاهم أمام الأبناء ، والعمل على إشاعة الفضيلة والآداب العامة ، وقراءة القرآن الكريم وإحياء سنة النبي ﷺ بين الأبناء ، والأمر بالمعروف والحث عليه ، والنهي عن المنكر والبعد عنه ، وتنمية الضمير الحي في نفوس الأبناء ، وتربيتهم على مراقبة الله وحده في السر والعلن ، كل ذلك لتوفير البيئة الصالحة التي تحصن الأسرة ، وتقي الأبناء من الشر والفساد ، وبذلك يتكون الجيل الصالح النافع لأسرته ومجتمعه ووطنه .

أهم المراجع

القرآن الكريم .

١- إحياء علوم الدين : الإمام/ أبو حامد الغزالي طبع دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٦م .

٢- أخلاقنا الاجتماعية : د . مصطفى السباعي ، طبع دار السلام للطباعة والنشر بالقاهرة ، الطبعة الرابعة ٢٠١٠م.

٣- أدب المعاملة في الإسلام : الأستاذ / عبده غالب أحمد عيسى ، طبع دار الجيل بيروت ، طبعة أولى سنة ١٩٨٧م .

٤- الأدب المفرد للبخاري: الإمام / محمد بن إسماعيل البخاري ، طبع دولة الإمارات العربية المتحدة ، طبعة أولى سنة ١٩٨١م.

٥- أسرتنا بين الدين والخلق : د . محمد سليم العوا ، طبع دار المعرفة بيروت ، طبعة أولى سنة ٢٠٠٨م.

٦- الأسرة في التشريع الإسلامي : الأستاذ / محمد أحمد السنهوري ، طبع دار الجمهورية للطبع والنشر ، إصدار وزارة الإرشاد القومي ، مراقبة الشئون الثقافية بالقاهرة ، بدون .

٧- الأسرة في الإسلام : الأستاذ / أمين إبراهيم المسلمي ، طبع دار الصابوني بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ٢٠٠٥م .

٨- الأسرة والطفولة: د . زيدان عبد الباقي ، طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ١٩٨٠م.

٩- الإسلام دين الفطرة والحرية : الأستاذ / عبد العزيز جاويش ، طبع دار الهلال بالقاهرة ، العدد ٣٩٠ ، طبعة أولى سنة ١٩٨٣م .

١٠- الإسلام والأسرة : د . محمود بن الشريف ، طبع مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٢م .

١١- الإسلام والحياة : د . محمد فؤاد شاكر ، طبع دار القمر للنشر والتوزيع بالقاهرة طبعة أولى سنة ٢٠٠٩م.

١٢- الإسلام عقيدة وشريعة : الإمام الأكبر الشيخ / محمود شلتوت ، طبع دار الشروق بالقاهرة ، طبعة سادسة سنة ١٩٩٠م .

١٣- الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام : د . محمد سيد طنطاوي ، طبع سلسلة البحوث الإسلامية بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ٢٠٠٧م.

١٤- أهداف الأسرة في الإسلام : الأستاذ / حسين محمد يوسف ، طبع دار الاعتصام بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ١٩٧٧م.

١٥- بناء شخصية الطفل المسلم : الأستاذ / محمد عثمان جمال ، طبع دار القلم دمشق ، طبعة أولى سنة ١٩٩٦م.

١٦- تحرير المرأة في عصر الرسالة : الأستاذ / عبد الحليم محمد ابو شقة ، طبعة دار القلم للنشر والتوزيع بالقاهرة ، طبعة سادسة سنة ٢٠٠٢م.
١٧- تراجم سيدات بيت النبوة : د . عائشة عبد الرحمن ، طبع دار الريان للتراث ، طبعة أولى سنة ١٩٨٧م.
١٨- تحفة المودود في أحكام المولود : الإمام / شمس الدين محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية ، طبع مكتبة المدني بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ١٩٧٧م.
١٩- تربية الأولاد في الإسلام : د . عبد الله ناصح علوان ، طبع دار السلام بالقاهرة ، طبعة سابعة سنة ١٩٨٤م.
٢٠- التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام : د . أكرم ضياء العمري ، طبع مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة – السعودية – طبعة أولى سنة ١٩٩٠م.
٢١- التطور والثبات في حياة البشرية : الأستاذ / محمد قطب ، طبع دار الشروق بيروت ، طبعة خامسة سنة ١٩٨٣م.
٢٢- التقنيات الحديثة فوائد وأضرار: د . شعاع هاشم اليوسف ، طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية قطر ، سلسلة كتاب الأمة ، طبعة أولى سنة ٢٠٠٦م.
٢٣- الجامع لأحكام القرآن : الإمام / أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، طبع دار الحديث بالقاهرة ، طبعة ثانية سنة ١٩٩٦م..
٢٤- حقوق الزوجين : الشيخ / أبو الأعلى المودودي ، طبع مكتبة القرآن بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ١٩٨٠م.
٢٥- الحلال والحرام في الإسلام : د . يوسف القرضاوي ، طبع المكتب الإسلامي بالدوحة – قطر- طبعة أولى سنة ١٩٦٦م.
٢٦- حلية الأولياء: العلامة / أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، طبع دار الكتاب العربي بيروت ، طبعة رابعة سنة ١٩٨٥م.
٢٧- حياة محمد ﷺ : الأستاذ/ محمد حسين هيكل ، طبع دار القلم، سنة ١٩٣٥م.
٢٨- دراسات في الشريعة الإسلامية : الإمام / محمد الخضر حسين ،طبع المطبعة السلفية بالقاهرة ،طبعة أولى سنة ١٩٣٦م.
٢٩- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة : الإمام / أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تخريج وتعليق : د . عبد المعطي قلعجي ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ، طبعة أولى سنة ١٩٨٥م.
٣٠- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : العلامة / محمد الصديق الشافعي ، طبع المكتبة العلمية بيروت ، طبع ثانية سنة ١٩٨٢م .

٣١- الدين المعاملة : الأستاذ / أحمد إسماعيل يحيي ، طبع مكتبة الدار العربية للكتاب بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ٢٠٠٣م.
٣٢- السعادة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة : د . موسى شاهين لاشين ، طبع مكتبة الإيمان للطباعة والنشر بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ٢٠٠٧م.
٣٣- السلوك الاجتماعي في الإسلام : الشيخ / حسن أيوب ، طبع المطبعة العصرية بالكويت ، طبعة أولى سنة ١٩٧٥م.
٣٤- سنن ابن ماجة : الحافظ / أبو عبد الله بن يزيد القزويني ، تحقيق الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي ، طبع دار إحياء التراث العربي بيروت ، طبعة أولى سنة ١٩٧٥م.
٣٥- سنن أبي داود : العلامة / أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي ، طبع دار الحديث سوريا ، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤م.
٣٦- سنن الترمذي :الإمام الحافظ / أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق الأستاذ/ إبراهيم عطوه عوض ، طبع عيسى الحلبي بمصر سنة ١٩٧٢م.
٣٧- السنن الكبرى للبيهقي : الحافظ / أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، طبع دار الفكر بيروت ، بدون .
٣٨- السنن الكبرى للنسائي : الإمام الحافظ / أبو عبد الرحمن النسائي ، طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر ، طبعة أولى سنة ١٩٦٤م.
٣٩- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني : د . أحمد أحمد غلوش ، طبع مؤسسة الرسالة بالقاهرة ، طبعة ثانية سنة ٢٠١٠م .
٤٠- شعب الإيمان للبيهقي: الإمام / أبو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي ، طبع دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٠م .
٤١- صحيح ابن حبان : بترتيب ابن بلبان : تحقيق الأستاذ / شعيب الأرنؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت ، طبعة ثانية سنة ١٩٩٣م.
٤٢- صحيح البخاري: الإمام / أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، طبع المكتبة الإسلامية باستانبول سنة ١٩٨٣م.
٤٣- صحيح مسلم : الإمام / أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقي ، طبع دار إحياء التراث العربي بيروت ، طبعة أولى سنة ١٩٥٤م.
٤٤- الطفولة في الإسلام : المؤتمر الدولي، طبع دار التحرير للطبع والنشر بالقاهرة ، سنة ١٩٩٠م.
٤٥- العفة ومنهج الاستعفاف : الأستاذ / يحي سليمان العقيلي ، طبع دار الدعوة بالكويت ، طبعة أولى سنة ١٩٨٩م .

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمـــــــــــــة	٢
١ـ أسباب اختيار موضوع البحث	٤
٢ـ أهميـــــــــة البحث	٤
٣ـ أهـــــــــداف البحث	٤
٤ـ منهـــــــــج البحث	٥
٥ـ خطـــــــــة البحث	٥
الفصل الأول: البناء الأسري في الإسلام	٧
المبحث الأول : أسس اختيار الزوجين في الإسلام	٩
أولاً: أسس اختيار الزوجة في الإسلام	٩
١ـ الاختيار على أساس الدين	٩
٢ـ الاختيار على أساس الأصل والبيئة الصالحة	١١
٣ـ الاغتراب في الزواج	١٢
٤ـ تفضيل ذوات الأبكار	١٢
٥ـ تفضيل الزواج بالمرأة الودود الولود	١٣
٦ـ تفضيل المرأة المتفقة الفاهمة لأمور دينها وحقوق زوجها على غيرها ...	١٣
ثانياً: أسس اختيار الزوج في الإسلام	١٤
عواقب الاختيار المخالف لمنهج الإسلام في الواقع المعاصر	١٥
١ـ الزواج بالأجنبيات	١٦
* أخطار زواج المسلم بالأجنبية	١٦
٢ـ الزواج على أساس المدنية	١٨
المبحث الثاني : أهداف الأسرة في الإسلام	١٩
١ـ تحقيق التماسك والترابط الاجتماعي	٢٠
٢ـ تحقيق الهدف السياسي من الزواج	٢٠
٣ـ تحقيق الهدف الاقتصادي من الزواج	٢١
٤ـ تحقيق الهدف الخلقي من الزواج	٢١
٥ـ تحقيق الهدف الصحي من الزواج	٢٢
٦ـ تحقيق الهدف الروحي من الزواج	٢٢
٧ـ تحقيق هدف التعاون من الزواج	٢٣
المبحث الثالث : الرسول ﷺ يحقق القدوة في التعامل الأسري	٢٦

أولاً : معاملة الرسول ﷺ وخلقه مع أزواجه	٢٦
١- معاملته ﷺ بالمزاح والملاطفة مع أزواجه	٢٧
٢- تعامل النبي ﷺ مع تناقص وغيرة أزواجه	٢٧
٣- معاملة النبي ﷺ مع أزواجه بالوفاء وحسن العشرة	٣٠
٤- حسن معاملة النبي ﷺ بالترويح عن أزواجه	٣٢
* محنة في بيت النبوة وكيف تعامل معها النبي ﷺ.....	٣٤
ثانياً : معاملة النبي ﷺ لأولاده	٣٧
أ- حسن معاملة النبي ﷺ لأبنائه وأحفاده	٣٧
ب- حسن معاملة النبي ﷺ لبناته ورحمته بهن	٤٠
ثالثاً : معاملة النبي ﷺ لأصحابه	٤١
* مزاح النبي ﷺ مع أصحابه للتسرية عنهم وملاطفتهم	٤٣
* الرسول ﷺ والواقع المعاصر	٤٤
الفصل الثاني : فن المعاملة بين الزوجين في الإسلام	٤٥
المبحث الأول : فن معاملة الزوج لزوجته ودوره في استقرار الأسرة والمجتمع	٤٨
١- معاملة الزوج لزوجته بالرفق واللين وحسن العشرة	٤٨
٢- معاملة الزوج لزوجته على أنها مصدر السكن والطمأنينة	٥١
٣- معاملة الزوج لزوجته برعاية مشاعرها وإيناسها	٥١
٤- حق الزوجة على زوجها في صيانتها والغيرة والمحافظة عليها.....	٥٢
٥- حق الزوجة على زوجها في تعلم أمور الدين	٥٤
٦- حق الزوجة على زوجها في النفقة	٥٥
٧- حق الزوجة على زوجها معاملتها بالعدل والبعد عن الظلم	٥٥
المبحث الثاني: فن معاملة الزوجة لزوجها ودوره في سعادة الأسرة والمجتمع	٥٦
١- أدب معاملة الزوجة لزوجها بالطاعة وحُسن الخلق	٥٨
٢- معاملة الزوجة لزوجها بحفظ ماله والحرص على راحته	٦٠
٣- معاملة الزوجة لزوجها بمراعاة شعوره والابتعاد عما يؤذيه	٦١
٤- معاملة الزوجة لزوجها بعدم الخروج من بيته إلا بإذنه ولا تبدي زينتها للأجانب	٦٢
٥- معاملة الزوجة لزوجها بتلبية رغبته وعدم الامتناع عنه	٦٣
٦- أدب معاملة الزوجة لزوجها بتوفير سكن النفس ونظافة الجسد والبيت ...	٦٤
* وصية أم عاقلة لابنتها لتحقيق السعادة الزوجية	٦٤
* نموذج حي لتعامل الزوجة المثالية مع زوجها	٦٦
*حقوق مشتركة بين الزوجين	٦٩

٤٤٦ ـ حفظ أسرار الزوجية ٢ـ التحلي بالصبر في المعاملة بين	٦٩
الزوجين	٧١
٣ـ الرضا بما قسم الله تعالى ٤ـ اعتراف الزوجين بالجميل والمعروف ...	٧١
المبحث الثالث : المعاملة بين الزوجين في الواقع المعاصر	٧٣
* واجبات الزوجة بين تعاليم الإسلام والواقع المعاصر	٧٥
* كيف تحقق السعادة الزوجية في العصر الحاضر؟	٧٥
القاعدة الأولى : تقرب الزوجين إلى الله تعالى	٧٥
القاعدة الثانية : تحديد المسئولية المشتركة بين الزوجين	٧٥
القاعدة الثالثة : التضحية والعطاء	٧٦
القاعدة الرابعة : حُسن الظن والنظر إلى الفضائل بين الزوجين	٧٦
القاعدة الخامسة : ستر العيوب وغض الطرف	٧٦
القاعدة السادسة : التزام الزوجين بالبعد عن القيل والقال	٧٦
القاعدة السابعة : ترك الماضي والاهتمام بالحاضر والمستقبل	٧٧
القاعدة الثامنة : البعد عن مواطن الشبهات والتهم	٧٧
القاعدة التاسعة : حُسن النية	٧٧
القاعدة العاشرة : احتساب الأجر عند الله تعالى	٧٩
الفصل الثالث : فن المعاملة بين الآباء والأبناء في الإسلام	٧٩
المبحث الأول : حقوق الأبناء على الآباء في الإسلام	٧٩
١ـ التربية الإيمانية والصبر على تحمل المسئولية	٨٤
٢ـ تحقيق الوالدين للقدوة الحسنة في معاملة أبنائهم	٨٤
٣ـ المعاملة الحسنة في توجيه الأولاد وإرشادهم	٨٧
٤ـ معاملة الوالدين لجميع الأولاد بالعدل والإنصاف	٨٨
٥ـ معاملة الأولاد بالرفق واللين والمسامحة	٩٠
٦ـ معاملة الوالدين للأبناء بإتاحة الفرصة للعب واللهو المباح	٩٠
المبحث الثاني : حقوق الآباء على الأبناء في الإسلام	٩٢
١ـ معاملة الأبناء للآباء بالطاعة والبر والإحسان	٩٩
معاملة الأبناء للآباء بالبعد عن العقوق وسوء المعاملة	١٠٠
٣ـ بر الأبناء للآباء بعد موتهم والدعاء والصلة	١٠٢
٤ـ بر الوالدين بزيارة قبرهما وفاء بحقهما	١٠٣
٥ـ نماذج من حُسن معاملة السلف الصالح في بر الوالدين	١٠٥
المبحث الثالث : أثر الاستقرار الأسري على البناء النفسي لشخصية الأولاد	١٠٦
١ـ تأسيس الأولاد تأسيسا جيدا وتربيتهم تربية إسلامية	١٠٦
٢ـ متابعة الأولاد متابعة دقيقة	

٣- إدخال السرور على الأبناء وتشجيعهم على التنافس البناء	١٠٦
الفصل الرابع : الأسباب التي تؤدي إلى سوء المعاملة الأسرية وسبل الوقاية منها في العصر الحاضر	١٠٩
المبحث الأول : دور التقنية الحديثة في تدمير العلاقات الأسرية في العصر الحاضـــــــــر	١١١
١- التلفاز ودوره في الفساد الأخلاقي والانحلال الأسري	١١٢
٢- الحاسوب والإنترنت ودورهما في تدمير العلاقات الأسرية	١١٣
٣- الجوال ودوره المباشر في التفكك الأسري	١١٤
المبحث الثاني : المخاطر التي تواجه استقرار الأسرة وتفسد العلاقة بين الزوجـــــــين	١١٥
أولاً: النزاع والشقاق واختلاف اتجاهات الوالدين في معاملة وتوجيه الأولاد	١١٥
١- أثر الخلاف والنزاع بين الزوجين على الأبناء	١١٦
٢- التوافق والتوحد في اتجاهات الأبوين يؤدي إلى التربية الصحيحة للأولاد	١١٦
ثانياً: انشغال الوالدين خارج المنزل بالعمل وتخليهم عن تربية الأولاد	١١٧
ثالثاً: إهمال متابعة الأولاد وتقويمهم وعدم تحقيق القدوة الحسنة	١١٨
رابعاً: سوء فهم كلا من الزوجين لطباع الآخر	١٢٠
الخاتمـــــــــة	١٢١
أهم المراجـــــــع	١٢٤
فهرس الموضوعات	١٢٩

تم بحمد الله وحسن توفيقه